مُشكلاتُ ابنتي المراهقة

هذه حلولها

تأليف

الأستاذة نشوة العلواني

دار البشائر الإسلامية

مُشكلاتُ

ابنتي المراهقة

هذه حلولها

الطَّبْعَةُ الأُولىٰ
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

١٥٥

مُشكلاتُ

ابنتي المراهقة

هذه حلولها

تأليف
نشوة العلواني

دار البشائر الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



المقـدّمـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً لا ينقطع ذكره، ولا نُحرم من أجره وثوابه، وأشهد أن لا إلـه إلاَّ الله الواحد القهار، المنعم المتفضل الكريم الوهَّاب الرزاق، مالك الملك، خالق الإنسان ومعلمه وهاديه إلى سواء السبيل، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

ابنتي المراهقة:

هـذا كتابـي موجـه إليك، أقـف وإياك أمامـه وجهاً لوجـه لا دخل فيه لأحد يملي علينا ما نفعل أو ما ينبغي أن يكون.

وأنا أعترف ابنتي المراهقة: أن كل الكتب التي سبقت قد خوطب بها الآبـاء والأمهـات، لمعـرفـة الطـريـق الصحيـح فـي التعـامـل مـع المـراهـق أو المراهقـة، وقـد نسي كثير مـن الكتاب أن المراهق معني بالدرجة الأولى بمشكلاتـه ومعرفة التغيـرات التـي تحصل في جسـده وتفكيـره وشخصيتـه وإفرازاتـه، وخيالاته، وأن الخطـاب يكون لـه بالدرجـة الأولى حتى يتعلم، ويحسّن معارفه في هذه المرحلة الحرجة.

وأعتـرف أيضاً ابنتـي المراهقة: أننـي أشفقـت عليـك وأنـا أكتب هذا الكتاب، أشفقت من هذه المتغيرات الكثيرة التي صاحبت مراهقتك في هذا

العصر وصبغته بألف صبغة، ولوَّنته بألف لون حتى بات لا يُعرف لونه الأصلي ولا سِمته الخاصة، ولا علامته المميزة.

صحيح أن كل نساء الدنيا قد مرَّت بما تمرِّين به، وأنّ أحلاماً راودتني في تلك الفترة لما كنت في مثل عمرك، كأحلامك، وخيالات كخيالاتك، ولكن الانشقاق الاجتماعي الأخلاقي الذي تشهده هذه الأيام هو الفارق بيني وبينك، ولذلك فأنا مشفقة عليكِ.

وها أنذا اليوم أصبحت أُمًّا، وفي طريقي لأصبح جدة؛ أمدّ يدي إليك أحتضنك وأخاف عليك، حتى تنقضي هذه الفترة بسلام وأمان، ولذلك خاطبتك بصراحة، وكشفت لك عن كل المتغيرات التي قد تحصل، وعرضت فيها الحلول الإسلامية الصحيحة العصرية، لا المتحجِّرة المسفِّهة المتعنِّتة المكفّرة، فهي تزيد الأمور سوءاً ولا تعطي حلولاً.

لكننا نجب أن نعترف أن فترة المراهقة الحالية يجب أن تسلك مسلكاً وسطاً تربوياً نافعاً، لأن التيارات المنحرفة لها أعوانها ومشجعوها، وهم من الكثرة بحيث نخاف على المراهق من الوقوع في شراكها.

ابنتي المراهقة: إذا كان لك أي تعليق أو رأي أو استفسار أو انتقاد، فاكتبي إليّ، أتعرَّف على رأيك المباشر، فلربما كان فيه الفائدة، وربما كان فيه إضافات جديدة قد غابت عن ذهني، أو شعور أنت تشعرين به، لم ألحظه أو أتعرف عليه.

المهم أن تمسكي بيدي بثقة وطمأنينة لنعبر إلى شاطىء النجاة وسفينة الاستقرار بفضل الله وعونه ورعايته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نشوة العلواني

الباب الأول

مفهوم المراهقة والتغيرات التي تطرأ عليها

ويضم الفصول التالية :

الفصل الأول
تعريف المراهقة

* التعريف اللغوي:

المراهقة لغة: الرهق هو جهل في الإنسان وخفة في عقله مع حدّة وحمق[1].

* المراهقة في المعنى الاصطلاحي:

المراهقة في المعنى الاصطلاحي هي: العمر الذي يحدث فيه الطمث عند الإناث، والعمر الذي يحدث فيه أول قذف منوي عند الذكور، وقد يكون أحياناً العمر الذي ينتشر فيه الشعر في أنحاء الجسم عند كلا الجنسين، ويترافق مع ظهور الشعر ظهور الثديين وتوسع في منطقة الحوض للأنثى، وزيادة في الطول، وتكون زيادة الطول في المراحل الأولى للأنثى أكثر نضوجاً من الذكر.

وهو التعريف الذي اتخذه الفقهاء لتحديد المراهقة والرجولة، هي العلامات المميّزة في البلوغ بالنسبة للذكر والأنثى، وإذا تأخر ظهور هذه العلامات فيتخذ السن التقديري حسب أعمار الأقران ومن كان في مثل سنِّهما.

---

(١) لسان العرب: ابن منظور، مادة رهق ١٠/ ١٢٨.

ويلاحظ أن تفسير علماء النفس للمراهقة يعتمد على المعنى اللغوي؛ إذ تتميز هذه الفترة بالخفة والحدّة والتسرع والطيش.

وهناك أدلة كثيرة تشير بأن الصلاحية للزواج أي الاستعداد للإنجاب أو حمل الجنين لا يمكن الوصول إليها إلاَّ بعد فترة من الزمن، أي بعد حدوث الطمث، وبعد أول قذف منوي.

وعلاوة على ذلك فإن أول مظهر ملموس للنضوج الجنسي تتمثل عادة في نمو الخصيتين عند الذكور، وفي بداية بروز النهدين عند الإناث، وليس إلى مجرد ظهور الشعر وانتشاره في أنحاء الجسم المختلفة، ويتركز وقتَ البلوغ تحت الإبطين، وفوق العانة، ويتوزع على صدر الرجل ويديه وقدميه وشاربيه ولحيته.

ومهما يكن من أمر، فإن ظهور الصفات الثانوية في هذه المرحلة من حياة الفرد لم تكن دائماً على وتيرة واحدة، ويفضل البعض أن يعتبر وقت البلوغ بأنه البداية لمرحلة المراهقة، أي عندما تأخذ إفراز الهرمونات الذكرية والأنثوية في الارتفاع، والتي قد تستغرق مدة تتراوح بين الخمس والثماني سنوات[١].

نهاية المطاف

إن انتهاء النمو في الطول هو نهاية المطاف للمراهقة، على أنه لا يجب أن يفسر بأنه القاعدة الوحيدة لمعرفة نهاية مرحلة المراهقة، لأن جميع الأنسجة والأجهزة العضوية تقريباً تدخل ضمن هذه العملية الواسعة، كما أن طول فترة النمو تختلف بدورها باختلاف الوظائف الجسمية وأبعادها، لأن النمو الجسمي تبرز نتيجة للتغيرات الهرمونية والتي ستؤدي بدورها إلى

---

(١) المراهق: نوري الحافظ ص ٢٠، ٢١ بتصرف.

النضوج في الإخصاب والمرتبطة بالنمو الجنسي بصورة كبيرة.

ومن المناسب أن نأتي بتعريف للمراهقة اتفق عليه أكثر الباحثين:

(المراهقة هي حالة من النمو تقع بين الطفولة وبين الرجولة أو الأنوثة، وإن فترة العمر لا يمكن تحديدها بدقة لأنها تعتمد على السرعة الضرورية في النمو الجسمي، وهي متفاوتة وغامضة، ومن غير السهل أن تقرر هذه المرحلة من حياة الإنسان حتى يصبح الفرد نامياً بصورة كلية، ومما لا ريب فيه أن هذا يحدث بعد العشرينات، وعلى كل حال فللأغراض العملية فإن هذه الفترة تشمل أولئك الأفراد الذين هم في العقد الثاني من الحياة)[١].

وقد عرَّف البعض المراهقة استناداً إلى الحالة الاقتصادية فقال:

(المراهق هو ذلك الفرد الذي تقع سنه بين البلوغ وسن الاعتماد على النفس اقتصادياً)، وهذا التعريف يشمل الذكر، أما الأنثى فإن فترة المراهقة هي تلك الفترة التي تقع بين سن البلوغ وسن الزواج[٢].

لكن الحالة الاقتصادية متغيرة بين زمن وآخر، والقدرة على الاعتماد على النفس تختلف بين شخص وآخر، لذلك نقول بدون مراء أن:

اعتماد البلوغ لبداية المراهقة وكما اعتمده الفقهاء لبداية إلزام الإنسان بالالتزامات الدينية والعبادة والحقوق المدنية من بيع وشراء وإجار واستئجار وصحة تصرفاته المختلفة، هي الأساس المعتمد عليه في تحديد فترة المراهقة في بدايتها.

(١) المراهق: نوري الحافظ ص ٢٢.
(٢) المصدر السابق ص ٢٢.

تعريف الفقهاء للبلوغ

البلوغ عند النساء يتميز بالدم الخارج من أقصى الرحم من غير ولادة ولا مرض، في سن معين هي التاسعة عند أكثر الفقهاء، ولون الدم عادة: السواد، وهو محتدم شديد الحرارة، لذّاع، محرق وموجع، كريه الرائحة.

ووقته: بلوغ الأنثى تسع سنين تقريباً، فإن رأت الدم قبل هذا السن، أو بعد سن اليأس وهو بلوغها الخمسين أو الخامسة والخمسين، فهو دم فساد أو نزيف (استحاضة)، وتصبح الأنثى بالحيض مكلَّفة بجميع التكاليف الشرعية، من صلاة وصوم وحج وحجاب ونحوها، وهي ما تسمى بسن المراهقة[١].



(١) الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ٦٠٤.

الفصل الثاني
أهمية هذه المرحلة

تـمـهـيـد:

إن الخصوصيات والصفات التي تبرز في سن البلوغ تشير جميعها إلى أهمية وحساسية هذه المرحلة من عمر الإنسان، وتبين ضرورة تربية الشباب بالصورة الصحيحة، وإنماء قابلياته بما يؤهله ليكون عنصراً نشطاً وفعالاً في المجتمع.

إذ أن هذه المرحلة تعد أحلى فترات العمر عند الإنسان، فهي من جهة مرحلة التألق والنشاط والحيوية والطراوة والفرح، كما أنها من جهة أخرى ذات مخاطر ومزالق خطيرة، بإمكانها أن تحوّل نشاط وحيوية الشاب إلى كآبة وحزن مستمر.

إن الحياة في عين الشباب هي حافلة بالطراوة والبهجة، كما أن هذه المرحلة هي من أمتع مراحل عمر الإنسان، ومن أجل الوصول إلى هذه البهجة والتمتع بها نلاحظ أن الشباب يقضون أكثر أوقاتهم باللهو واللعب وما شابه ذلك، كما تعم هذه المرحلة الكثير من الاضطرابات والإحباطات[1].

---

(١) تربية الشباب، علي القائمي ص ١٩ ــ ٢١.

إن بإمكان الشباب في هذه المرحلة أن ينشروا الخير والسعادة بين الناس وفي أوساط المجتمع، وذلك حينما يقتدون بالأنبياء، ويسلكون سلوك القرآن والسنّة والصحابة ومن بعدَهم، وأن يكونوا قدوة وأسوة للآخرين، كما أن بإمكانهم أن يصبحوا عناصر خطرة في المجتمع لا تجلب للناس سوى الشر والضرر[1].

موقف الإسلام من الشباب المراهق

إن موقف الإسلام من جيل الشباب يتجلى في اعتبارهم أثمن الثروات، وتأكيده على ضرورة توظيف طاقاتهم وقدراتهم من أجل الخير والسعادة، فقد تم الاستعانة كثيراً بطاقات الشباب في زمن الرسول ﷺ، الطاقات التي ساهمت بحل المشاكل والصعوبات التي كان المجتمع يعاني منها.

فقد ركز الرسول ﷺ وفي بدايات دعوته المباركة على جيل الشباب مولياً لهم أهمية فائقة، مستعيناً بالفطرة السليمة التي يتحلى بها هذا الجيل، بعد أن أطلعهم على الثوابت الأخلاقية والأصول الدينية، وضرورة أن يوجّه الشاب جميع قدراته وقابلياته باتجاه الخير والسعادة والإحسان.

ففي المرحلة التي سبقت الهجرة كان الشباب يثيرون إعجاب وحيرة المشركين، وذلك بإقامة الشعائر الدينية كالصلاة والدعاء.

ويعتبر سعد بن مالك والذي لم يتجاوز من العمر السابعة عشر أحد الدعاة النشيطين في تلك المرحلة العصيبة.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

وقد كان الرسول ﷺ يمنح الشباب الذين تتوفر فيهم شروط الإيمان والعقل والذكاء والأخلاق مواقع حساسة في جهادهم ضد الكفار والمشركين، فمصعب بن عمير هو أول مبلّغ للإسلام بعثه الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة بالرغم من أن مصعباً كان في ريعان عمر الشباب.

أما عتَّاب فقد عينه الرسول ﷺ قائداً لمكة المكرمة بعد الفتح الإسلامي، علماً أن عتاب لم يتجاوز من العمر حينها الواحد والعشرين عاماً.

وأما أسامة بن زيد، فقد عينه الرسول ﷺ قائداً لجيش المسلمين في حربهم ضد الروم، وكان لأسامة من العمر آنذاك ثمانية عشر عاماً[1].

ولقد نبه رسول الله ﷺ إلى أهمية الشاب الملتزم، فقال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله...» وذكر منهم: «وشاب نشأ في عبادة الله»[2]، تذكيراً لصعوبة الدور الذي يؤديه الشاب في المحافظة على نفسه، ونقاء صدره وجسده وروحه ضمن المتغيرات الاجتماعية والأخلاقية، وفورة الشباب واندفاعهم وحيويتهم.

ولو أردت أن أستعرض كل الشواهد الإسلامية لما فرغت من هذا الكتاب مطلقاً، لكنني أقول: إن أحد مؤهلات هؤلاء الشباب لاستلام هذه المناصب الحساسة هو قدرتهم على تحمل جميع أنواع العذاب والمشقات من أجل الدفاع عن حمى الإسلام، وقد أجاد الرسول ﷺ في توظيف هذه الطاقات الخلابة، وحرص كثيراً على عدم ذهابها هدراً، من أجل تحقيق العزة والسعادة لهم وللمجتمع الإسلامي.

---

(١) تربية الشباب ص ٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣.

احتياجات المراهقين والشباب

إن مرحلة البلوغ والثبات تُعد فرصة ذهبية كبيرة لا تتحقق للإنسان إلاَّ مرة واحدة، كما أنها من أهم النعم الإلهية التي يمكن للإنسان أن يحقق سعادته من خلال استثمارها بالنحو المطلوب، فهي لا تتكرر قط، ولذا يتحسر عليها المسنون، ويتحسرون على مزاياها من قوة وجمال وحب وأمل، وتتجلى أهميتها عند فقدانها أكثر وأكثر، ولذا من الضروري أن يرشد المسنون والكهلة الشباب، ويعينونهم على الطريقة السليمة للاستفادة من هذه المرحلة الفائقة الأهمية[١].

والمراهقون بحاجة ماسة إلى إدراك أهميتهم ومنزلتهم سواء في العائلة أو المدرسة أو المجتمع، وأن يولي الآخرون لهم الاحترام والتقدير شريطة أن لا يسبب لهم ذلك الكبر والغرور. فهم في بحث دؤوب لمعرفة ذواتهم، وترسيخ مواقعهم ومكانتهم بين الآخرين، ويسعون ويعملون للحفاظ على عزة أنفسهم وكرامتهم واستقلالهم عن الآخرين، واستلام مسؤوليات يتولونها بأنفسهم، إلاَّ أن عدم امتلاكهم للتجارب الكافية واللازمة، وتارة بسبب الاضطراب والكآبة، نلاحظهم يتهربون من المسؤوليات التي يلقيها المربون على عواتقهم، فهم يهيئون أنفسهم لبناء حياة مستقلة، ولذا يحاولون أن يمتهنوا المهن التي تساعدهم في بناء المرحلة الجديدة من حياتهم، كما أنهم يأملون أن يكونوا عناصر مفيدة ومثمرة في المجتمع، كما يأملون بالتحلي بالآمال والإرادة السليمة، لكنهم يجهلون الطريقة اللازمة لتحقيق هذه الآمال.

ومن هنا تنبع ضرورة وجود مربين ومرشدين واعين يوصلون الشباب

---

(١) تربية الشباب ص ٢٦.

بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى آمالهم وأهدافهم، آخذين بعين الاعتبار سلوكهم وتصرفاتهم وعاداتهم، ليمكن من خلال ذلك رسم الطريق المناسب لهم وتشخيص المهنة التي تلائمهم[١].

إن أغلب الشباب المنحرفين هم ضحايا لعدم تعرفهم على المربِّين الملتزمين، والذين كان بإمكانهم أن يرشدونهم إلى الطريق السليم حيث لم يكن لهم من يوقظهم من غفلة عمر البلوغ، أو يعيّن لهم الطريق الصحيح حيث كانوا غارقين في غمرة الآمال والأحلام الغامضة المتضادة، ويجب اطلاعهم على المعايير الاجتماعية والأخلاقية والقانونية، وتحفيزهم على ترك حالة الغرور والإعجاب بالذات، والاستعداد لتربية وإنماء الذات والتحلي بالصفات الحسنة، وكسب الصفاء المعنوي، وتقوية الصلة بالله وبكتابه، وإيجاد صداقات سليمة، وتهيئتهم ليكونوا عناصر مؤثرة وناشطة في المجتمع.

فكثيرون هم الشباب الذين يُفرحهم أنهم قد وصلوا إلى سن الاعتماد على الذات واستلام المسؤوليات، ولكن نفس الأمر يثير الرعب في قلوبهم، وتعتريهم أحياناً بسبب هذا الرعب رغبة أن يعودوا إلى سن الطفولة، على الرغم من أن مرور الزمن هو أيضاً عامل مؤثر في توعية الشباب وفي مرحلة بناء الذات، إلاَّ أن عامل الزمن بطيء في عمله، لذا وجب على المربين أن يسرّعوا في أداء هذه المهمة وفي تعيين الطريق الصحيح للشباب[٢].

لذا كان من الواجب ضرورة مراقبة الشباب في معرض الخطورات

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨، ٢٩.

(٢) تربية الشباب، بتصرف ص ٢٦ ــ ٣٢.

المتنوعة، سواء من الناحية الأخلاقية أو النفسية، فبإمكان بعض الأخطاء أن تحرم الشاب من السعادة وقد تلازمه نتائجها السيئة في باقي مراحل عمره. (وأنا هنا ألفت الانتباه إلى البنت المراهقة، فكثيراً ما يغويها الشاب ثم يتركها بعد أن يفترسها، وتبقى بقية عمرها في ندم وحسرة من أجل لحظة انقضت وتركت آثارها).

إن خطراً كهذا يتضاعف في حياتنا المعاصرة باسم الحرية، إذ الحرية تسحق الحرية، ويتم الترويج للإباحية والغرور، وعدم الالتزام بالقيم والموازين.

إن الإحصائيات العلمية المتعددة تشير إلى أن أغلب الاعتداءات والجرائم التي يقوم بها المراهق هي بسبب شراسة الشباب الناجمة عن عدم مراقبتهم وإرشادهم، فحينما يلاحظ المراهق أن شهواته وغرائزه قد خرجت عن السيطرة فسيقدم على أعمال منحرفة وعدوانية، لذا وجب على المربين والأهل مراقبة الشاب ورصد ذهابه ومجيئه وعلاقاته مع الآخرين وخلوته مع نفسه، على أن يتم ذلك بشكل غير مباشر، ودون أن يشعر الشاب لئلا يثير غضبه.

إن من الأمور المؤثرة في بناء حياة المراهق وشخصيته هو تعويده على الاستيقاظ مبكراً والعمل الدؤوب والسعي لتزكية النفس، بالإضافة إلى توعيتهم بقوانين الحياة ومتطلباتها، وكيفية الانسجام مع الآخرين وإطلاعهم على الأسس التي توفر لهم السلامة الجسمية والروحية، كما يتعين على المربي أن يقنع الشاب باستحالة الوصول إلى حياة سعيدة من دون تحمل المصاعب والمشاق التي تعترض طريق المجتمع[١].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المساجد، من جلس ينتظر الصلاة، (٦٢٩).

الشباب والمراهقون ذخائر البلاد

إن الشباب هم كنوز غنية للمجتمع، ومن الخطأ أن نكتفي بعدّ ثروات بلد ما دون أن نضع طاقات الشباب في الحسبان، إذ ثمة بلدان كثيرة تمتلك ذخائر وثروات وخيرات كثيرة، لكنها تفتقد القوى الفاعلة التي تستثمرها، أي قدرة الشباب، كما أن بلاداً تخلو من الذخائر والثروات والمنابع الطبيعية لكنها تستطيع أن تسير أمورها، وترفع عنها النواقص والاحتياجات اللازمة التي تواجهها من خلال برمجة القدرات الشبابية واستثمارها بالشكل الصحيح، إذ أن الاستفادة من قدرات الشباب هي ثروة عظيمة بحد ذاتها، إن الكثير من البلدان ما كان لها أن تتخلف لو أنها استعانت بقدرات الشباب، إذ لا بد من اعتبارهم ورود وثمار على وشك التفتح والتبرعم، ولا بد من سعيها ورفع احتياجاتها لكي تثمر ثماراً وافرة[1].

الدور المستقبلي للشباب والمراهقين

رغم أن الشباب والمراهقين لم يقضوا من العمر إلاَّ قليلاً، ورغم أن البعض لا ينظر إليهم بعين الاهتمام، لكنهم رجال المستقبل وإن إدارة المجتمع والبلاد ستكون على عاتقهم، كما سيتبوؤن في المستقبل مناصب عديدة، ومهام متنوعة، سواء المهام والمسؤوليات الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية.

إن حياتهم الاجتماعية تشرع بممارسة دورها بسرعة ملفتة للنظر، إذ سيستلمون مقاليد الكثير من الأمور، رغم أن أكثر هذه المسؤوليات هي مسؤوليات عادية لكنها في نفس الوقت تسدي خدمة للمجتمع وترفع احتياجات ونواقص جمّة.

---

(١) تربية الشباب ص ٥٠.

إن دور الشباب يتمثل بدور النشاط والحركة والفاعلية واستلام المسؤوليات، لذا يجب أن يوجّهوا توجيهاً سليماً لكي ينجزوا مهامهم بالنحو الصحيح، وليصيروا عناصر مفيدة في المجتمع ذات دور لا يمكن أن نتغافل عنه، كما من الضروري جداً أن ننمّي عندهم روح العمل واستلام مواقعهم المناسبة في حركة المجتمع، وباختصار يجب أن نشجعهم على العمل الجماعي[1].

إن للتربية الدينية الإسلامية فائدتان عظيمتان، فهي تلبي شعورهم الديني أولاً، وتسيطر على رغباتهم وتحد منها ثانياً، ومن هنا يتبين ضرورة اطلاعهم على السنن والقوانين الإلهية والضوابط الشرعية، والأحاديث النبوية، فبذلك نحصّنهم من المزالق والانحرافات.



(١) المصدر السابق ص ٥١ ـ ٥٦.

الفصل الثالث

شخصية المراهقة في الإطار الإسلامي

خصائص شخصية المراهقة في الإطار الإسلامي

ونقصد بها تلك التي تتربى في كنف الإسلام وتحت ظلاله، والمعروف أن الشخصية مفروض أن تتمشى مع نوع ثقافة المجتمع السائد، ولذلك فمن المفروض أن تستهدف مؤسساتنا التربوية إعداد الشخص الصالح للمعيشة في المجتمع الإسلامي المعاصر، ولا شك أن الإسلام يطبع شخصية أبنائه بطابع معين، ويغرس فيهم قيماً، ويكوّن في شخصياتهم سمات وخصائص لا تتكون إلاَّ في إطار التعاليم الإسلامية الخالدة.

السمات والقيم التي تغرسها التربية الإسلامية

سنستعرض السمات والقيم التي تغرسها التربية في الشخصية إذا سارت على هدى من الإسلام الحنيف.

١ ــ سمة التعاون في شخصية المراهقة المسلمة:

يحض إسلامنا أبناءه على التعاون في مجال الخير والنفع والبر والتقوى والإحسان، والخوف من الله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢]، والمسلم منهي عن صداقة الكفار لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن

﴿فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣][1].

٢ ـ سمة الاعتدال والتوسط في شخصية المراهقة:

يحرص الإسلام على تربية أبنائه على التوسط والاعتدال، فلا إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا إسراف، ولا تقتير ولا بخل ولا شح، وإنما التوسط بين هذا وذاك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨]، فأمة الإسلام جاءت بعيدة عن التطرف والمبالغة، وإنما اتسمت بالتوسط والاعتدال لتكون شهيدة على غيرها من الأمم ومصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويحث الإسلام على التوسط وعدم الإسراف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

وكقوله تعالى: ﴿۞ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١][2].

٣ ـ السمة الإيجابية في شخصية المراهقة:

الشخص المسلم لا يتربى على السلبية والتواكل أو الانعزالية والبعد عن الانخراط في معترك الحياة الاجتماعية، وإنما هو إنسان إيجابي يقف من الأحداث موقفاً فاعلاً مؤثراً في كل ما يدفع إلى الخير والنفع، وكل ما يبعد الشر والفساد والطغيان والمنكر والخبث والخبائث والفحش والفواحش، فهو مسؤول وراع لنفسه ولأسرته، وهو مصلح لذاته ولغيره،

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٦.

وذلك انطلاقاً من المبدأ الإسلامي التربوي البليغ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٤ ـ سمة القوة في الشخصية الإسلامية:

يربي الإسلام أبناءه على القوة بمعناها العام أي الجسمية والعقلية وقوة الإيمان، ولكنها القوة المشروطة بالخير والنفع والمحاطة بسياج من الأخلاق الإسلامية كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

ووفقاً لقوله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[١].

ولذلك لا بد للمراهقة من الاعتناء بسلامة جسدها من الأمراض، وأن تحصنه بالطعام الجيد، والنوم الهادىء غير المتقطع، وأن تمارس الرياضة التي لا ترهقها، والمشي والسباحة بحدودها الشرعية، والاعتناء بنظافة الجسد ورعايته والشعر والبشرة والهيئة العامة واليدين والأظافر، والاستحداد (تنظيف الشعر من الإبطين والعانة)، وغير ذلك من خصائص الفطرة التي دلنا عليها الهدي النبوي الكريم.

---

(١) صحيح مسلم: المؤمن القوي خير (٢٠٥٢).

٥ ـ تنمية روح المسؤولية في الشخصية الإسلامية:

الإسلام مدرسة جامعة، وحركة إصلاح عالمية كبرى تستهدف بناء الفرد على أسس سوية وقويمة، بحيث يشبّ الفرد مواطناً صالحاً يتحمل المسؤولية ولا يتهرب منها، ويقوم بواجبه من وازع ضميره الخلقي الداخلي[١]، وذلك استرشاداً بالرسول الكريم ﷺ في قوله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته». قال: وحسبت أنه قد قال: «والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[٢].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣].

ومبدأ المسؤولية في الإسلام يسير وفق التدرج والواقعية، فكل إنسان مسؤول في حدود إمكاناته وقدراته ودائرته، وفي ذلك تنظيم للحياة الاجتماعية بمختلف مستوياتها، إذ لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها، ومبدأ مراعاة الفروق الفردية من المبادىء السيكولوجية الحديثة التي تؤكدها التربية وعلم النفس[٣].

المسؤولية في الإسلام محددة والجريمة عقابها لفاعلها: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب صلاة الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (٨٥٣).

(٣) المصدر السابق ص ٣١٨.

٦ ـ سمتا الواقعية والموضوعية في الشخصية المسلمة:

يوجه إسلامنا الحنيف الفرد للابتعاد عن كل مظاهر الشعوذة والخرافة والسحر، وكل أنواع الأباطيل والضلال والبدع والأهواء والنزعات الشخصية المتطرفة أو المتعصبة التي لا تستند إلى واقع أو إلى منطق سليم، فالواقعية تعني إيمان المسلم بالواقع لا بالأهواء الوهمية، والموضوعية تعني أنه يلتزم في أحكامه بالوقائع والحقائق الثابتة البعيدة عن الأهواء الذاتية أو الشطحات والتعصب، فالمسلم الحق يؤمن بالتجربة والخبرة ولذلك يتخذ الحيطة والحذر كما في قول رسول الله ﷺ: «لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين»[1].

ويدعو الإسلام إلى التفكير والتأمل والتبصر والتدبر في مخلوقات الله، ومعجزات الكون، وفي أنفسنا لترسيخ وتأصيل إيماننا، والعلم يبعد الإنسان عن التحيز والتعصب واتباع الهوى والشعوذة، فالعلم موضوعي، والإسلام حركة عقلانية علمية يخاطب العقل والقلب والحسّ والوجدان والشعور، ويكرم العلم والعلماء، ويدعو إلى نشر العلم والتفقه في الدين، ويُعدّ هذا من قبيل الواقعية المعتدلة اهتداء بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله تعالى في تكريم العلماء: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وعن رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

وقوله ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (٥٧٨٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم (٧١). .

الجنة»[1]، وفي الدعوة لنشر العلم يقول ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[2]، وسمة الصدق التي يدعو إليها الإسلام تمنع قول الزور والغش والبهتان والنصب والاحتيال[3].

٧ ـ سمة التوازن والتكامل في الشخصية المسلمة:

ينمي الإسلام سمة الوعي والإدراك والفهم والتبصر، فالمسلم يعي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]، وتجتمع في الشخصية المسلمة وتتكامل كل الفضائل كالبر والإيمان والتقوى والورع والخشوع والرحمة والمودة والإخلاص والولاء والحمد والشكر والعفة والطهر والطهارة والزهد والصدق والصبر والصلاح والرضا والتوكل على الله وسلامة النية وصفاء السريرة، والإحسان، وحب السلم والسلام والمسالمة وحب الرفق والنظافة والطهارة والإيمان والقوة والعدل والإنصاف والأمانة والهدي والفلاح والسعادة والمودة.

كما أن المسلم اجتماعي بطبعه وفطرته كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ويؤمن المسلم بالإخاء لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب العلم، فضل السعي على العلم (٢٥٠٤).

(٢) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب النهي عن كتم العلم (٢٦٤٩).

(٣) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣١٩.

ففي الشخصية الإسلامية تكامل بين مختلف قواها النفسية والعقلية والإيمانية والجسدية والاجتماعية، وتكامل بين العقل والروح والقلب والعقل، فالإسلام يأمرنا بالبعد عن الهوى ويدعونا لنعمل لآخرتنا كأننا نموت غداً، ونعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً، ويرشدنا أنَّ لبدننا علينا حقاً، ويدعونا للصلاة والصوم والذكر والحج، وفي نفس الوقت يدعونا للعمل والتجارة والكسب الحلال، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠].

كما ينظر الإسلام للإنسان على أنه مزيج من القوى الروحانية السامية والقوى المادية أو الجسدية، ولا يغفل جانباً من هذين الجانبين، وإنما يهتم بهما معاً في تناسب وتناسق، ويجعل القوى الروحية السامية تعلو القوى المادية، وتسيطر عليها، وتنصاع لها في الإنسان[1].

ويدرك الإسلام الطبيعة الإنسانية إدراكاً جيداً، فيعرف أن الإنسان ضعيف أمام القوى الأخرى، ولذلك يخفف الله عنه ضغوط البيئة ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، ويراعي الإسلام قدرات الإنسان المحدودة فلا يكلفه بأزيد من طاقته حتى لا يشعر بالفشل والإحباط ويفقد ثقته في ذاته، ويكره الأمور التي يفشل فيها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وتتوخى التكاليف الإسلامية الاعتدال والتوسط في طلب أدائها، وتتوخى التيسير على الناس بحيث يستطيع الإنسان المتوسط القيام بها دون معاناة أو مشقة[2].

---

(١) أضواء على التربية في الإسلام: علي القاضي ص ٥٤، دار الأنصار، القاهرة ١٩٧٩م.

(٢) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٢١.

وللتوازن أهمية كبيرة في حياة المسلم وله مجالات كثيرة، فهناك التوازن بين قوى الإنسان نفسه، وهناك التوازن في التشريع، وهناك التوازن بين الفرد والمجتمع، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الرجل وزوجته، وبينه وبين أبنائه وبناته، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا إهمال.

فالإسلام يعترف بقيمة الفرد ودوره في الحياة الاجتماعية ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٥].

وكل إنسان في الإسلام راع ومسؤول عن رعيته، بل هو مسؤول عن نفسه فلا يلقي بها إلى التهلكة، وخلافة الله في الأرض وإعلاء كلمته، وعمارة الكون، والمحافظة على حقوقه، وقيامه بواجباته مسؤولية الفرد أمام الله عن المجتمع الذي يعيش فيه.

كما يحافظ الإسلام على حياة المجتمع ووحدته وتماسكه وبقائه كما في الحديث الشريف: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أننا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(١).

فالفرد عضو في جماعة عليه أن يحافظ على وحدتها ولا يدمرها، وهناك توازن بين أن يسلم المرء نفسه لله تعالى الخالق الرحيم، وبين أن يتحمل هو المسؤولية أيضاً.

وهناك توازن بين أداء العبادات والسعي على العيال اهتداء بقول الرسول ﷺ: «إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ويكرها

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشركة، هل يقرع في الشركة؟ (٢٣٦١).

السعي على العيال»[1]، ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسداء النصح، وعيادة المرضى، والمشي في الجنائز، ورد السلام، وتشميت العاطس، والتزاور في الأعياد بين المسلمين، والدعوة للجهاد في سبيل الله والوطن[2].

فالإسلام يربي أبناءه على الإيجابية والتربية الإسلامية إذ تأخذ الإنسان كما هو فتعنى به من الناحية الجسمية ومن الناحية الروحية ومن الناحية العقلية حتى يكون صالحاً لأداء رسالته في الأرض لأنه خليفة الله، وبذلك يكون صالحاً للاتصال بالله تعالى صالحاً للتعرف على أسرار الكون، وصالحاً لعمارة الأرض. واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازناً في الإنسان ومقوماته[3] ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وتتضمن الشخصية في الإسلام جوانب الخير والشر، والإنسان مختار طريقه ويعمل الوعظ والإرشاد والتوجيه والتربية على تزكية جانب الخير[4] ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

ويغرس الإسلام في أبنائه كثيراً من الخصال الحميدة ومن بينها المودة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) مجمع الزوائد ٤ (٦٣).

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: النووي، باب حق المسلم على المسلم ١٠٨ (٢٣٩)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٧م.

(٣) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣١٦.

(٤) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٢٢.

٨ ــ سمة الإحسان في الشخصية الإسلامية:

فالمسلم مدعو إلى التعود على الإحسان لغيره، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]، ومن مزايا التربية في الإسلام أنها تستهدف بناء النفس من الداخل، فحقق الإسلام سعادة الفرد وطمأنينته، وكفل للمجتمع وحدته وترابطه، فالتربية في الإسلام تستهدف إرهاف إحساسات الإنسان وانفعالاته وتنظيمها.

٩ ــ سمة التمايز في الشخصية الإسلامية:

يسعى الإسلام إلى تكوين الشخصية المسلمة بصورة متمايزة عن غيره من أرباب الأمم الأخرى، وينهى عن التشبه باليهود والنصارى أو التمسك بعاداتهم، ويتضح ذلك من الصورة التي تؤدى بها العبادات والعادات والتقاليد، كما في قوله ﷺ: «خالفوا المشركين وفِّروا اللحى وأحِفّوا الشوارب»[١]، ذلك لأن المشابهة في الظاهر تورث المحبة والموالاة في الباطن، وكذلك خمار الرأس بالنسبة للفتيات ولباسهن الإسلامي هو صفة تمايز، وعدم تشبههن بالخروج مثل اليهوديات والنصرانيات والغربيات الملحدات.

وإلى جانب هذه السمات فالإسلام يربي المسلمين على مجموعة من السمات الإيجابية الأخرى العدل والمساواة ــ التسامح والعفو ــ الرفق والإحسان ــ الصدق والزهد ــ الأمانة والمرابطة ــ الشكر والشورى ــ الصبر والجهاد ــ حب العمل والطهر ــ العفة والإخاء ــ الاستقامة والتقوى ــ الخشوع والورع ــ التوكل على الله والإيمان ــ النظافة واليسر والتساهل ــ الحمد والقسط ــ التضرع والتواضع ــ التوبة والرحمة والشفقة ــ السلام

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، إعفاء اللحى (٥٥٥٣).

والرشد والإرشاد ــ الصلاح والعزة والكرامة ــ الفلاح والنظام ــ صفاء النية ونقاء السريرة ــ الطاعة في غير معصية الله ــ الأمل والرجاء.

هذا وينهى الإسلام عن أضداد هذه الصفات، وبذلك يتضح لنا أهمية أن تنحو التربية في المجتمعات العربية نحواً إسلامياً، وأن تصبغ العلوم الحديثة بالصبغة الإسلامية، وأن يتم اختيار عناصرها وموادها بحيث يتم إمضاء ما يتعارض مع الدين الإسلامي، وأن نربط في تدريسنا بين العلوم الحديثة وأصولها الإسلامية، وتطبيقاتها العملية في حياة المسلم، وإذا استطاعت التربية أن تتجه وجهة إسلامية استطاعت أن تعيد بناء المواطن المسلم، وأن تصقل شخصيته، وأن تجعله قادراً على الإنتاج وعلى ممارسة الإيجابية والديمقراطية، وعلى أن يسهم في خير نفسه وخير مجتمعه، وأن يعلي كلمة الحق، ويرفع من شأن الإسلام، ففي الإسلام صلاح الفرد والمجتمع[1].



(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٢٤.

الفصل الرابع
التغيرات الجسدية والنفسية في حالة المراهقة

تمهيد

إننا عندما نبحث في التغيرات الفكرية الجسدية والنفسية للمراهق يتبادر إلى الوجود ظاهرة تفكير المراهق، وحالاته الانفعالية.

تدل الدراسات العلمية على أن إدراك الطفلة للحروب يدور حول الآثار المباشرة، وما تراه فيها من تخريب مباشر، بينما يستطرد إدراك المراهقة لترى هذه الغارات نذير خراب مقبل يهدد حياة الناس ما دامت الحرب قائمة، وبمعنى آخر فإن إدراك المراهقة يتخذ آفاقاً واسعة من الماضي والحاضر والمستقبل، وتحاول أن تتعمق في إدراكها لتدرك الأسباب المباشرة والأسباب غير المباشرة والنتائج القريبة والنتائج البعيدة، بينما لا يتعدى نطاق إدراك الطفلة الزمن الحاضر الذي تعيشه[١].

إن المراهقة المسلمة تستطيع أن تدرك الكثير من الأسباب السياسية والاستعمارية، والدوافع النفسية الظاهرة والخافية لحروب العصر الحديث،

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٩٨.

ويواصل إدراكه فتبدد له بعض أهداف هذه الحروب، فيدرك أنها ترمي إلى بث الرعب والفزع في النفوس لقتل روح المقاومة والتسليم بالعجز عن مجاراة المستعمرين الذين يهدفون إلى بسط النفوذ، كما يهدفون إلى نشر الفساد وسيادة الظلم والبغي وسلب الثروات.

وتستطيع المراهقة المسلمة مواصلة إدراكها فتبدو لها بعض نتائج هذه الحروب على مستقبل الإنسانية، وعلى مدى تمتع الفرد بحريته الشخصية وحقوقه الضرورية، وإن المراهقة المسلمة إذا ما قرأت القرآن الكريم فإنها تستطيع إدراك الفوارق بين الحرب الحديثة والحرب في الإسلام، وأن تدرك الآداب السامية التي كتبها الله على المؤمنين في حربهم مع الكافرين، فالخراب والدمار الذي يحدث من جراء الحرب في العصر الحديث، وتعريض النساء والشيوخ والأطفال والعجزة إلى القتل الجماعي والإبادة الشاملة، وتعرض من ينجو منهم إلى الإصابات الأليمة والتشوهات والأمراض. كل ذلك تشنها الدول الملحدة للحصول على ثروات البلدان، ورغبتهم في تملك الثروة والمطامع وإشباع رغباتهم في الاستغلال.

وبالمقارنة مع مفهوم الحرب في الإسلام تستطيع المراهقة أن تدرك سمو الجهاد في الإسلام عن الحرب الاستعمارية الحديثة رغم اتحادهما في بعض المظاهر، فالجهاد في الإسلام يهدف إلى إتاحة الفرصة لجميع الشعوب أن تعبد الله مخلصة له الدين. كما أنها لا تقر إجبار أي إنسان على ترك دينه والدخول في الإسلام، إلاَّ أن يكون دخوله الإسلام عن اقتناع ورضا واطمئنان، كما تدرك سمو الحرب في الإسلام التي لا تقبل التخريب والدمار والقتل الجماعي للأطفال والنساء والشيوخ الذين لا حيلة لهم، وكلما طالعت المراهقة سنَّة رسول الله ﷺ عن الجهاد وآدابه ازدادت

إدراكاتها عن فضائله[1].

روى الإمام مسلم قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيشٍ أو سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً»[2].

فالإدراك عند المراهقة إذاً هو وسيلة الإنسان للاتصال ببيئته والتعرف عليها، كما أن حدوث عملية الإدراك عند المراهقة تقوم على أمرين:

١ ــ أن تدرك بطريقة ما أن ما تريده (كالأكل مثلاً) موجود في بيئتها.

٢ ــ أنه لا تستطيع أن تحافظ على وجود الأشياء التي تريدها إلاَّ إذا أدركت وجود الأخطار التي تهدد حياتها من عدم وجودها.

والإنسان كغيره من الكائنات الحية يولد مزوداً بقوى فطرية هائلة لتحقيق عملية الإدراك، ولا يتعلم الكائن الحي كيف يستخدم هذه القوى الهائلة قبل أن يستخدمها مباشرة، غير أن استعماله ينمو ويتهذب بحكم اتصاله المتكرر بالعالم الخارجي، ويستعمل الكائن الحي هذه القوى للمحافظة على بقائه، وفي تنفيذ أغراضه الدنيا والعليا في الحياة[3] هادفاً أن يكون هذا التميز متصفاً بالتكامل والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية فإذا تم التعاون ضمن هذين الشرطين المذكورين فالفرد يكتمل روحياً وجسدياً ويتكون عقلياً ونفسياً، بل يكون إنساناً متوازناً سوياً ينال إعجاب الناس ويُشار إليه بالبنان.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٩.

(٢) صحيح مسلم من حديث طويل، كتاب الجهاد، آداب الغزو (١٧٣١).

(٣) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٠١.

أولاً ـ في البعد الفكري

إن فكر المراهقة هو فكر جديد بإمكانه أن يتطرق إلى موضوعات جديدة، كما بإمكان المراهقة أن تبدي رأيها في الكثير من المسائل، لكن أفكارها هذه ليست مستقرة على منوال واحد، وإنما تشهد باستمرار تغيرات جديدة.

ويعتقد بعض علماء النفس أن سبب هذه التغيرات هو أن ذهن المراهقة يستقبل باستمرار أفكاراً وآراءً جديدة خارجية تؤثر عليها، دون أن تكون لها القدرة على تقييمها وتحليلها أو اكتشاف نقاط القوة والضعف فيها، وهذا ما يجعلها أن تكون في مهب الأفكار المنحرفة والمغرضة والتي تُطلى بمظاهر محرّفة لا حقيقة لها، ولهذا السبب نشهد أن ذوي الأفكار المغرضة يروّجون لأفكارهم في بادىء الأمر في أوساط الناشئة والشباب مستغلين نقطة الضعف هذه[1].

إن عدم امتلاك المراهقة لخلفية فكرية متينة قائمة على الكتاب والسنّة وآثار الصحابة والسلف الصالحين هو السبب الرئيسي في انضمامها إلى التنظيمات الأخلاقية والاجتماعية ذات الأغراض الباطلة، ولا تستطيع المراهقة أن تكتشف خطأها إلاّ بعد مرور فترة غير قصيرة من الزمان، تكتسب فيها التجارب والخبرات.

لذا فإن دور النشاطات الثقافية والفكرية القائمة على الأخلاق والمبادىء الدينية السامية هو دور هامّ يحول دون سقوط المراهقة في هاوية الانحراف[2].

---

(١) تربية الشباب ص ٧١.

(٢) تربية الشباب ص ٧٢.

(أ) البعد الفكري في فهم الحقائق:

يستمر العقل في هذا المقطع الزمني بالنمو، وباقترانه مع الذكاء تقوم المراهقة بتنفيذ بعض التجارب والابتكارات، ويسعى الناشىء إلى معرفة بعض الظواهر، ورغم أن بعض الأحداث يمتازون بمستوى عقلي ممتاز لكن ليس لديهم قدرة على التحليل والتفسير، كما أن أغلبهم هم أولئك الذين لم يتبلور مستواهم العقلي إلى الحد الذي يجعلهم يميّزون فيه بين الخير والشر أو مصير الأمور، وقد يختلف بعض الراشدين عقلياً فيلجأون إلى الانحراف الأخلاقي والفساد وتسبب تصرفاتهم أضراراً للمجتمع.

وتشير بعض الروايات والأحاديث الشريفة إلى أن النضج العقلي يتم في عمر الكمال أي الخامسة والثلاثين أو الأربعين (إذا بُلِّغ عليه الصلاة والسلام بالرسالة لما بلغ الأربعين من عمره)، ويصاحب ذلك مقدار من الغرور والكبر، كما أن مسألة تهذيب النفس هي عملية شاقة بالنسبة للمراهقة وتحتاج إلى بذل جهود مكثّفة، ومراقبة تربوية.

إن المراهقة تسعى إلى تكوين حياة سعيدة، ولكن بدون أن تمتلك التخطيط المناسب لهذا الهدف[1].

(ب) البعد الفكري في إصدار الأحكام:

إن الأحكام التي تطرحها المراهقة تتسم بالسطحية لأنها مبنية على مشاهدات لا يمكن تعميمها، إن الناشىء لا يتطرق للأمور بنظرة واعية عميقة، إذ أن مشاعرها هي التي تسيّرها لا عقلها، لذا نشهدها منحازة لما يناغم مشاعرها وأحاسيسها، وهذا ما يسبب لها معضلات اجتماعية، إذ أن تمردها وعنادها ناشىء من نفس الجذر، ولذا نلاحظها تحتقر آراء

(١) تربية الشباب ص ٧٠، ٧١.

ووجهات نظر الآخرين، وقد تتأسف لعدم اكتراث الآخرين بآرائها، إذ أن المعيار الذي يتحكم بها يختلف عن معاييرهم التي هي الأقرب للصواب[١].

إن مختصر المعلومات التي اكتسبتها المراهقة في إبداء رأيها لهي أسس هشة، مما يجعل الآخرين من ذوي الاطلاع يطرحون آرائهم المعاكسة لآرائها فتعتقد المراهقة أن أي رأي يخالف رأيها إنما يمسّ من شخصيتها، وهذا ما يسبب بدوره بعض المشاكل والتي ربما وصلت إلى حالة خطرة قد يصعب تفاديها[٢].

(ج) البعد الفكري في الاستغراق في الأوهام:

رغم الاهتمام الذي تبديه المراهقة بالواقع، لكنها من جهة أخرى ميالة إلى الأوهام والخيالات والتخيلات، فتستغرق فيها، فتصدق بسهولة ما يقال لها دون أن تفكر بحقيقته، ويصل الاستغراق في الأوهام إلى درجة تجعل المراهقة تفقد التمييز بين ما هو حقيقي وواقعي وبين ما هو محض أوهام وتخيلات، إنها حتى في لحظات اليقظة غارقة في الأوهام، كما أنها تعيش حالة صراع عنيف بين الحلول الوهمية التي تبتكرها مخيلتها وبين الواقع، ولذا تسعى باستمرار أن تتخذ موقفاً عنيفاً وحاداً من الأمور التي لا تسير على ضوء أوهامها[٣].

(د) البعد الفكري في الذوق والفن:

في هذا المقطع الزمني نشهد أن المراهقة تميل إلى الفن والجمال أكثر من أي مقطع زمني آخر، إن هذا الاهتمام بالمسائل الفنية قد يخفف من

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٧٢.

(٣) تربية الشباب ص ٧٣.

معضلاتها النفسية، وقد يتوافق وينجح فيها، كما يحد النشاط الفني من الغرائز الأخرى الجنسية، لذا يجب أن يُطلب من المراهقة أن تنجز بعض الأعمال الفنية كالرسم والبستنة والحياكة والتطريز والسباحة بمعزل عن الرجال، وركوب الخيل، وتجديف القوارب، وغيرها من الأعمال التي أباحها الإسلام للمرأة بشروطها الشرعية[1].

ثانياً ـ في البعد النفسي

يُعد البلوغ استمراراً لفترة الطفولة مع فارق ينحصر بظهور تحول جلي في جسم وروح أي إنسان، واختلاف في الفعاليات النفسية يفصل بين الشيخوخة والشباب والطفولة، لذا فإن أول مسألة يجب معرفتها لتوجيه المراهقين والشباب هي الاطلاع على ما يحدث في أجسامهم من تغيرات، ويجب أن تتعرف عليها الفتاة خاصة لتتعلم ما يحصل بداخلها.

ثالثاً ـ في البعد الجسمي

يكون الجسم في مرحلة المراهقة في نمو سريع أكثر سرعة من المراحل الأخرى، إذ أن مرحلة البلوغ هي مرحلة النمو الجسمي الأوسع، إذ وكما يقول علماء النفس: إن النمو السريع إلى الحد الذي تغدو ملابس الأسبوع الفائت ضيقة الحجم، ويستمر هذا النمو المتسارع إلى أن يتوقف في الرابعة والعشرين من العمر، علماً أن النمو الجسمي عند البنات أسرع مما هو عليه عند البنين.

فعند البنين تتوسع الحنجرة إذ يتضاعف حجم الأوتار الصوتية إلى ضعفين فيخشن الصوت، وهذا لا ينحصر عند البنين لكنه يكون عند البنات

---

(١) تربية الشباب ص ٧٤.

بشكل بطيء وغير ملحوظ، ويترافق توسع حجم الوركين عند البنت، وبروز النهدين، وهذا ما يُسبب مشكلة للبنات إحداها الخجل، وحني الظهر لعدم إبراز نهديها، إن العوارض التي تنشأ إثر نمو الجسم تنبّه الشاب والفتاة من أنهما دخلا مرحلة جديدة تقتضي أن يُفتح لها حساباً خاصاً بها[1].

إن السيطرة على أعضاء الجسم جد لازمة في هذه المرحلة لئلا تسبب مشاكل، إذ أن طول القدم قد صار أكثر من الأيام القليلة السابقة، لذا يتعثر المراهق ببعض الحاجات والأشياء، أو أنه يريد أن يتمازح مع أصدقائه فيحرك يده، لكن دون أن يقصد ترتطم اليد بوجه أحدهم، وما شابه من هذه الحوادث الناشئة إثر نمو أعضاء الجسم.



(١) تربية الشباب ص ٦٢.

الباب الثاني

شخصية المراهقة:
حالاتها وسلوكها ورغبتها في الاستقلال

الفصل الأول : سلوك المراهقة: تقليدها للأخريات ـ بحثها عن أدوار البطولة في الممثلات ـ كسب محبة الآخرين ـ حب الظهور ـ اللجوء إلى المغامرة ـ السلوك العدواني ـ الهجوم ـ الهروب السريع.

الفصل الثاني : شخصية المراهقة وحالاتها: خُيلاؤها ـ أنانيتها ـ رغبتها في التفوق ـ الآمال العريضة ـ رغبتها في التملك ـ أسرارها ـ أمانيها.

الفصل الثالث : حالات ومشكلات تتكون بالعادة: الكذب ـ الغش ـ التدخين ـ الكحول ـ المخدرات ـ المستنشَقات ـ سوء استعمال الأدوية.

الفصل الرابع : حالات أخرى: رغبتها في التحرر والاستقلال ـ التشاؤم ـ الانزواء ـ الأحلام ـ الأعمال السرية ـ التردد غير المبرر ـ الرغبة في التسلط والتمرد والعصيان على الأسرة ـ مظاهر هذا التمرد ـ نقد الغير ورغبتها في الإصلاح ـ الخشونة ـ العناد.

الفصل الأول

سلوك المراهقة:

(تقليدها للآخرين ـ بحثها عن أدوار البطولة
كسب محبة الآخرين ـ حب الظهور
المغامرة العدوانية ـ الهروب)

تُعد مسألة السلوك لدى المراهقات من المسائل الباعثة على التأمل، فهي ذات خصوصيات تشكل في مجموعها حالة عدم النضج وعدم الاتزان، الاندفاع والحدّة المصحوبة بعواطف وأحاسيس خيالية، وهي قياساً ومقارنة بسلوكيات الكبار تبدو عجيبة، إذ أن سلوكياتهم ستكون مضادة تماماً لسلوكيات المراهقين والمراهقات.

فالمراهقات لا يستوين على أسلوب في السلوك ثابت ودائم، وهذا فإنه من الصعب علينا التنبؤ به مسبقاً، فمواجهتهن للآخرين غير ملائمة وربما مؤلمة في أكثر الأحيان.

وتهدف كل تلك السلوكيات لتحصيل المواقع المعبّرة والأماني وإشباع الرغبات والانسجام، وإرضاء الجماعة وكسب الموقع الاجتماعي، وبطريقة ما هي تقليد الكبار الذين نجحوا في تحقيق كل ذلك، وهذه الحالة سرعان ما تزول عندما يصلون إلى مرحلة النضج وإلى السلوك المبني على التعقل.

التقليد ورفض التقليد

في سلوك المراهقات رغبات متناقضة في نفس الأطر، التقليد ورفض التقليد في آن واحد. فهن يقلدن تقليداً أعمى لغرض بناء شخصياتهن، وكسب محبة المجتمع والارتقاء والشهرة، لأننا نعلم أن هذه النزعة تكون قوية عندهم، إنهن يرغبن بالنمو والتقدم والتكامل، لكنهن يفتقرن إلى إمكانية هذا الرشد فتضطرب السلوكيات لديهن.

التقليد لدى المراهقات أكثر منه في سن الشابات، وهو سيشكل خطراً تربوياً عليهن لافتقارهن إلى القدرة العقلية اللازمة لتشخيص الجوانب الحسنة من السيئة في هذا الإطار، ويكون التقليد أكثر لدى الفتيان منه لدى الفتيات، وخصوصاً بين سن ١٦ ــ ١٧، إذ يصل إلى أشدّه ويتم السعي لتقليد سلوك الأخريات في مجال طرق الحديث ونوع التصرفات، وأساليب الحياة الأخرى، وقد يقود التقليد إلى تعلم المراهقات الكثير من المسائل، وأن يكسبن معارف مهمّة، إلاَّ أنهن أيضاً بسببه قد يرتكبن الكثير من الجنايات والأخطاء، ويتخلين عن التمسك بالضوابط الاجتماعية والأخلاقية والآداب والعادات المتوارثة.

وعند بلوغ هؤلاء مرحلة الشباب، فإن التقليد لديهن ينقلب إلى رفض التقليد تدريجياً، بحيث تصبح لديهن أفعال كبار السن منفّرة، وإن الفتاة تحاول عدم التقليد حتى في القضايا التي لا بد من التقليد فيها، وتعمل على إعادة النظر في قيمها وسلوكياتها وعاداتها، والمهم تربوياً أن يصار إلى التحفيف من حالة رفض التقليد التي تعقبها عن طريق العمل لأن لا يكون التقليد تقليداً أعمى، وأن لا تقبل القضايا بلا تفكير ولا محاكمة، ثم يجب أن لا يرفضن ما يرفضنه بهذه الطريقة المتطرفة.

ولكنني بملاحظتي وجدت أن الفتاة أو الشاب عندما يتجاوزون مرحلة

الشباب إلى الثلاثين فما فوق من العمر، تعود لديهن فكرة تبني آراء الوالدين وأفكارهم وتصرفاتهم وسلوكهم، فتجد الواحدة تتصرف وكأنها والدتها في جلستها ومنطقها وكلامها، حتى لتبقى صورة مصغرة عنها، هذا ما تثبته الأيام بعد ذلك وتعيده دورة الحياة الدنيا.

الولع بأدوار البطولة والمشهورات من النساء

في عمر المراهقة تتكرس الرغبة في أدوار البطولة والولع بها وملاحقة الأبطال والمغَنين المشهورين، وعارضات الأزياء، والممثلات اللواتي ضربن رقماً قياسياً في الأدوار والأفلام، وتقليدهن لهن من خلال ذلك ينلن التفوق، إنهن يقرأن قصص حياتهن، ويتساءلن عن سر نجاحهن، ويقلدنهن في تسريحات الشعر وطرق اللباس إلى درجة مضحكة، تصل إلى شراء نفس أنواع فرش الأسنان ونوع الصابون، والعطر الذي تستعمله، وفي كل شيء يحاكين أذواق البطلات ويطبقن كل تصرفاتهن.

أحياناً يقلّدن أبطال الرياضة، ويجاهدن للحصول على بطولات مشابهة رغم أنها تحتاج إلى قدرات لا يملكنها، وربما رأيناهن يقمن بعمل ريجيم كما تفعله تلك الفنانة، أو تسعى للدخول في نفس مجالها تقليداً لها في ذلك المضمار، وإذا كانت تلك المشهورات يقدمن سلوكيات خارجة عن المألوف، فإن المراهقة تتبع تصرفها، وبذلك تخرج على الأعراف الاجتماعية، وقد تلجأ المراهقة إلى تقليد نجوم التلفزيون ويحصلن على صورهم، ويعملون على إجراء الصور الخيالية التي يعرفنها عنهم في الحياة العملية لمجرد الفخار والتباهي، وإذا صدف والتقت بإحداهن فإن الدنيا تقوم وتقعد ويكون الحديث عن ذلك سبيلاً للافتخار أمام الزميلات، وأسباباً سهلة ومسهبة للكلام الطويل، والخيال الواسع، ولاختلاف ما لم يحدث أو يكون.

تتعدى أدوار التقليد إلى الابتسامة والضحكة جاعلات منهن مثالاً للاقتداء، وإذا استطعنا أن نجد من هؤلاء قدوة صالحة تدفعهن للاقتداء بهم فإننا سننجح في مهمة تربيتهن، أو أن نجعل لهم القدوة الصالحة الرسول ﷺ وصحبه وآل بيته والعلماء من المسلمين والمسلمات، وأن نجعل قصصهم تتلى على مسامع المراهقات حتى يتمثلن حياتهن كاملة.

القدوة الحسنة وأثرها في تربية الشخصية المسلمة

ما سبق، يقودني إلى إبراز القدوة الحسنة في الإسلام.

التربية بالقدوة والأسوة الحسنة:

التربية بالقدوة والأسوة الحسنة، ذات أثر فعال في السلوك الاجتماعي للمراهقة، وذلك ناشىء طبيعي لما تتميز به مرحلة المراهقة من النضج العقلي المصاحب لهذه المرحلة النمائية، حيث أن المراهقة في مرحلتي النمو لا تمكنهن قدراتهن العقلية من التمييز الدقيق بين القول والعمل، وعما إذا كان هناك تطابق بين القول والعمل أم لا.

وأعتقد أن مرحلة المراهقة أكثر قابلية للتأثير والتأثر، واكتساب المعلومات والخبرات وطرائق السلوك الاجتماعي، ولا أشك في أن الانفصال بين المبادىء التربوية في جانبها النظري التي يدعو إليها المربون، وبين المظهر السلوكي في الجانب التطبيقي فهي من أهم العوامل في انحرافات المراهقات، حيث أن سرعة النمو في هذه المرحلة تغري بالخروج على كل مألوف بسبب الاضطراب الحادث عن عدم التطابق بين النظربة والتطبيق، ولهذا السبب جاء التحذير الإلهي من الفصل بينهما[١]، قال الله

(١) السلوك الاجتماعي للفرد وأصول الإرشاد النفسي ص ٢٤٤.

تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٤٤ ﴾ [البقرة: ٤٤]، إن القرآن الكريم يؤكد أهمية القدوة الصالحة والأسوة الصالحة وأثرها في تهذيب الطباع، وتقويم السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة، كما يدعو إلى الاقتداء برسول الله ﷺ فهو الأسوة الحسنة لمن أراد أن يجمّل نفسه بالفضائل الأخلاقية والاجتماعية ليكون محموداً عند أفراد مجتمعه. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

العوامل المؤثرة في النمو الاجتماعي والقدوة الحسنة:

١ ـ الأسرة:

إن الأب والأم مسؤولان عن تربية أولادهما، كما أن صلاح أولادهما مرتبط بصلاحهما، فإذا حاد الأب أو الأم عن صراط الله المستقيم الذي رضيه لعباده، تبعهما أولادهما، فعليهما وزر عملهما وأولادهما، وإن الحياة المنزلية مليئة بالمواقف التي تكتسب فيها المراهقة ميولها وعواطفها واتجاهاتها، فإذا كان الجو المنزلي مشحوناً بالمنازعات واضطراب العلاقات بين أفرادها انعكس ذلك على سلوك المراهقة، فيبدوا الاضطراب وعدم الثبات في سلوكها، ويسوء تكيفها مع نفسها ومع أفراد المجتمع[١].

إن الإسلام يوجب على الآباء والأمهات أن يبذلوا جهودهم المتواصلة لتهذيب مشاعر المراهقات من بناتهم، وتقويم طباعهن، وتعويدهن على

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٦٢.

ممارسة العادات والآداب الاجتماعية لتكون عوناً لهم على التكيف السوي مع أفراد المجتمع.

إن قيام الآباء والأمهات بواجباتهن نحو التربية الاجتماعية والأخلاقية للمراهقة يكفل إقامة مجتمع إنساني هادىء، تسوده عواطف المودة والمحبة، وتنمحي منه مظاهر الغرور والكبر والأثرة والأنانية وحب الذات، وتستقر فيه الأوضاع وتسمو فيه العلاقات، وتبدو فيه شخصيات المراهقات متزنة هادئة، تتفاعل مع العلاقات الاجتماعية بحماس متقد.

إن مكان الأب على رأس القائمة، وقيامه بدور القيادة الحقيقية والتوجيه لكل أفرادها إنما هو مسؤولية خطيرة في استقرار الأسرة وقيامها كخلية سليمة في بناء المجتمع المسلم، فالأب هو الذي يضع أسرته في المجتمع ويحدد موقفها وموقف أفرادها ودورهم في البناء الاجتماعي، ويظل دور الأب في المنهج الإسلامي سليماً لا تهزه التيارات الفاسدة لأنه قائم على قيم ثابتة ومعايير سلوكية محددة يؤصلها الإسلام بمنهجه التربوي حتى لا يفقد دوره في الضبط الاجتماعي وتوجيه الفكر والسلوك[1].

٢ ــ المعلمة المسلمة:

إن شخصية المعلمة المسلمة من أهم العوامل المؤثرة في شخصية المراهقة لما تحتله من مكانة عظيمة في نفسها، ولما تتمتع به المعلمة من إمكانيات وقدرات ذاتية وعلمية تمكنها من القيام بمهامها التربوية، ولما تتمتع به من الصفات الحميدة باعتبارها الإطار الذي تتحرك المعلمة من خلاله لممارسة نشاطها التربوي، ويأتي في مقدمة هذه الصفات القدوة الصالحة لما فيها من تأثير قوي في نفسية المراهقة، ذلك أن ارتقاء المعلمة

---

(١) بناء الأسرة القرآنية: محمد محمود الجوهري ص ٣١١.

إلى مستوى القدوة الصالحة أيسر السبل إلى تحقيق مثالية الناشئة والمراهقة على وجه الخصوص.

إن المعلمة المسلمة لا يقف عملها التربوي عند حدّ توصيل المعلومات للطالبات وإكسابهن الخبرات العلمية والفنية، بل هي مرشدة وقائدة إلى كل فضيلة خلقية وسلوكية، ولكي تسلم لها عملية التأثير في الناشئات والمراهقات يجب أن تكون رحيمة عطوفة محبة لطالباتها عادلة في معاملتها لهن، حريصة على نفعهن وإسعادهن[1].

المعلمة المسلمة تعنى بالناشئة من كافة النواحي العملية والسلوكية والتربوية، ومن هنا بات لزاماً عليها الإحاطة بالأهداف والأساليب التربوية الإسلامية، وأن تبذل ما في وسعها لتغذيتها وتحقيقها في أنماط السلوك الاجتماعي للمراهقات، وأن تكون حريصة على تطهير النفس بترك ظاهر الإثم وباطنه، إذ يعتبر ذلك أساساً لتحصيل الأخلاق الحميدة والسلوك القويم، وفق المنهج الإسلامي التربوي[2].

المربية الناجحة في وقتنا الحاضر لا يقتصر همها على تزويد التلميذات بالمعارف والمعلومات، بل تعتبر نفسها مسؤولة كل المسؤولية على أن تحقق لتلميذاتها القدرة على حسن التوافق الاجتماعي والانفعالي بالإضافة إلى عنايتها بجانب التحصيل العلمي، ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن ما تنفقه المربية من وقت وجهد في الوقوف على نفسية تلميذاتها، وفي مساعدتهن على أن يحسن التوافق مع بيئتهن المادية والاجتماعية لا يذهب هباء، بل إن المربية حين تعين تلميذاتها على أن يقمن بحلّ

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٦٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ .

مشكلاتهن الشخصية، إنما تعينهن في نفس الوقت على أن يحرزن قدراً كبيراً من النجاح في تعلم المواد الدراسة بجهد أقل[1].

إن المعلمة المسلمة يجب أن تعمل على إثارة دوافع السلوك الاجتماعي والفضائل الأخلاقية على أن تشارك طالباتها في بعض أنماط السلوك الاجتماعي كعيادة المرضى، وجمع الصدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، وأن يشاركن في النشاطات التجريبية، وأن يُبذل لهن كافة المساعدات التي يحْتَجْنَها[2].

السلوك الجماعي

مع سن البلوغ تتقدم العلاقات مع الأصدقاء إلى الدرجة التي يغفل معها بعض المراهقات العلاقة مع الأسرة، فالصداقة في هذه السن حميمة ومتينة وينتظر منها أن تلعب دوراً مهماً في نمو وتربية المراهقات، إلاَّ أنها قد تكون مصدراً خطراً عليهن أيضاً، فالأفق الاجتماعي يتسع أمامهن فيسعين إلى الانتماء إلى عضوية بعض الفرق أو الجمعيات، ومرافقتها والمشاركة في فعالياتها، وبالتالي القبول بمعايير هذه الفرق، والالتزام بها في اختيار نوعية اللباس وشكل الأحذية، فكأن المراهقة قد تنازلت عن الاختيار لصالح هذه الفرقة أو الجمعية.

وقد يلتحق ذكور المراهقين بالجماعات التي تظهر حالات التطرف والحركات التدميرية إنهم متحدين، وفي ظل هذا الاتحاد تبرز نزعات التخريب، وعنه أيضاً تظهر الهياج العاطفي والعربدة، وانحراف السلوك[3].

---

(١) السلوك الاجتماعي للفرد وأصول الإرشاد النفسي ص ٢٤٤.

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٦٤.

(٣) تربية الشباب ص ٩٨.

كسب المحبة

الشابات في صدد كسب محبة الأخريات واجتذاب اهتمامهن، يحاولن جهدهن لذلك فإن أي إعاقة يسببها البعض تؤدي إلى إشعال نيران غضبهن، وقد تكون العلة الأساسية لهجمات المراهقات العصبية ناشئة عن عجزهن عن إثبات شخصيتهن، أو فقدان محبة الآخرين، فيلاحظ عليهن إصرار شديد على الحصول على قبول الآخرين، ولأجل الوصول إلى هذا الهدف لا يتورعن عن الإقدام على أي عمل بدءاً من التأنق أو السلوك العدواني.

وقد يلجأن إلى الغش في الامتحانات للحصول على درجات عالية، أو عن طريق الرشوة، وبالنسبة للمراهقين فإنهم يلجأوون إلى التهديد بالقوة أو اللجوء إلى الأعمال غير القانونية وغير المقبولة، وهو الأمر الذي تنشأ عنه كثير من المفاسد والانحرافات، وإذا تم إشباع هذه الرغبة في المحبة فإنه قد يتحولن إلى أفراد متواضعات ذات حياء وخجل[١].

وأعتقد أن ولاء المراهق لأسرته سابق لولائه لجماعة الأقران، وأن ولاءه لأسرته أقوى وأثبت من ولائه لجماعته في كثير من الأحيان، وهو وإن حرص على مسايرتها في اتجاهاتها وقيمها لا يعدو أن يكون محاولة من المراهق لإشباع الميل للاجتماع الذي افتقده في محيط الأسرة.

ولا أدل على قوة ولاء المراهق لأسرته من غضبه وثورته إذ ما حاول أحد الأقران النيل من الأسرة أو التعريض بها، ويدرك أفراد الجماعات قوة هذا الولاء فيتدخلون لفض النزاع، ويقرر الجميع استبعاد الأسر من

(١) تربية الشباب ص ٩٩

موضوعات نقاشهم وحوارهم، ويرفضون قَبول التعليق على أي نمط سلوكي خاص بأي أسرة وإن يكن بالإشارة لما يجدونه من وجوب احترام النظام النفسي الذي يربط المراهق بأسرته على الرغم من شعور الغالبية بأن الأسرة لا تقدر الطور النمائي الذي وصلت إليه شخصية المراهق.

لقد كشفت الدراسات عن خطورة الموقف السلبي للأسرة ممثلاً في تجاهلها لخصائص النمو في المراهقة، مما يعرض المراهق للانحراف بالانتماء إلى جماعات منحرفة جانحة للسلوك الشاذ الذي لا يقيم وزناً للخلق والفضيلة[1].

إن التزام المراهق بالأدب القرآني يعتبر صمام الأمان طوال المرحلة ويساعده على تخطيها بسلام وأمان، حيث أن طبيعة التطور النمائي للمراهق طوال هذه المرحلة لا يؤهله للزواج بغض النظر عن العامل الاقتصادي وإن توفر في هذه المرحلة.

لقد عني الفقه الإسلامي بدراسات موضوعات النمو الجنسي للمراهقين والمراهقات، ولقد اهتم الأئمة الأعلام بدراسة قضايا النمو في أبواب متعددة، حيث عنوا بدراسته في أبواب الطهارة من الحدث وفي أبواب الغسل الواجب والمسنون وعند تحديد سن البلوغ كبداية للتكاليف الشرعية، كما عنوا بدراسته في أبواب وجوب الصلاة والإمامة، وفي أبواب الإمارة، والصوم والحج والزكاة، وأبواب الزواج والطلاق، وفي أبواب الحدود، وقد تميزت دراستهم بدقة العبارة وسمو الأسلوب، عملاً بهدي القرآن الكريم وسنَّة رسول الله ﷺ[2].

(١) علم النفس أصوله وتطبيقاته ص ٣٢٢، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٦.
(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٧٥.

البدائل الإسلامية

وتأكيداً لأهمية التربية الإسلامية النفسية في هذا المجال، سأعرض هنا البدائل الإسلامية في تعريف المراهقة وتربيتها؛ لأهميتها:

١ ـ العبادات المفروضة:

إن العبادات المفروضة والنافلة ذات أثر واضح في علاقات المراهقة الاجتماعية، فهذه العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة تنظم سلوكها وعملها وفكرها وشعورها، وإنها لتدفعها إلى فعل الخير وما ينبغي، وتحول بينها وبين ما لا ينبغي فعله في علاقاتها مع أفراد مجتمعها، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان وجعل الكون معاشاً له، فهو سبحانه وحده الذي يقدر أن ينظم للإنسان شؤون خالقه، فيما أنزله على رسوله ﷺ من آيات بينات، وإيجاد الصلة بين الله سبحانه وبين عباده مرتبط بالمحافظة على الفرائض الدينية، فهي التي تدفع الفرد لأن يتلقى عن الله سبحانه ويرجع إليه في كل سلوك فردي أو اجتماعي، ويترك غير هذا المصدر لثقته بأن الله سبحانه وتعالى هو العليم الخبير بدقائق الأشياء، فهو وحده الذي يهدي إلى النظام الأمثل للحياة والأحياء.

وقد جمع هذا النظام في مثل[1] قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة ص ٢٠.

فالعبادات شرعت لتهذيب النفوس، وتربية روح المساواة، وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه، وإذا كانت العبادة لا تحقق تلك الأهداف، فليست عبادة ولا يقبلها الله، وهي تجلب الذم لصاحبها، ولنضرب لذلك مثلاً بالصلاة وهي أوضح العبادات الشخصية، فقد وصفها القرآن الكريم بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فإذا لم تؤد إلى هذه الغاية فهي ليست مقبولة، فإذا كان يصلي ويأكل مال الغير، فليست صلاته مقبولة وهو محاسب عليها، والويل له من الله[١]، ولذا قال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧]، أي يمنعون الزكاة التي بها العون من الغني للفقير.

إن الزكاة أو الصدقة في حدود إمكانيات المراهقة المالية تضاد دوافع النفس السلبية كالأثرة والأنانية والبخل والشح، وتكبح جماحها وتعلي في النفس مسالك البر والرحمة والعطف والإحسان إلى الفقراء وذوي الحاجات، والصوم فيه من الفوائد الصحية والأخلاقية والاجتماعية التي تعود على المراهقة بالخير والفضل والثناء حيث تحبس لسانها عن الغيبة والنميمة، فلا تنهش أعراض المسلمين والمسلمات ولا تهجو ولا تشتم، وترطب لسانها بذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، ومن فوائده الاجتماعية أن المراهقة إذا شعرت بألم الجوع يرق قلبها، وتجود نفسها وتمتد يدها بالعطاء إلى الفقراء والمحتاجين، لتدفع عنهم ما يعون من ألم الجوع وغيره من الآلام[٢].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٦٧.

٢ ـ صلة الرحم:

تسعى المراهقة المسلمة إلى توسيع دائرة علاقاتها الاجتماعية بين أفراد أسرتها، وتعمل على توطيد المودة والمحبة اللازم توفرها بين الأهل والأقارب، وتؤكد أهميتها وضرورتها للاستقرار النفسي والترابط الأسري والاجتماعي، باعتبار أن العلاقات الأسرية نواة العلاقات الاجتماعية العامة، والمراهقة المسلمة الواعية الناضجة تنتهز المناسبات العامة التي تجمع بين الغالبية العظمى من أفراد الأسرة ومن تربطهم علاقات رحم أو مصاهرة، فتنادي وسط هذا الجمع بأهمية التزاور والترابط الدائم في كل وقت وحين، ليتم التعارف بين جميع الأجيال وتسود المحبة وتدوم المودة وتنمحي الفرقة.

إن المراهقة قد تبدو مثالية في كثير من مواقفها الاجتماعية، لكن مثاليتها تعبير ذاتي عن دوافعها الاجتماعية التي يقرها المنهج الإسلامي في العلاقات الاجتماعية حيث جاءت صلة الرحم في المقام الثالث بعد الأمر بعبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، ثم الأمر بالإحسان إلى الوالدين، ثم الأمر بصلة الرحم وهم ذوي القربى ثم من دونهم. قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء].

فقد جاءت صلة الرحم في عداد المعالم الكبرى لهذا الدين الحنيف من توحيد الله، وإقامة الصلاة والتمسك بالصدق والعفاف، ومن هنا كانت صلة الرحم من أبرز مميزات هذا الدين التي تعرض على أسماع السائلين عنه لأول مرة[١].

---

(١) شخصية المسلم ص ١٠٩، محمد علي الهاشمي.

٣ ـ التعاون على البر والتقوى:

إن المراهقة تُعنى في هذه المرحلة بالقضايا الإنسانية والحياة الاجتماعية، وتولي هذه القضايا العامة اهتماماً كبيراً، وتسعى جاهدة في بذل الخير، ومدّ يد العون قدر استطاعتها لذوي الحاجات، وتسارع في عمليات الإنقاذ في حالة تعرض بعض الأفراد للمواقف الحرجة، وقد تندفع في سلوكها دون تقدير للعواقب، كما تلوم بعض الأفراد الذين يتقاعسون أو يترددون في عمليات الإنقاذ، وتأخذ بيد الضعيف وتساعد المحتاج ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا لم تجد في ذات يدها ما تدفعه إليه فإنها تسعى بالمشاركة في جمع التبرعات من القادرين، وتحض على اللطف في طلب الدَّين من المدين، وإن وسع ما في يدها لسداد جزء لما هو مطلوب منه فعلت، وتحض على المعروف وتشارك في فعله، وتنهى عن المنكر قدر استطاعتها واستعدادها[١].

والتعاون عملية اجتماعية يرجع الفضل لها في ترويض الأفراد إلى الأسرة أولاً، ثم إلى البيئة الخارجية، لأن وحدة المصالح، ووحدة الأهداف، تؤدي بالأفراد إلى التعاون لتحقيق المصلحة المشتركة والخير العام.

ويذهب بعض علماء النفس إلى أن التعاون ولو أنه عملية اجتماعية، غير أنه يستجيب مع بعض الدوافع الغريزية الكامنة في الطبائع الإنسانية، فقد أثبت العلامة (جيل) في تحليله للنفس الإنسانية أنها تنطوي على طائفة من الغرائز الغيرية بجانب انطوائها على الغرائز الذاتية (الأنانية)، وهذا يدلنا على أن حرص الإنسان على مصالح الغير لا يقل كثيراً عن

---

(١) المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ص ٢٥٩.

حرصه على تحقيق رغباته الخاصة ومصالحه الذاتية[1].

إن التعاون في المنهج الإسلامي قد لا يكون له تعلق البتة بالمصالح الشخصية، كما أن المنهج قد يسمو بشخصية الفرد إلى مستوى الإيثار بأن يقدم مصلحة الغير على مصلحته الشخصية، بل حاجته الضرورية في رضا وحب ورحابة صدر.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

ولقد أمر الله المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى وأن لا يحجزهم عنه شنآن قوم (بغض قوم) صدوهم عن الهدى وعبادة الله والطواف بالبيت الحرام، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

حب الظهور
أو الرغبة في تأكيد الذات

فقد تلجأ المراهقة إلى حب الظهور، فسن البلوغ هو سن حب الظهور، فتسعى إلى إبراز محاسنها بالصورة التي تؤدي إلى إطراء الجميع. قد تستخدم الزينة، أو تقصير الثياب، أو كشف الصدر، ويلحق ذلك بمظاهر تبدو في عين الكبار من الميوعة ومنفّرة، لكنها تستمر في البحث عن سبل جديدة وأساليب جديدة من أجل النجاح في هذا الغرض.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٩.

شدة تعلق المراهقة إزاء وجودها يؤدي بها إلى حالة من الجنون في حب الظهور، وتبرر ذلك بأدلة وحجج منطقية بحسب الظاهر، وتتوسل لإثباتها بقياسات قبيحة، وتظل أسيرة لخيالاتها الأسطورية، فتقلبها التصورات الواهية إلى الدرجة التي تبعدها عن واقعيات الحياة، وتدفعها إلى الاحتماء بالأوهام، وأحياناً تصاب بالولع والوله بحب الظهور إلى حد يبعدها عن منطق وعقل كبار السن، فتنظر إلى الحياة من خلال نظارة سوداء، وتطيل الجدل، وربما ارتكبت حماقات وأعمال مخيفة مع أنها في أعماقها تشعر بالحقارة، فإنها لن تتخلى عن حب الظهور، وإذا ما اطلعت على اكتشاف الآخرين لرغبتها لإبراز نفسها، فإنها تشعر بحزن كبير، فهذه النزعة التي تقوم على عرض النفس وحب الظهور هي من طبيعة حياة المراهقة، ولكن بشرط عدم السماح بتحولها إلى الإفراط، فجميل أن نعيب عليها الإفراط لكن ليس حد عرضها أمام الأصدقاء والمعارف فإنها تشعر بشعور الإحساس بالفرادة والعبقرية، وهذه النزعة يجب أن تخضع للمراقبة وتشبع بدون إفراط أو تفريط[١].

المغامرة ـ الهرب ـ العدوانية

هذه الأمور الثلاثة أصنفها مع المراهقين أكثر من الفتيات، لأن المغامرة بالنسبة للفتيات يمنعها منها خوفها الشديد من النتائج، وهي عند الشباب تشكل حالة هيجان، ونجد لذلك روحهم مفعمة بالعنفوان الذي يمنحهم الاستعداد للمغامرة، وتتزامن أحياناً مع امتحانات جديدة وتجارب وأسرار يرغبون بالتوصل إليها، فكم من جرائم وجنايات حصلت عن هذه الحالة، وكم تظهر من علاقات غير

(١) تربية الشباب ص ٩٩، ١٠٠.

سليمة مع الأقارب، أو إطلاق اللسان بقبائح الألفاظ[1].

كما أن هذه السن هي سن الهروب من المدرسة أو البيت وأحياناً الإقدام على السرقات، مما يشير إلى وجود خلل في البناء النفسي ناتج عن الإحباط في المحيط، فهؤلاء يواجهون تناقضات في الأفكار والمعتقدات في محيط الأسرة مما يدفعهم إلى الهروب منها. إن سرعة تصديقهم وسرعة اتخاذ القرارات غير المحسوبة بدقة تقودهم إلى القيام بهذا العمل حتى بدون ملابس أو نقود أو أية لوازم مساعدة، وربما يشعرون بالندم منذ الساعات الأولى لاتخاذ قرار الهرب، وطبعاً إن صفح الوالدين والمربين يعيدهم إلى حالة الصواب أو على الأقل ينبههم إلى خطورة القضية[2].

وبخصوص ظهور هذه الحالات نطالع آراء متعددة، فبعض علماء النفس يرون أنها وليدة عن التغيرات الجسمية والفيزيولوجية، ويرى آخرون أنها تنجم عن الحرية الزائدة والمضرة والتي تنتهي إلى سوء الأدب، لكن بعضاً آخر يرون أنها تنجم عن الاستصغار والتجاهل مما يفضي إلى تكريس حالة العداء والحقد والرغبة في الانتقام، ويقال إن المراهق حين يظن نفسه في عالم خياله بأنه مظلوم، فإنه يشعر بعدم التكامل، فيشعر بالحزن العميق ويسعى إلى التعويض عن طريق استخدام القوة وتنمية الصفات غير السليمة وغير الإنسانية[3].



(١) المصدر السابق ص ١٠١.
(٢) تربية الشباب ص ١٠٢.
(٣) المصدر السابق ص ١٠١.

الفصل الثاني
شخصية المراهِقة وحالاتها

وفيه: خيلاء المراهقة ـ أنانيتها ـ رغبتها في التفوق والآمال العريضة ـ رغبتها في التملك ـ أسرارها ـ أمانيها.

تتميز فترة المراهقة في جوانب رئيسية، فهم من جهة صاروا ذوي شخصيات مختلفة، إلاَّ أنها لا تزال تحمل جوانب ضعف، وهذا نفسه يؤدي إلى ظهور صفات وحالات وسلوك متعبة للمربين والأولياء.

فالمراهق في هذا العمر أناني مغرور يسعى إلى الغلبة والتفوق، وذو أحلام واسعة، وفي بعض المواضع يبدون متجبرين متكبرين يلوح في أعمالهم الخلل معتقدين أنهم أصبحوا كباراً يدركون الأمور حتى أفضل من الآباء والأمهات يسقطون ضحايا لضيق الأفق هذا.

ولإثبات شخصياتهم والعظمة التي تنطوي عليها يصر الشباب على آرائهم الساذجة ويسعون إلى فرضها على الآخرين عن طريق مخالفتهم والخشونة المفرطة، وأحياناً التسرع غير المحسوب، وردود الفعل المرفوضة التي تؤدي في بعض الأوقات إلى غضب الوالدين والمربين.

الخيلاء والغرور

سن الشباب هو سن الغرور والتحليق في عالم الخيال، سن الهياج والشهوات والغضب، سن الغفلة وقلة الخبرة والتعرض إلى أنواع المخاطر.

هذا الغرور يصيبهم بنوع من الهوس يدفعهم إلى الاستهزاء بالجميع، وانتقاد كل الآخرين، والتحاور معهم لا لأجل الوصول إلى الحقيقة، بل لأجل إدانة الآخرين.

وبسبب هذا الغرور يشاركن في المسابقات المدرسية والجامعية من أجل الحصول على إعجاب الآخرين، أو للحصول على أرقام قياسية، أو القيام بأعمال خطرة لإشباع نزعاتهم تلك، وأحياناً يظنون بأنفسهن القدرة على إنجاز كل شيء، ومعرفة كل شيء، وأن والديهن لا يجارونهن في سعة الاطلاع لأن أفكارهم مختلفة، وبسبب هذا الغرور فإن كل من يطرح وجهات نظر مختلفة تخالف وجهات نظرهن فإنهم مدانون[1].

والغرور يقف وراء قفزهم لتحمل ما يروق لهن من المسؤوليات، أو أنهن يسرعن باتجاه ما يرين أنه مفيد دون التشاور مع الآخرين، فالجانب الفردي بارز وقوي لديهن، وينظرن إلى الآخرين باستصغار بما فيهم البالغين.

هذا الغرور هو الغالب على كل ميولهن، ويترك لديهن حساسية غير اعتيادية إزاء الآخرين، وهن أيضاً يشعرن بحياء وخجل يوازي هذا الغرور أمام الآخرين، وفي قلب هذا الحياء يحافظن على أنانيتهن وانفلاتهن

(١) تربية الشباب ص ٨٨.

الطفولي، مغرورات ولكن يثقن بأنفسهن وبقدراتهن ومعلوماتهن، ساعيات إلى التخلق بأخلاق الكبار وخصائصهم[1].

الأنانية وعبادة الذات

في سن المراهقة تمنح الفتاة لنفسها أهمية كبيرة تقترن بنوع من العبادة للذات تصل إلى درجة النرجسية، وتنشأ عن ذلك انطباعات هي جملة من التجارب والإدراكات الابتدائية، وحالة من النهوض تعادل أوضاع الضعف التي كانت عليه زمن الطفولة.

إن سعيها لإثبات شخصيتها يأتي مترافقاً مع الأنانية، فكأنها تقول للجميع: «تأملوني كم أنا جميلة وجذابة»، فحتى أسلوبها في التفكير يعكس حالة الأنانية إنها لا تفكر إلاَّ بذاتها، وتتلذذ في تأمل محاسنها على المرآة وحتى عشق هذه المحاسن.

إن عبادتها لذاتها إذا خفتت فإنها ستعجز عن إدراك الحقائق لأنها لا ترى أحداً سواها حتى لتشعر بالاعتزاز والفخر إذا سألتها إحداهن من أين لها بهذا الثوب، أو امتدحها أحدهم بأن هذا الثوب جميل على جسدها فقط. وترغب بأن تقلدها الأخريات، وتكون قدوة لهن في الأناقة وقصة الشعر وتسريحته، وشراء الأحذية، وهذه العبادة تعد أحد أسباب الانحرافات وارتكاب الجرائم، إذ تقودها إلى التهديد والتخريب.

أما المجال الثقافي فإنهن يسعين إلى تأكيد عظمتهن وشخصيتهن، وهذا سبب لعرض أناقتهن وعناصر التفوق لديهن إلى جانب إخفاء عناصر الضعف، مما يفرض علينا حلّ لإصلاح هذه الحالة[2].

(١) تربية الشباب ص ٨٨.
(٢) المصدر السابق ص ٨٩.

البحث عن التفوق

البحث عن البروز والتفوق من صفات وخصائص المراهقة، وطبعاً إنها خصائص ذات جذر غريزي، وربما تتصور الفتاة أن التفوق على الآخرين، أو أن تقبل الأخريات بتفوقها عليهن سيوصلها إلى موقع اجتماعي مرموق وسلطة على الأخريات، وتلجأ مثل هؤلاء الفتيات إلى أساليب مضحكة في إثبات تفوقهن من قبيل الادعاء والكذب بأنهن درسن سنة أو سنتين أكثر من الأخريات، أو أنهن ذهبن إلى خارج البلاد لتلقي الدراسة الجيدة، أو أنهن يمثلن الثقافة الحديثة، فينتقدن ثقافة الشيوخ القديمة.

الأنانية التي تنطوي عليها والرغبة في التفوق تدفعها إلى عقد مقارنات بينها وبين الأخريات يقارنّ أبعاد حياتهن مع حياة الأخريات دون أن يلتفتن إلى عيوبهن.

أحياناً تبرز لديهن رغبة لأداء أعمال كبيرة عملية واجتماعية، قد تصادف أحياناً بالنجاح والتوفيق لكنها ليست قريبة من الله تعالى وليست قربة إلى الله تعالى، بل لكي يتركن انطباعاً لدى الناس بأنهن كباراً ومتفوقات، وطبعاً أكثرهن لا ينلن توفيقاً في هذا المجال، ويعدن فاشلات منسحبات من الميدان.

إنهن يتصورن وجود قدرة للاطلاع على كل شيء، ومما يؤكِّدْنَه ويشخّصْنَه أفضل مما يشخصه الآخرون وأصح بكثير، ولأجل إثبات التفوق فإن الحدّة والعنف هي السبيل، إذ لعل في ذلك فرصة في التسلط على الآخرين.

بعضهن ومن أجل أن لا تتحطم شخصياتهن الواهية وقيمتها

الموهومة، فإنهن لا يتورعن عن اللجوء إلى حماقات وذنوب كبيرة، فالرغبة في التسلط وحب التفوق من الميول القوية والخطرة والتي إذا لم يتم ترويضها ودفعها في سبيل القيم الإسلامية وحب الخير للناس والدعوة إلى الإصلاح، فإنها تحيل عقولهن وحياتهن إلى ظلام[1].

المنافسة

في هذه السن يلاحظ ظهور ميل نحو المنافسة، فهن يرغبن أن تسلط عليهن الأضواء كالأبطال والممثلات وعارضات الأزياء، أو أن يكن لهن دور بين الأخريات اللاتي يكبرهن ببضع سنين ووصلت إلى مراكز مرموقة، فتبدأ حياكة المؤامرات والنميمة وإثارة الفتن لوضعهن في موقف حساس أو لقطع علاقة لهن مع من يحببن من آباء وأمهات.

أحياناً ينجحن في لفت الأنظار إليهن لما يقمن به من أعمال عجيبة وغريبة، ويدخلن في منافسات مع أي إنسان يواجهنه، والمنافسة إذا أدت إلى نتائج حسنة فإنها سترضي رغبتهن وعواطفهن وتكرس الغرور والفخر لديهن، وإذا لم يصادف توفيقاً فإنها ستنقلب إلى حالة من العداء والحقد، وبمجرد أن تشعر الفتاة بغلبة الأخريات فإنها ستصاب بحزن مفرط وقلق خصوصاً إذا تم الأمر بحضور الجنس الآخر، فالمنافسة تصبح ممكنة في أجواء الحرية ولهذا فإنهن يسعين إلى توفير تلك الأجواء، ومع توفرها وعجزها عن التفوق فإن الفتاة تلجأ إلى اختلاق الأعذار لإثبات تفوقها في كل الأحوال، وتتحجج أن الظروف هي السبب في عدم تفوقها، أو أن المدرسة قد لاحقتها لكي ترسب في مادتها، أو غير ذلك من الادعاءات.

---

(١) تربية الشباب ص ٩٠.

وبالنسبة للمنافسة فقد نلاحظ أن الفتاة تشرع في البداية في تحصيل العلوم مع أترابها، ولكن حين لا تتمكن من التفوق، فإنها تسعى إلى ذلك من خلال الخياطة أو تعلم مهنة قص الشعر، أو غير ذلك من الألعاب الرياضية والطرق والفنون الأخرى، وفي كل الأحوال فإنه لا بد لها من الدخول في منافسات معهن[١].

الآمـال الكبيـرة

يُعد عمر الشباب هو عمر الآمال العريضة، وهو أمر ينشأ عن حب الذات ومنحها الأهمية، فهي تريد تسخير الجميع لخدمتها، يتعبون أذهانهم من أجلها دون مقابل.

ومن أجل ذلك تخلق الفتاة المشاكل، فهي تعتب على الجميع، وتبدي آراء ونظريات متناقضة ومتضادة ومتطلبات غير قابلة للتنفيذ، فكل رغبة تقودها في طريق ما، وتنتظر من ورائها أملاً حتى لتضمن لنفسها منافع واضحة من جراء هذه الآمال فإنها تنتظر الحصول على مستوى متقدم وأن تحصل على المحبة، أو الإطراء، فالجميع يلهجون بذكرها، فإذا لم يقع ما تريد فإنها تدعي على الآخرين بسوء التصرف والأخلاق وعدم الفهم وجهل المنزلة وغمط الحق، وعليه فإنها مستاءة منهم إلى الدرجة التي تسمى هذه المرحلة مرحلة الاستياء وعدم الرضى.

ومن وراء الآمال العريضة فإننا نلاحظ رغبة قوية في التملك، فإنها تظهر ارتباطاً قوياً بممتلكاتها وأدواتها التجميلية وثيابها ووسائلها الشخصية، وتعمل على حصر الانتفاع بها لذاتها بصورة مفرطة، فكل شيء يرتبط بها مبعد عن الآخرين ومخفي عن أعينهم[٢].

(١) تربية الشباب ص ٩١.

(٢) تربية الشباب ص ٩٢.

كتـم الأسـرار

المراهقة لا تفشي أسرار زميلاتها حتى بالنسبة للقضايا التافهة وعديمة الأهمية، إذ تسعى إلى منع تسربها إلى الأخريات، وتسود هذه بين الفتيات بصورة أكبر إذ يلجأن إلى كتابة أسرارهن في دفاتر اليوميات، ولا يسمحن للمعلمات أو الصديقات وحتى الأمهات بالاطلاع على ما كتب فيها، فإنهن ينطوين على كتمان عجيب للأسرار، وقد يتوسلن من أجل تحقيق هذه الأهداف، أو قد يتظاهرن بالتظلم والظلم يقع عليهن.

وجدير بالذكر أن المراهقات يجعلن أموراً في دائرة الأسرار حتى ما لا يستحق الذكر، فإنهن ملتزمات بالمحافظة على الأسرار، وأن لا يطلع على أمورهن الآخرين، وربما شاهدن في المراحل المتقدمة من العمر عند ظهور بوادر التخلص من هذه القيود أن الابتسامة تطفو على وجوههن حين يتذكرن كيف أنهن كن يكتمن التوافه من الأمور[1].

مساعـدة الآخريـن

المراهِقة وتبعاً لما يوافق عمرها وطبيعة وضعها العاطفي، فإنها ذات قلب مملوء بالعطف على الضعفاء والمحرومين، وحين تواجه ظرفاً من هذا النوع فإنها تسرع إلى تقديم العون، مع أنها قد لا تقدم لأمها قدحاً من الماء إذا علمت بظمئها أو مرضها، بينما تتهالك على الآخرين بالشكل السابق، وهذا يعود إلى ما قلناه عن الرغبة في التفوق وحب الظهور والبحث عن الشهرة، فإذا قامت بأي فعل في المنزل فإنه سوف لن يعود عليها بما تريد، وسوف لن تسمع كلمات الإطراء، بينما إذا فعلت ذلك بين جمع من الناس فإن الوضع سيكون معكوساً وستمدح على فعلها.

(١) تربية الشباب ص ٩٣.

وعليه فإن تركيبتها النفسية ستقودها إلى مساعدة المحرومين والضعفاء والمشاركة في المؤسسات الخيرية التي تدافع عن المظلومين، ولكن إذا صادف في هذا الاتجاه من يشيد بأفعالها فإنها سترتاح إلى ذلك كثيراً[١].

الرغبـات والأمانـي

إن عمر المراهقة في أحد تعاريفه هو الأخذ أكثر من العطاء، فالرغبات عديدة ومتنوعة تشغل ذهنها وتدفعها إلى تحصيلها، الرغبات تبلغ ذروتها والأهداف الراقية الكبيرة تحركها إلى الوصول إليها والتي ربما كان بعضها مستحيلاً فهي دائمة السعي بحيث إذا توقفت عن ذلك فإنها ستبدو عجيبة. إن المراهقة ترغب بقطع المئة سنة في مساء واحد، على الناس أن يحبونها ويرضوا عنها ويمنحونها الأهمية الفائقة، إنهن يرغبن في بناء أسرة بلا متاعب، ويرغبن في الاستقلال عن ذويهن.

وطريقهن في تحقيق هذه الأهداف تقوم على تجاربهن الشخصية، ما قرأنه وما سمعنه من الأصدقاء والصديقات، وما تلقين من خلال معاشرتهن للناس، ومن الإنصاف أن نقول إن هذه الرغبات الكثير منها مما يحسن الإطراء عليهن حتى إذا كانت مجرد أحلام تتلاشى بمجرد اليقظة[٢].



(١) المصدر السابق ص ٩٣.

(٢) تربية الشباب ص ٩٤.

الفصل الثالث
المشكلات النفسية والاجتماعية
التي تتكون بالعادة والتعود

مما يلاحظ أن كثيراً من الانحرافات والمشكلات تدخل تحت تكوُّن العادة، إذ أن تكرار السلوك المنحرف يولِّد عند المراهقين عادة يصعب التخلص منها.

ومن هذه المشكلات: **(الكذب ـ الكحول ـ التدخين ـ المخدرات ـ بذاءة اللسان ـ العادة السرية)**.

وسنعرض الآن لأهم الانحرافات التي تتكون بالعادة، وهي: **(الكذب ـ الغش ـ التدخين ـ الكحول ـ العقاقير ـ المخدِّرات)**.

ويمكن اعتبار السرقة من انحرافات العادة، وفضلت أن أضعها في الباب الرابع (المراهقة والانحرافات) في الانحرافات الاقتصادية لتأثيرها الكبير على تخلخل المجتمع واضطرابه اقتصاديًّا.

كما أن **العادة السرية** هي من انحرافات العادة، ووضعتها تحت الانحرافات الغريزية، لأنها ناجمة عن ثورة الشهوة والحاجة الجنسية عند المراهقين.

* * *

المطلب الأول

الكذب

تعريفه وسببه:

هو فعل شيء غير حقيقي لكسب شيء ما، أو للتخلص من مأزق[1].

أو هو ذكر شيء غير حقيقي بنيَّة غش وخداع شخص آخر من أجل الحصول على فائدة، أو من أجل التملص من أشياء غير سارة[2].

وأحياناً يتم ذكر الأكذوبة عن قصد لتجنب العقاب، أو للحصول على مكاسب على حساب الآخرين، أو كي يحط من قدر الآخرين. ويختلف المراهقون في مستوى نموهم الأخلاقي وفي فهمهم لفضيلة الصدق.

تعامل المراهق مع الكذب:

ويتم تعامل المراهق مع الكذب بمراحل ثلاث:

١ ــ **المرحلة الأولى**: يعتبر المراهق أن الكذب خطأ، لأنه موضوع تتم المعاقبة عليه من قبل الكبار.

٢ ــ **المرحلة الثانية**: يصبح الكذب شيئاً خطأ بحد ذاته، ويظل كذلك حتى لو تم إلغاء العقوبة.

٣ ــ **أما المرحلة الثالثة**: فالكذب خطأ لأنه يتعارض مع الاحترام المتبادل بين المراهق والمجتمع[3].

ويعتبر الكذب من المشكلات التي تدل على عدم تكيف المراهقة مع

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٢٩٤.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٤٥٤.

(٣) المصدر السابق ص ٤٥٤.

بيئتها الأسرية والاجتماعية، والكذب واحد من أنواع السلوك الاجتماعي الشاذ، يكتسبه الفرد من البيئة، وكثيراً ما يكون اكتساب المراهقة لهذا النوع من السلوك راجعاً في الأصل إلى الأسرة، وأنماط السلوك السائدة فيها، فتعتاد المراهقة الكذب منذ الطفولة والصبا، والفتاة في المراهقة أكثر لجوءاً إلى الكذب لتبرير أخطائها، وإخفاء أسرارها، والتخلص من المواقف الحرجة التي تتعرض لها[1].

* إن الأسلوب السائد الخاطىء الذي تنهجه بعض الأسر في العصر الحاضر، في معاملة المراهقة، يعتبر السبب الرئيسي في اضطرارها إلى الكذب واعتيادها على هذا السلوك الذميم.

وذلك إذا أردنا أن نصنف موقف الأسرة تجاه معاملة المراهق، وجدنا أنفسنا أمام ثلاثة أنواع من المعاملة:

(أ) فأسرة تتدخل في شؤون المراهقة الشخصية والاجتماعية بطريق مباشر يميل إلى العنف والحدّة أحياناً دون إبداء مبررات لذلك، وتحاسبها على كل صغيرة وكبيرة، وغالباً ما تحيد عن مستوى الاعتدال.

(ب) أسرة تهمل جميع شؤون المراهقة، ولا تعنى بتوجيهها لما يجب فعله، كما تعنى بتحذيرها مما لا ينبغي أو يحرم فعله.

(ح) أسرة تحسن توجيه أبنائها وبناتها في كل مرحلة من مراحل العمر بالأسلوب المناسب لكل مرحلة، فلا تفرق بين مراحل الطفولة والصبا والمراهقة والشباب ومرحلة الرجولة أيضاً، غاية الأمر اختلاف الأسلوب في التوجيه والمعاتبة والمحاسبة إذ لزم الأمر للآخرين[2].

(١) جريدة الأهرام ص ١ ــ ٦، رمضان ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م.

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٣٦.

إن النمط الثالث من هذا التصنيف يمثل أقلية في مجتمعنا المعاصر، وإن الأول والثاني يمثلان أغلبية في المجتمع المعاصر، وقد يكون الثاني أكثر شيوعاً بسبب التغيرات الثقافية والاقتصادية التي تعرضت لها المنطقة الإسلامية في هذا القرن.

فكم من صيحات ضالّة مضلِّلة نادت ولم تزل تنادي بإطلاق حرية المراهق في التعبير عن نفسه، والتنفيس عن مشاعره، وقد حرصت وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية على ترويج هذه الأفكار الغريبة عن ديننا، الشاذة عن مسار الفطرة السوية، إن كثيراً من الأسر المسلمة قد استجابت لهذا النداء، فلم تعد تهتم بتوجيه أبنائها المراهقين الوجهة الصحيحة وفق شرع الله ومنهجه في الحياة، وقد ساعدت الضغوط الاقتصادية المتصاعدة التي ألقت بثقلها على الأسرة حتى قصر الأب وظيفته في توفير القوت، ولهيئة المسكن والملبس، وغير ذلك من الحاجات المادية التي تتطلبها الحياة الأسرية، وفي كثير من الحالات تشارك الأم بنصيب في توفير جانب من هذه الحاجات بالعمل خارج المنزل، مما أدى إلى افتقار الأسرة إلى المحضن الأساسي الذي يساعد على تكوين شخصية المراهقة السوية[(١)].

إن المراهقة في هذه المرحلة بالذات تشتد حاجتها إلى اللقاء بصاحباتها أكثر منها في أي وقت، ذلك أنها تشعر بمزيد من الاطمئنان والثقة في مجتمع المراهقات الخاص بهن.

ـ وحين تتجاهل الأسرة هذا الميل، وتحاول جاهدة أن تحدّ من لقاء المراهقة بصاحباتها (بعد التعرف على أخلاقهن وأسرهن) فإنها تختلق

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣٦.

الأكاذيب لتبرير لقاءاتها بغية الوصول إلى هدفها، كأن تحمل كتبها بحجة الدراسة عند زميلتها التي تُعرف بالتفوق العلمي، وفي أكثر الأحيان يبارك الأهل هذا الاتجاه وهم لا يدرون المقصود الأساسي الذي تهدف إليه المراهقة.

ـ تكذب بعض المراهقات أحياناً على أسرهم فيشعرونهم بأنهن بحاجة ماسة إلى دروس خصوصية في بعض المواد، فتسعى الأسرة جاهدة لتوفير النفقات اللازمة لذلك وتجتهد المراهقة في اختلاق الأكاذيب التي لا تعطي للأب فرصة للاطلاع المباشر على طبيعة المطالب، وقد يكون السبب مستوراً وراء ذلك وهو انخفاض المصروف الشخصي عن مستوى مطالب المراهقة الضرورية.

ـ كما تختلق بعض المراهقات الأكاذيب التي يهدفن من ورائها إلى إضحاك صاحباتها، وإشاعة جو المتعة والمرح، فتجري على ألسنتهن أقوال كاذبة، يعبرن عن أفعالٍ تحكي مواقف سلوكية لبعض صاحباتها أو أمها أو جارتها بقصد التسلية والمزاح، وقد تكون بقصد السخرية من بعض الأفراد[١].

ـ كما تكذب المراهقات لتخليص أنفسهن أو زميلتهن من موقف قد يعرضها للعقاب والمؤاخذة، وقد تلجأ إلى الحلف بالله وأيمان كثيرة وهي على يقين بأنها كاذبة.

وعلينا ألا نعتبر نزوع بعض المراهقات إلى الكذب بأنها قد صارت عادة لها وسجية وخلقاً ثابتاً في النفس إلاَّ أن تكون كاذبة في أغلب أحوالها وأفعالها، ذلك أن داء الكذب يزداد رسوخاً في النفس بتكرار مواقفها شأنها شأن جميع الأفعال المكتسبة.

---

(١) الخلق الكامل ٤/ ٤٥٧.

معالـجة الكـذب:

إن معالجة الكذب في مرحلة الطفولة والصبا، فإن رأيت الطفل يكذب لكثرة كلامه فألزمه الصمت، وإذا كان كذبه لخوفه من القسوة في معاملته، فارفق به، وإذا كان لطمع فيه وميل في إدراك رغبته فخلّ بينه وبين ما يريد، وإذا كان كذبه لغرض الإيقاع بغيره فعاقبه بمثل ما يعاقب به ذلك الذي أراد السوء، وإذا كان كذبه لصحبة أطفال يكذبون فامنعه من مصاحبتهم، وبالجملة واجهه بغير مراده[1].

ويعالج الكذب في مرحلة المراهقة، وما يتلوها من مراحل العمر، بأن توجه المراهقة إلى أن الكذب بكافة أشكاله وأنواعه وجميع أحواله خلق ذميم، يتنافى مع الفطرة السليمة، فالإنسان مفطور على حبّ الخير والصدق والحق والعدل وغير ذلك، أما الكذب فإنما تكتسبه المراهقة من بيئتها الاجتماعية والأسرية، وفاعلية النفس الأمارة بالسوء، ثم بتكرار المواقف السلوكية التي يكون فيها الفرد كاذباً وحتى يصير فيها هذا الخلق عادة وسجية وطبعاً فلا يكاد يصدر عنه إلاَّ كذباً.

قال ابن شهاب: ولم أسمع من يرخص في شيء مما يقول الناس كذباً إلاَّ في ثلاث: إصلاح بين الناس، وخدعة حرب، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها، وبهذا يخرج الثلاثة من موضوع الكذب وأشكاله وأحواله عملاً بالسنَّة المطهرة، وما أجمع عليه الأئمة[2].

روى الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٤٥٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر، باب تحريم الكذب وبيان المباح منه (٢٦٠٥).

حتى يُكتب صدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب كذاباً»[١].

وعلى المراهقة أن تعلم أن الكذب خصلة من خصال النفاق ومظهر دالّ عليه.

روى الإمام مسلم: عن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاثة: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[٢].

إن واجب الأسرة المسلمة يحتم عليها بذل الجهد المتواصل في توجيه المراهقات بالقدوة الحسنة وإعطاء المراهقات فرصة مناسبة للتعبير عن آرائهن وميولهن واتجاهاتهن، وأن تمنحهن حرية لقاء الصاحبات على أن تراقب سلوكهن من حين لآخر، وأن يتم توجيههن بطريق غير مباشر، ويكون ذلك بمناقشة هادئة هادفة لإظهار فوائد الصحبة الحسنة، وإظهار مضار الصحبة الشاذة الضالّة لتكتسب المراهقة قدرة على التمييز بين الصداقة الضارة والنافعة، ولا يتدخل الوالدان لمنع المراهقة من مصاحبة بعض الفتيات إلاّ إذا لزم الأمر لذلك[٣].

* * *

المطلب الثاني

الغش

تعريف الغش:

الغش: هو سلوك شائع جداً بين المراهقين والمراهقات مثل الكذب

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر، قبح الكذب، وحسن الصدق (٢٦٠٧).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، آية المنافق (٣٣).

(٣) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٣٨، ٤٣٩.

والسرقة، ولقد أثبتت الدراسات أن كل شخص يغش تقريباً في بعض الأحيان تبعاً للمواقف (هذه الدراسة هي للبلاد الأوروبية ولا أرى أنه قول يعم كل شخص في البلاد الإسلامية)، ولقد ظهر أن ٣٠ ٪ من طلبة الكليات قد غشوا في امتحاناتهم.

الغش والمراهقة:

ويعتبر الغش فيما تحكمه القوانين هو نشاطات التلاعب المفضلة لدى المراهقين والمراهقات مع ضرورة علم المراهق الالتزام التام بهذه القوانين، ومع ذلك فقد تجد المراهقة صعوبة في تقبل، وغالباً ما تعاني المراهقات اللواتي يغششن في امتحاناتهن من صعوبات في التعليم الأكاديمي، وعندما يواجهن بشأن الغش يغضبن بسرعة، ويتهمن غيرهن به، ويتصرفن وكأنهن تعرضن لإساءة المعاملة بشكل قاس.

ويبدو أن الميل المزمن للغش ذو علاقة بالشخصية التي تتكون بما يسمى (الميكافلية)، ويتميز الأشخاص الذين تتكون عندهم هذه الخاصية بشكل مرتفع بأنهم بارعون في التلاعب، يحبون القيادة، وفرديون يحبون السيطرة، وهم يرفضون الغش إذا كان لمصلحة الآخرين، إلاَّ أنهم يقومون هم أنفسهم به إذا كان مفيداً لهم، وإذا تم ضبطهم وهم يغشون فالأرجح أنهم ينكرون بشدة قيامهم بأي عمل خاطىء[1].

وإني أرى أن الذكور أكثر جرأة على الغش من الفتيات، لأن عملية الغش في الامتحانات أو في أي عمل آخر تحتاج إلى جرأة، وقدرة سريعة على التصرف والإخفاء تفتقر إليها الفتاة في معظم الأحيان نظراً لخجلها وخوفها.

---

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٤٦٣.

الأسباب الشائعة للغش وطرق علاجه:

١ ـ الضغط الخارجي على المراهقة لتكون من المتفوقات في صفها، فتكتسب عقلية تقول: «ينبغي أن تفوز بأي ثمن»، وذلك نتيجة لضغوط الأبوين عليها كي تتفوق.

٢ ـ الميل للتمركز حول الذات، فهن يرين أنفسهن وكأنهن محور العالم، ويطالبن بأن يكون من الأوائل، والأفضل والفائزات في كل شيء.

٣ ـ المراهقات اللواتي يشعرن بعدم الكفاءات، أو سوء الاستعداد، ويتوقعن فشلهم في أداء مهمة ما، مما يزيد احتمال قيامهن بالغش.

وتدل الدراسات أنه يزيد احتمال قيام الناس بالغش كلما أحسوا بأنهم غالباً لن يتم ضبطهم، ومن خلال توفر إشراف مباشر من قبل الراشدين على المراهقين أثناء قيامهم بأعمالهم، أو امتحاناتهم في المدرسة يمكن تقليل سلوك الغش إلى حده الأدنى، ومن النتائج الثابتة في أدب الموضوع أن الخوف من الضبط هو أقوى الروادع عن الغش[١].

٢ ـ تعليم المراهقين أن الغش لا يسعد الآباء وهو مخالف للقانون، فإن المراهق ينبغي أن يبدأ بفهم المبادىء الأخلاقية العامة المتضمنة الأمانة والصدق، وأن يقوموا باختيار هذا السلوك طوعاً لأنه الطريقة الصحيحة والقانونية في التصرف من أجل مصلحة المجتمع، وبمعنى آخر، فإن محاولة التأثير في المراهق لكي يكون أميناً من أجل المبادىء الأخلاقية السامية والتي فكر بها واختارها لنفسه[٢].

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦٤.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٤٦٤.

٣ ــ علم المراهق أن السلوك غير الشريف يقود إلى عدم الثقة من قبل الآخرين، وإذا استمر المراهق بالغش فسوف لا يجد أحداً يرغب بمشاركته ومصاحبته، وأنه لن يكون سعيداً إذا اتبع أسلوب الغش.

٤ ــ إن إهمال الوالدين للمراهقين يقودهم إلى اتباع سلوكيات الكذب، وعلى الآباء الاهتمام بالمراهقين لكي يمنعوهم من ممارسة الغش لأنه نوع من أنواع الكذب.

٥ ــ تعزيز ثقة المراهق بنفسه إذا عمل عملاً بدون غش وإعطائه مهارات أخرى ليتدرب عليها مع تعليمه أن الغش ليس ربحاً حقيقياً، وأن النصر الذي يأتي بالغش ليس نصراً شرعياً أو حلالاً، وهنا يلاحظ المراهق أن النصر السابق عندما كان يغش لم يكن نصراً حقيقاً، وأنه كان يغش نفسه حقيقة وليس غيره[١].

* * *

المطلب الثالث

التدخين

تمهيد:

تتعلم المراهقة عادة التدخين منذ الصغر، وفي السنوات الأخيرة أصبح عمر المدخنات ينحصر في المدارس الثانوية، وأغرب ما سمعت أن طالبات الصف الخامس الابتدائي في مدرسة ما قد جمعن من عدد من الطالبات ثمن علبة السجائر، وأعطينها لزميل لهن خرج فاشترى علبة السجائر لهن، ثم وزع السجائر على الطالبات فأصابت كل واحدة منهن حصتها، وعندما تصبح الفتاة في سن الثامنة عشرة فإنهن يصبحن مدخنات منتظمات، وأنا أرى أن

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٠٠، ٣٠١.

نسبة التدخين في البنات مثله في الشباب في الفترة الأخيرة من مجتمعنا المعاصر.

وعندما تبدأ المراهقة بالتدخين وبانتظام فإنها ستجد الأمر صعباً في التوقف عنه، وتبدأ بتطوير نفسها بأن تعتمد على السجائر اعتماداً نفسياً، وهناك دلالة جديدة على أن جسم المراهقة قد يبدأ يعتمد في تكوينه على وجود (النيكوتين) في جسمها.

صفات مشتركة بين المدخنين الشباب:

تقول منظمة الصحة العالمية أن هناك أربع صفات بين المدخنين الشباب والفتيات ليست موجودة بين غير المدخنين في نفس العمر.

١ ـ إن هؤلاء الشباب على الغالب ما يكون لديهم والد مدخن.
٢ ـ عدم نجاحهم في المدرسة.
٣ ـ لهم مجموعة من الأصدقاء المدخنين تؤثر عليهم وتجبرهم على التدخين أو ربما أن المدخنين يبحثون عن المدخنين الآخرين.
٤ ـ أخيراً يعتقد بعض المراهقين أن التدخين هو دلالة على الاستقلالية، والتمرد ضد الوالدين[١].

إن أول سيجارة يدخنها المراهق تكون متعة، وخاصة عندما يكون هناك ضغط من صديق أو صديقة مدخنة، وهي ستكسب دعماً كبيراً وتقبلاً من الأصدقاء المدخنين وتكسب المظهر بأنها امرأة ناضجة.

إن الفتيات المحرومات من الثقافة والتعلم يمارسن ضغطاً كبيراً لكي يثبتن سلوكيات تعكس الاستقلالية والنضج لديهن، بالإضافة إلى ذلك فإن

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٣١.

الإنجاز الدراسي والمشاركة في الألعاب الرياضية مرتبطة ارتباطاً سلبياً مع التدخين[١].

في السنوات الأولى من المدرسة يعبر الأطفال عن اتجاهات سلبية وأخلاقية نحو التدخين، وغالباً ما يضايقون الكبار ويطلبون منهم التوقف عن التدخين، وعندما يصلون سن المراهقة فإنهم يميلون إلى ممارسة هذه العادة، إن هذا التحول أو الانتقال من الأخلاقية المطلقة إلى التفكير النسبي عند المراهق يقود إلى تساؤل عن قيم النضوج، وبعض الأحيان إلى تجريب السلوكيات السابقة غير المرغوبة فيها والمذمومة منها[٢].

تأثير السجائر:

إن دخان السجائر هو مزيج معقد من الغازات والمواد الكيماوية، وعندما يتنفس المدخن السجائر في الرئتين، فإن أجزاء السموم الصغيرة تبقى فيها، وتجعل الأمر صعباً على الجسم القيام بواجبه. إن فم ولسان وحنجرة ورئتين المدخن تصبح ملتهبة، وتقلل شهيته للطعام ويصبح تنفسه صعباً.

إن دخان السجائر يحتوي على كميات صغيرة من القطران، هذه الأجزاء تطلي الرئتين، وتخفص من قدرتهما على العمل، إن المدخن الوسط يتنفس أكثر من (ربع ربعية) من القطران في السنَّة، إن القطران هو عامل هام في نمو سرطان الرئة والحنجرة، والنيكوتين: مادة تجعل القلب يضرب بسرعة، ويرفع ضغط الدم، ويسرّع عملية التنفس، وهو يشكل عائقاً أمام جميع النشاطات المتوفرة، إن النيكوتين في شكله النقي سمّ يقتل في الحال، إن الدلالات الحديثة تشير إلى أن استنشاق النيكوتين يمكن أن يكون مميتاً،

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢.
(٢) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٣٢.

ويؤدي إلى الإدمان، ومن الصعب التوقف عنه[1].

أما من ناحية المخاطر الطويلة الأمد:

فإن جميع الأمراض القاتلة في الولايات المتحدة الأمريكية تبدو بأنها تزداد بالرغم من جميع الجهود المبذولة لإيقافها، ومن بين هذه الأمراض سرطان الرئة، وأمراض القلب، وأمراض الجهاز التنفسي مثل التهاب القصبات، وانتفاخ الرئة، ولأن هذه الأمراض لها علاقة بالسجائر فإنه سينظر إليها على أنها مشاكل صحية خطيرة.

إن القبر يهدد الصحة بنسبة عدد السجائر التي تأخذها المراهقة، كما أن الموت بسبب السجائر يمثل نسبة ٧٠٪ عن ما هي عليه عند غير المدخنين[2].

ـ كما أن نسبة الموت تزداد بازدياد كمية السجائر، ولكن بعد ١٠ ـ ١٥ سنة بعد الإقلاع فإن نسبة الموت بين المدخنين ستصبح هي نفسها عند غير المدخنين.

ـ كما أن مدخني الغُليون (البايب) والسيجار لهم نسبة فناء أعلى من غير المدخنين، ولكنها نسبة أخفض من نسبة مدخني السجائر.

ـ إن التدخين له علاقة بسرطان الرئة في الرجال والنساء، وربما سرطان الرئة أكثر ازدياداً من سرطان الثدي.

كما أن السجائر لها علاقة بسرطان الكلى في الرجال وليست في النساء، وكذلك في التهاب وتقرح فم المعدة، وسرطان المثانة، وسرطان

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٣، مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٥١١.

المريء وسبب رئيسي في سرطان الفم والحنجرة، كما أن تدخين النساء يزيد من خطر الإجهاض، وقتل الجنين، وكذلك موت الأطفال الجدد بعد شهر من الولادة، فالدلائل تشير بأن أطفال الأمهات المدخنات يعانين من نقص في نموهن الجسدي، وفي نموهن العاطفي والعقلي[1].

طرق الوقاية:

ـ إن أكثر التدخين يأتي من التقليد والمحاكاة لأب أو أم مدخنين، فعلى الآباء التوقف عن التدخين لكي يجعلوا أولادهم يتوقفون عن التدخين، خاصة إذا كان الأخ الأكبر مدخناً فإن هذا سيزيد من جرأة المراهق والمراهقة على ممارسة عادة التدخين.

ـ ثم إن المناقشات الصغيرة الخاطفة عن التدخين ومضاره تظهر فيها الحقائق بموضوعية ويكون لها التأثير على المراهق، إن المهم هو التركيز على النتائج المباشرة وبيئة التدخين، إن المراهقين سوف يدركون أن الخطر ليس بعيداً، بل قريب، لأن الكبار يعتبرون أن التدخين همّ وأذى يريدون التخلص منه، بينما يعتبر الشباب والفتيات بأن التدخين شيء مدهش ويعتبرونه قوة وجرأة وشيء له علاقة بالجنس، وعلى الكبار أن يفهموا المراهقين شعورهم حيال التدخين وثقله على صحتهم وأجسادهم ونفوسهم.

ـ كما أن الحملات التثقيفية ضد التدخين هي علاج جيد لمنع التدخين في المدارس الابتدائية والثانوية، ويجب أن يطلع الشباب على برامج مفصلة لكي يتفهموا الوضع، وأن يقدم لهم الوعي الصحي للتدخين، وأن يُنمَّى في المراهق كيفية ردّ الإغراءات أمام الأصدقاء الذين يدعونه

---

(١) مشكلات الطفولة والمراهقة وأساليب المساعدة فيها ص ٥١٢.

للتدخين، وكيف يحسن الإجابة عليهم وردعهم[١]. لأن الصغار والمراهقين يعتقدون أن الأطباء قادرون على اكتشاف أدوية تمنع عنهم السرطانات والأمراض.

* * *

المطلب الرابع
الكحول

تمهيد:

تعتبر الكحول واحدة من مشكلات العقاقير الأكثر شيوعاً وخطورة، ومع أن ثلث المراهقين في الولايات المتحدة يعتبرون من الممتنعين عن الكحول، إلاَّ أن واحداً من عشرة ممن يشربون الكحول هم لديهم مشكلة شرب الكحول. ولقد أصبح سوء تعاطي الكحول منتشراً في أمريكا، ونرى أن بيتاً من خمسة بيوت تعاني من مشاكل أسرية بسبب تعاطي الكحول سواء من المرأة أو الرجل.

أما في بلادنا، فيحتل الدين المقام الأول في تحريم الكحول، ولذلك فإذا تناوله البعض فهم يعرفون أنهم يتناولون أمراً محرماً، وأنهم مخالفون لتعاليم الدين الحنيف، ومع ذلك فبعد تدني الوازع الديني انتشر الكحول بين الشباب والرجال انتشاراً كبيراً وبقيت نسبة النساء ضئيلة في تناول الكحول إلاَّ في الأسر المنفتحة جداً والتي لا يهمها الدين من قريب أو بعيد[٢].

تشير تقارير المجلس القومي الخاص بالكحول إلى أن التعاطي المشكل للكحول هو في ازدياد ملحوظ بين الأولاد والبنات في عمر

---

(١) المصدر السابق ص ٥١٢.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٥١٥.

لا يتجاوز ١٢ سنة، وتشير الدراسات أن عمر ١٣ ــ ١٤ سنة أن معظم المراهقين يبدأون شرب الكحول، وأن نسبة ٧٠ ٪ منهم قد شربوا نوعاً من الكحول لدرجة السكر، وأن حوالي خمس المراهقين يصلون إلى درجة الثمالة بمعدل مرة أو أكثر في الشهر، وأكثر مكان يشربون فيه هو مع الأصحاب، أما شربه في البيت فهذا يعود إلى طرق الآباء في التربية وممارسة شرب الكحول.

كما أن الدراسات تدل على أن ١,٣ مليون مراهق قد شربوا الكحول في سن ما قبل المراهقة بشكل زائد، وأن نصفهم قد قتلوا في حوادث سيارات ذات علاقة بالكحول، والكحول أقل كلفة من غيرها من العقاقير، والحصول عليها أسهل بكثير، واستخدامها مقبول لدى الكبار أكثر من باقي العقاقير[١]. ومن هنا جاءت خطورتها.

وإن أحد أسباب تزايد عدد المراهقين الذين يشربون الكحول هو ضغط الرفاق وتأثير الأصدقاء، وجملة: «إنني أشرب لأن جميع أصدقائي يشربون»، شائعة بين المراهقين، وقال آخر: «إنني لا أريد أن أبدو شاذاً ولذلك بدأت بالشرب، أن كثيراً من المراهقين يشربون لأن الشراب يجعلني أشعر بالسعادة، ويساعدني على قضاء وقت طيب»، ومن الأسباب التي يعطيها المراهقين أيضاً الملل الذي يُشعر في حياتهم، أو أن لديهم مشكلات في البيت أو المدرسة، أو أنهم يخافون المستقبل في عالمهم المحفوف بالغموض والقسوة.

وأكثر الأسباب التي يذكرها المراهقون شيوعاً هي تأثير الوالدين ومجتمع الراشدين بشكل عام، ففي مجتمع يتسامح مع كثرة الشراب،

---

(١) المصدر السابق ص ٥١٦.

ويعتمد فيه ملايين الراشدين على الكحول ليس مستغرباً أن نجد أعداداً متزايدة من صغاره يتجهون للاعتماد على الكحول، وعندما يعيش الأطفال في مجتمع ينظر إلى الإكثار من المشروب أو إلى السكر كأمر شائع وأحياناً كموضوع للفكاهة، فإن اتجاهات نبذ الكحول لديهم تصبح ضعيفة[1].

تأثير الكحول:

الكحول مادة طبيعية تتشكل نتيجة تفاعل السكر المتخمر مع بذور الخميرة، ومع أن هناك أنواعاً كثيرة من الكحول، فإن الكحول المعروف هو قابل للاشتعال، وهو عقار يؤثر على العقل ويعمل كمسكن أو خافض، وبدلاً من أن يتم هضم الكحول في المعدة والأمعاء الدقيقة يتم امتصاص الكحول إلى مجرى الدم دونما تغيير، ويقوم الكبد بأكسدة حوالي ٢٠٪ من الكحول الموجود في الدم، أما الباقي فيحمل إلى القلب الذي يقوم بضخه عبر الدورة الدموية إلى باقي أجزاء الجسم بما فيها الدماغ، وفي الدماغ يحدث الكحول تباطؤاً في الأجزاء التي تضبط التفكير والحركة، ولذا يشعر الشخص بانخفاض الحركة وتدني الخوف، كما يصبح الفرد أقل قدرة على أداء المهمات المعقدة التي تتطلب درجة من الإتقان والانتباه مثل قيادة السيارات، كما أن شاربي الكحول يكونون أقل قدرة على المحاكمة الجيدة، ولذا يزيد احتمال ظهور التصرفات المحرجة والشجار والحوادث والمشكلات عندما يكون الفرد تحت تأثير الشراب، وعندما يكون الشخص ثملاً أو سكراناً يكون في حالة من عدم الكفاءة الجسمية والعقلية حيث يضعف بصره، ويضطرب إدراكه وتتباطأ استجابة بؤبؤ عينه للضوء، كذلك يتباطأ الحديث، ويتدهور التناسق، وتنخفض القدرة على حلّ المشكلات،

---

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٥١٦.

وتصبح انفعالات الفرد ومزاجه غير قابلة للتنبؤ بها، وتضعف القدرة على تذكر الحوادث السابقة والمعارف، كما تنخفض قدرة العقل على ربط المعلومات، وبذا تصبح القدرة على الحكم ضعيفة، ويعتمد التأثير الفوري على ثلاثة عوامل[١]:

(أ) الكمية التي يشربها الشخص.

(ب) وزن الشخص.

(ج) إذا كانت المعدة مليئة بالطعام.

والمعلوم أنه كلما زادت كمية الكحول التي يشربها الفرد، كلما زاد الوقت الذي يحتاجه للتغلب على آثار الكحول.

الأخطار بعيدة المدى:

يبدو أن الشراب عندما يؤخذ لفترات طويلة يمكن أن يكون له آثار جسيمة مدمرة بحيث يؤدي إلى إنقاص حياة الشخص بين ١٠ ـ ١٢ سنة. (ولا يعني هذا أن الشرب القليل لا يضر أو غير محرم لأن ما أسكر قليله فكثيره حرام)، ويمكن أن يؤدي الشرب الكثير لفترة طويلة إلى تلف في القلب أو الدماغ أو الكبد أو غير ذلك من الأعضاء الرئيسية، فأمراض القلب توجد بشكل كبير بين الكحوليين إذ أن تعاطي الكحول بكميات كبيرة يؤدي مباشرة إلى إحداث آثار سامة في القلب، كما يمكن أن تتأثر الرئتان بكثرة الشراب، وتلف الكبد يعتبر شائعاً بين الكحوليين، حيث يحدث تلف الكبد بين الكحوليين بنسبة تعادل ستة أضعاف حدوثه في المجتمع عامة[٢]، وعندما يشرب الكحول بكميات كبيرة يمكن أن يتهيج النظام المعوي ويزداد

(١) المصدر السابق ص ٥١٧.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقة وأساليب المساعدة فيها ص ٥١٧.

التعرض للإصابة بالتهاب المعدة والبنكرياس والقرحات، وكثيرو الشرب أكثر عرضة للإصابة بذات الرئة وغيرها من الأمراض المعدية.

إن الإكثار من الشراب لعدة سنوات يمكن أن يؤدي إلى اضطرابات عقلية خطيرة، أو إلى تلف دائم في الدماغ والجهاز العصبي، كما يمكن أن تتدهور الوظائف العقلية مثل التذكر والحكم والقدرة على التعلم، كما قد يتدهور ارتباط الفرد بالواقع.

كما أن شرب المسكر يعتبر سبباً لحصول حوادث السير والوفيات الناجمة عنها، وكذلك للحوادث التي تقع في البيت، أو أثناء العمل، وحوادث الانتحار والاعتداء والقتل إلى حوالي ثلثي جرائم القتل، وثلث حالات الانتحار لها علاقة بالكحول، وكذلك الأمر بالنسبة لنصف وفيّات الحرائق والغرق.

المراهقون هم الضحايا للكحول، كما أن المرأة التي تشرب الكحول أثناء الحمل تواجه احتمالاً بمعدل ٥٠٪ لأن تنجب طفلاً يعاني من درجة من التخلف العقلي، و٣٠٪ احتمالاً لأن تنجب طفلاً يعاني من إعاقات جسمية متعددة أخرى.

وهذا الضرر الذي ينال الجنين غير قابل للمعالجة، كما أن كثيراً من الأطفال الذين يولدون يحتاجون عناية خاصة طوال حياتهم.

الشرب وقيادة السيارات لدى المراهقين:

إن الجمع بين الشرب وعدم الخبرة في قيادة السيارة هو بحث أكيد عن المتاعب، فآخر ما نتعلمه هو أول ما ننساه عند الطوارىء، والقيادة في سيارات اليوم، وبأزمات السير القائمة هذه الأيام، تتطلب قرارات تتخذ في أجزاء من الثانية، وهذه القرارات ليست موجودة عند المراهقين الذين

لم تتكون لديهم خبرة سنوات ومسافات طويلة ليعتمدوا عليها، كما أن حديثي العهد بالشرب لا يمتلكون الخبرة الكافية لكي يعرفوا استجاباتهم الشخصية حتى لكأس واحد من الشراب، منهم لم يكوِّنوا وعياً لمدى احتمالهم، ولم يتعلموا أن للكحول تأثير أقوى عندما يؤخذ على معدة فارغة، وأن تأثيره يتضاعف عندما يؤخذ مع وصفات طبية أو عقاقير أخرى، وأن العوامل الانفعالية مثل الغضب والعوامل الجسمية مثل التعب يمكن أن تغير مستوى احتمال الفرد.

إن حوادث السير هي من أهم الأسباب المؤدية للموت بين المراهقين، وعندما يصل مستوى الكحول إلى ٢٠٪ في الدم وهو المستوى الذي يظهر لدى معظم السائقين السكارى الذين يتم اعتقالهم فإن خطر وقوع الحوادث لدى المراهقين أكثر بمائة مرة مما هو لدى السائقين العاديين[١].

الحـلـول:

إن للآباء تأثير قوي على أبنائهم من خلال ما يقولونه ويفعلونه، فإنهم يمكنهم الحيلولة دون تشكل مشكلة الشرب لدى أبنائهم.

(أ) **المثال الوالدي:** هو خير حافز للمراهقين، فمن المهم ألا يكوّن الآباء لدى المراهقين فكرة أن ضغوطات الحياة اليومية تتطلب الاستعانة بالمواد الكيمائية، وبدلاً من ذلك فإن على الوالدين أن يقدما نموذجاً للاستخدام العقلي للكحول والذي يعني الامتناع عن تناولها لأنه محرم وضار بالصحة والعقل، وأن الله سبحانه وتعالى ما حرم علينا إلاَّ ما فيه إساءة لنا.

(ب) **مناقشة الحقائق:** إن معظم المراهقين لا يشعرون بحرية لمناقشة موضوع الشرب مع آبائهم مع أنهم يتمنون لو أتيحت لهم الفرصة لذلك،

(١) مشكلات الطفولة والمراهقة وأساليب المساعدة فيها ص ٥١٨.

فالمراهق يرغب ويحتاج في تعلم كيف يتخذ القرارات الذكية والمسؤولة حول الكحول[١].

ويجب أن تكون المعلومات حول أضرار الكحول علمية، ولها قيمة عملية مباشرة لدى المراهقين، فهم بحاجة إلى معرفة النتائج الفورية للشرب مثل تعطيل القدرة على قيادة السيارة، أو أداء المهارات الرياضية، أو آثار الشرب على المحاكمة والاستدلال، وبشكل عام يجب أن تبدأ بالتحدث عن آثار الكحول وأضرارها منذ بداية الوعي للطفل مع تجنب استخدام أساليب الترهيب القائمة على المبالغة، ولكن بيّن مخاطر استخدام الكحول بعبارات موضوعية، وبيِّن كيف أن الكحول لا بد أن يكون مؤذياً ومفسداً.

وقد لا يجدي مع المراهقين الكبار أن توضع قواعد يجبروا على طاعتها، إن علينا أن ندرك بأن هؤلاء المراهقين سوف يقومون باتخاذ قراراتهم الخاصة بشأن الشرب، وأن واحداً من التزاماتنا الدينية هو أن نقدم لهم معلومات حقيقية بحيث يتمكنوا من اتخاذ قرار يستند إلى المعلومات حول تحريم الخمر وأضراره معتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة وفعل الصحابة الكرام[٢].

(ج) البرامج التربوية في المدرسة: الحقيقة أن البرامج السيئة أو الساذجة للتوعية من الكحول والمخدرات قد يزيد من احتمال استخدامها، لكن الاتجاه الحديث قائم على (التحصين) وفيه يتم تحذير الشباب مسبقاً من تأثير الرفاق الداعي إلى الأساليب الخاطئة في تجريب الكحول والعقاقير، كما يتم تدريبهم بشكل منتظم على استخدام مهارات

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢٠.

(٢) مشكلات الطفولة والمراهقة وأساليب المساعدة فيها ص ٥٢٢.

تأكيد الذات لمقاومة هذا التأثير، ولتوضيح القيم الأساسية والدينية للمراهق، وفيها يناقش الجانب اللاأخلاقي في شرب الكحول الذي يعطي للفرد الحق في تدمير نفسه وتدمير الغير، كما يتم توضيح الاستخدام اللامسؤول للعقاقير المخدرة، وإن المساعدة على اتخاذ قرارات أخلاقية من خلال أسلوب توضيح القيم يمكن أن يخفض من احتمال رفض استخدام الكحول والعقاقير لدى الشباب[1].

ويحتاج المراهق إلى تفحص قيمتي الحرية والمسؤولية والعلاقة بينهما، فالحرية القصوى تعتمد على إيجاد الحد الأدنى من الضوابط على حرية الفرد التي تعتبر ضرورية لضمان الحرية لكل شخص، وتتضمن المسؤولية والتفكير والاهتمام بالغير، وأن يكون الشخص متمركزاً حول الغير بدلاً من تمركزه حول الذات، وضبط الأعمال القهرية التي يمكن أن تؤدي إلى نتائج ضارة للنفس وللآخرين.

إن الشخص المسؤول هو الشخص الذي تعلم أن يتنبأ بما قد تكون عليه نتائج سلوكه، خاصة وأن المراهقين يقللون من أهمية الخطر الذي يترتب على المجتمع من شخص سكير، ويجب أن يتعلموا أن ينظروا إلى تصرفاتهم في إساءة استخدام العقاقير باعتبارها تصرفات تترتب عليها آثار ضارّه بحقوق الآخرين، وإن من حق المجتمع أن يحمي أعضاءه بسن القوانين المضادة لاستخدام الكحول والعقاقير وتنفيذها[2].

* * *

(١) المصدر السابق ص ٥٢٣.
(٢) المصدر السابق ص ٥٢٣.

المطلب الخامس

العقاقير

تمهيد:

يستهلك الناس في عصرنا الحالي مقادير كبيرة ومتنوعة من العقاقير أكثر مما كان عليه الحال في أي وقت مضى، وتشمل هذه العقاقير الأسبرين والحبوب المنومة والمهدئات، والمنشطات والمخدِّرات، ونحن عندما نناقش العقاقير فنقصد بها: العقاقير التي تؤدي إلى نشاط كيميائي في الدماغ يؤثر على المشاعر والتفكير والسلوك، وهناك أشكال متنوعة من العقاقير ذات الفاعلية النفسية تتضمن المثيرات والمهدئات والمخدرات.

سوء استخدام العقاقير:

يعرّف سوء استخدام العقاقير بأنه استعمال أية مادة كيميائية سواء كانت مشروعة أم لا، تؤدي إلى أذى جسمي أو عقلي أو اجتماعي للشخص، أو للآخرين المحيطين به، ومشكلة سوء استخدام العقاقير لا تعتبر مشكلة حديثة الظهور، فقد كانت موجودة عبر التاريخ، إذ أن الناس في مختلف الأزمنة والأقطار ومن مختلف الأعمار استخدموا العقاقير لخفض آلام المعاناة اليومية، أو للحصول على خبرات خاصة لا تتوافر دون العقار، أما ما هو جديد في أيامنا فهو وفرة العقاقير وتزايد استخدامها من قبل فئات عمرية أصغر سنّاً[(١)].

متى يصبح المراهق مدمناً على العقاقير؟

يصبح المراهق أو المراهقة مدمناً على العقاقير عندما يصل إلى حالة

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٢٩.

من التسمم الدوري والمزمن المؤذية للفرد والمجتمع، والناتجة عن تكرار استخدام العقَّار، وتتصف حالة الإدمان بما يلي:

١ ــ وجود رغبة قهرية قوية في الاستمرار في أخذ العقَّار والحصول عليه بأية طريقة.

٢ ــ وجود ميل لزيادة الجرعة.

٣ ــ الاعتماد النفسي وأحياناً الجسمي على الآثار التي يتركها العقار.

وعلى الغالب ما يكون الفرد غير واع في تورطه في هذه العادة، فينتقل في الاعتماد عليها، ثم إلى الإدمان حتى يجد نفسه أخيراً قد وقع في الإدمان.

إن الاعتماد على الأدوية (كالأسبرين)، والأدوية المهدئة للأعصاب (كالفاليوم) والأدوية المنومة والمنشطة التي تستخدم أثناء الفحوص النهائية، هي حالة من الاعتماد الجسدي والنفسي على الدواء أو كلاهما، وينتج عن استعمال الأدوية المستمر والمتكرر والشديد، والتعود يعني الرغبة النفسية في تكرار أو إعادة استعمال الدواء بشكل مستمر لكي يشعر بالتحسن، وعندما لا يستطيع أن يحصل على ذلك فإنه يشعر بالتعب، وكل ما يستطيع أن يفكر به هو الحصول على المزيد من الدواء[١].

إن الإدمان هي العبارة المعبرة عن الاعتماد الجسدي على الدواء، إن تعريفها العلمي يتضمن على نمو أو تطور الاعتماد على الدواء، وكلما طوّر الفرد الدواء فإن سيصبح بحاجة إلى مزيد من المخدر لكي يحصل على نفس التأثير الذي يريده، وعندما يتوقف ذلك المخدر بشكل مفاجىء فإن فقدانه له

(١) المصدر السابق ص ٣٣٠.

تعرضه للاستفراغ والتشنجات، لأن المنوِّمات والمهدئات وبعض أنواع المنشطات وبجرعات كبيرة يمكن أن تقود إلى الإدمان، إن الحقيقة المفجعة أن كثيراً من الأطفال مدمنين على المهدئات كدواء السعال والأسبرين، وحتى المراهقين فالعدوى بينهم لا تنتقل بواسطة المحترفين، وإنما بواسطة الأصدقاء، وإن معظم تعاطي المخدرات تقع في زمرة الشباب من (١٦ ــ ٢٨) سنة[1].

* * *

المطلب السادس

المخدّرات (الحشيش والأفيون)

التعريف بها:

وهي عبارة عن مخدر توجد في أزهار الأوراق العليا من نبات الحشيش، وكلها تسمية لنواع واحد هو مخدر الحشيش، تنمو في المناخ المعتدل في جميع أقطار العالم.

إن الأزهار والأوراق لهذا النبات تجفف وتسحق وتقطع إلى أجزاء صغير وتدخن في سجائر صغيرة أو في (البايب/ الغليون)، ويمكن أن تُشَم وأن تؤخذ مع الطعام، ويكون الدخان خشناً ورائحته مثل رائحة الجمل المحروق، أو كالأعشاب الجافة له رائحة جميلة.

والحشيش خاضع في جميع أنحاء العالم إلى عقوبات، لأنه مخدر ذائع الصيت، كبير الانتشار ينفق عليه في السنة حوالي (١٠٠) مليون دينار.

ويقدر أن بين ٣٠ إلى ٥٠٪ من طلاب المدارس الثانوية والكليات قد

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٣١.

جربوا الحشيش على الأقل لمرة واحدة. هذا الإحصاء لا يطال البلاد العربية وإن كان نسبة تعاطيه في البلاد العربية قد زادت، ويبقى انحصاره في فئة الشباب دون البنات، أما في البلاد الأوروبية فنسبة الفتيات والمتزوجات والكهول كلها بدرجة واحدة. إن أماكن تدخين الحشيش أصبحت واسعة الانتشار ولها مكان بين الشباب، لأن الإغراء نحو تجريبها قوي جداً به، وغير قابل للمقاومة، وعلى الآباء أن يتوقعوا أن يجدوا أبناءهم أو بناتهم يدخنون الحشيش، لأن الأمر أصبح شائعاً ويستطيعون الحصول على المواد المخدرة بكثرة وسهولة، أما بالنسبة للمدمن فإنها ستكون على حساب النشاطات الأخرى التي تتضاءل، ولا يمكن استعمال المرجوانا أو الحشيش مع الكحول[1].

وقد وجد أن الباعث لطلاب المدارس الثانوية والجامعات في تعاطي الحشيش هو المتعة والسرور، والأخلاق التي تشجع على اللذة والأهواء. لذلك وجب علينا أن نعيد ترتيب أولوياتنا بطريقة إسلامية لنجد أن هناك قيماً أخرى لها أهمية في البحث عن السرور الشخصي. كما أن انتشار أماكن الترفيه والتسلية واللهو التي باتت تغزو مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، كمدينة الملاهي وألعاب البلياردو والنرد والقمار والنوادي الليلية لا الرياضية، وعدم وجود القدرة على استعمال وقت الفراغ بشكل بنّاء قاد إلى حالة من الملل، وهذه بدورها تؤدي إلى استعمال المخدرات، وإن كثيراً من الشباب الذين يشعرون بالغرابة في وسط مجتمعاتهم وغير سعداء في حياتهم يرجع الشباب إلى المشروب والمخدرات لأنهم يشعرون بالإحباط، وإن الحرب والجرائم وارتفاع الأسعار والتضخم المالي هي مشاكل غير قابلة للحل، كما أن البلادة والعبث هي أسباب وخيمة وبما أن المراهق لا يستطيع أن يغيّر

(١) المصدر السابق ص ٣٣٩.

العالم، أو الاتجاه الذي يسير فيه العالم، فإن عليه كما يتصور أن يغيّر حالة الوعي، حتى يرى العالم من منظار عالٍ كما يعتقد[١].

ويمكن تلخيص أسباب تعاطي الحشيش بما يلي:

١ ــ الاعتقاد بأن المخدرات تستطيع أن تحل جميع المشاكل.

٢ ــ الانتشار السريع للمخدِّرات المتعددة.

٣ ــ ضغط الأصدقاء والصديقات مما يجعل الشاب أو الفتاة تجاري الأساليب الجارية في السلوك وفي اللهو وفي المخدرات.

٤ ــ البحث عن أحاسيس أو رؤى مختلفة.

٥ ــ البحث عن مخدر له دور مثل الكحول يدعمه في المواقف الاجتماعية.

٦ ــ الثورة ضد الأبوين[٢].

تأثير الحشيش المباشر:

إن تعاطي الحشيش يدخل المراهق في حالة من الاسترخاء عندما يدخنها أو يأكلها، وفيها من الخصائص الكيميائية المعقدة التي لها تأثيرات نفسية فعّالة، وهذه الكمية في الحشيش مختلفة حسب أماكن تواجدها وتعتمد على نوع النبات وظروف الإنبات، والحشيش في جنوب أمريكا، وفي الشرق الأدنى والأقصى غنية بهذه المادة الكيماوية أكثر من النبات الجاف، وقد انتشر بيعها في السنوات الخمس الأخيرة أكثر مما كانت عليه قبل ذلك، وهي إذا أُخذت بكميات قليلة تكون كمسكر، أما إذا أخذت بكميات كبيرة فإنها تسبب الهلوسة، وتعتمد على الكمية المستعملة وعلى المزاج للمدخنين، إن بعض الناس حساسون لكميات قليلة، بينما آخرون

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤١.

يأخذون جرعات كبيرة نسبياً بدون أن يكون لها تأثير واضح عليهم، إن شخصية المدخن وحالته العاطفية والمكان الذي يدخن فيه، وتجربته السابقة بها تؤثر على ردود أفعاله.

إن هـذا التعقيـد والتـركيـب يجعـل الأمـر صعبـاً لكـي نتنبـأ بتـأثيـرات المخدر، إذ يكون المرح مع صخب ويشعر الآخرون بأن تصرفات المراهق غريبة، وأخيراً يصبح المدخنون سلبيين وينتكسون إلى حالة حزينة، وأكثر مستعملي الحشيش أفادوا بحدوث تغيرات في الحواس يقولون بأنهم يرون ألواناً وأشكالاً، وعند بعضهم ردود أفعال حادة وغير متوقعة، وهؤلاء يمكن أن يعانوا من ذعر مؤقت وهذه بداية الهلوسة، ويتم فيها زيادة ضربات القلب، وانخفاض في درجة حرارة الجسم واحمرار العينين، وهذا المخدر يغيّر من نسبة السكر في الدم، ويحفّز الشهية للطعام، ويقلل من نحافة الجسم.

أما تأثيرها على العواطف والأحاسيس فإنها تختلف بشكل كبير، ويعتمد ذلك على كمية الحشيش وقوة تأثيرها، وردود الأفعال تتراوح بين الاكتئاب والإثارة، كما أن الإحساس بالزمن والمسافة تصبح مشوهة، إن الدقيقة تظهر كالساعة، والشيء القريب يبدو بعيداً، وأن أي عمل يتطلب استجـابـات جيـدة وتفكيـر سليـم يكـون خطـراً تحـت تـأثيـر المخـدر كقيـادة السيارات مثلاً، إذ أن سجلات الشرطة تحتوي على الكثير من الحوادث التي يسببها مدخني الحشيش، فبعضهم يقول: إن سياراتهم بطيئة بالرغم من أنها سـريعـة، وبعضهـم يشعـر بـأن السيـارة خفيفـة أو أن عـداد السـرعـة تـالـف ولا يعمل، وبعضهم تبدو لهم الأشياء وكأنها تمر ببطء[١].

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٤٢.

تأثير الحشيش طويل الأمد:

إن التأثيرات الجسدية طويلة الأمد ليست معروفة لحد الآن، لذلك وجب البحث عن تأثير المخدر الشديد في المراحل الأولى، ومن المعلوم أن مدخن الحشيش يجعله يتوق إلى تجربة مخدرات أخرى، ولذلك فإن التقليل من مخاطر الحشيش الجسدية والنفسية خطأ فادح فإن تأثير الحشيش على الحسّ المتعلق بإدراك المسافة، والقدرة على التفكير بوضوح لها تأثير كبير، كما أن تأثيرها على النمو النفسي للطفل الذي يتباطأ ويتأخر بشكل واضح، لأن وظائف النمو لا يمكن إنجازها بدون مقدار معين من الجهاد والألم، لذلك فإن المدمن سوف يعاني مَن مشاكل نفسية كبيرة كالإحباط والهروب، وإنه سيميل إلى الانسحاب وسيفقد الدافعية والطموح، إنه يتهرب ويفشل في المدرسة والعمل، إن المدمن على الحشيش يصبح كسولاً ولا يفكر بالمستقبل، كما أن الدراسة أثبتت أن هناك علاقة بين الحشيش والسرطان لأن الحشيش تبقى مدة أطول في الرئتين، ومن ثم فإنها تحدث تأثيراً قويًا، لذلك فإن تدخينها له علاقة قوية بحدوث السرطان بنسبة عالية[١].

طرق الوقاية:

إن الحالات التي يكون فيها المراهق متضايقاً وغير ثابت أو له خصومة مع الأصدقاء، مثل هذه الدلائل تشير بأن على الآباء أن يكونوا جاهزين للاستماع للمراهق أو المراهقة وأن يقدموا لهم الدعم الكامل، وعليكما أيها الوالدان أن تتعلما بعض الدلائل التي تشير إلى أن المراهق قد بدأ باستعمال الحشيش:

١ ـ يشعر المراهق في المراحل الأولى بأنه مفعم بالحيوية، ويميل إلى الضحك العالي، وفي المراحل الأخيرة يميل المراهق إلى النوم.

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٤٣.

٢ ـ تكون عيون المراهق أرجوانية، ويميل المراهق إلى إخفاء عينيه بالنظارات الشمسية، كما يميل إلى الوصف المسهب.

٣ ـ فقدان الإحساس والهلوسة لا تعرف من مدخن الحشيش إلاّ إذا كان تحت تأثيرها، أو عندما يراد منه القيام بعمل واع بشكل جيد، فإن المخدر يشوه شخصيته، وزمن الوعي لديه، إن العلاج المبكر أمر ضروري في حالة الإدمان، ويجب أن يكون الفرد واعياً بدلائل الإدمان، ويجب عليه الإسراع نحو العلاج الفعال.

ـ ناقش الحقائق بهدوء وقدم للمراهق صورة عن المخاطر الحقيقية والقانونية مع تمسكك بالصراحة والأمانة والمناقشة، فعندما يكتشف المراهق أن هناك مبالغة في كلام الوالدين، فإن ذلك سيحطم الثقة بينهم، إن المراهق يحترم الحقائق العلمية وليس من المنطق أن يشدد الوالدين على مخاطر ليست ظاهرة أو أكيدة.

ـ علمهم القيم الأخلاقية البديلة، وادعم هذه الحقائق ووثقها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ـ إن انهيار العلاقة الأسرية لها علاقة كبيرة بالمخدرات، فكلما ضعفت الأسرة زاد تأثير الأصدقاء على تشجيع المراهق باستعمال المخدرات، لذلك فإن العلاقة الوطيدة تساعد المراهق لإيجاد نشاطات بديلة كالرياضة والسباحة وركوب الخيل والركض، إن المراهقين يحتاجون إلى جعل حياتهم ذات معنى وهدف، فهم بحاجة إلى نشاطات واهتمامات يشاركون فيها، يجب أن يشعروا بأن للحياة بهجة ومتعة بدون استعمال المخدرات، كما يجب أن يكون عندهم شعوراً بقيمة أنفسهم من خلال إنجازاتهم الشخصية.

* * *

المطلب السابع
المستنشَقات

تـعـريـف:

إن مـوضـة أو بـدعـة المستنشَقـات مستمـرة فـي التغيـر، إنهـا تتضمـن البنـزيـن، والسـوائـل الطيـارة، ومـواد التنظيـف، ومـزيـل المنـاكيـر (طـلاء الأظافر)، وصبغة الشعر، وملمِّع الأثاث وكذلك الغراء.

إن المستنشَقات ليست سارَّة بل قاتلة، ولحسن الحظ أن المستنشقين لا يشمونها باستمرار وانتظام، وهم مجموعات صغيرة جداً في السادسة أو السابعة عشر من العمر يدفعهم لذلك حب الاستطلاع والمغامرة وضغط الأصدقاء لأن يجربوا شيئاً جديداً، من أجل التمتع برائحتها، أو لإظهار المعارضة، والأولاد يشمون أكثر من البنات، والمستنشقات مؤذية بما فيه الكفاية وهي خطيرة جداً[1].

تأثيرها المباشر:

تلف الدماغ الحاد، يسبقها دُوار ونعاس وسبات وتهيج العينين، واختفاء الحس والتوجه، والرؤيا المزدوجة، وطنين الأذنين، وعطس وإسهال، وآلام في الصدر والعنق والرأس والأرجل، وارتجاف اليدين، وشحوب، وعدم تركيز عقلي، وفقدان الذاكرة، والكلام التافه الذي لا معنى له، وشبه صرع، وإحساس بالتهيج والوخز الخفيف، وخدر في اليدين والأرجل.

إن معظم المراهقين الصغار يقولون إن خلال استنشاقهم يشعرون

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٤٩.

بالقوة وأنهم غير قابلين للأذى، وأن لديهم قدرات مدهشة، وإحدى هذه الأفكار هي القدرة على الطيران، بعضهم لا يحس بالألم وأنه يستطيع أن يضرب الحائط، وأنه يستطيع أن يشعر بهلوسات بصرية وأوهام وهلوسة مخيفة وجروح نفسية، إن المراهق يحتاج إلى زيادة في كيماتها لكي يحصل على نفس التأثير، إن الشمة العالية تدوم إلى فترة قد تصل إلى حد الساعة[1].

تأثيرها طويل الأمد:

أظهرت الدراسات قائمة بالآثار طويلة الأمد وهي الإعياء، وتضاؤل القدرة الجسدية والاكتئاب، وفقدان الشهية، وفقدان الوزن، والتهيج، وعدم الانتباه، وتهيج الجلد، وتهيج القصبات الهوائية التنفسية وخاصة الأغشية الأنفية، والإفرازات الزائدة، ورائحة الفم والنفَس الكريهة، وعدم الثبات في الوقوف، الارتجاف والأنواع العديدة من فقر الدم وشذوذ الخلايا البيضاء في الجسم، واحتقان الرئة ونزيفها، والانحطاط العقلي الدماغي والفكري، وارتفاع ضغط السائل الشوكي المسبب للاستسقاء الدماغي، وتلف الكبد والطحال والجهاز التنفسي، لأن الغاز الموجود في هذه المنتوجات يستطيع أن يقتل الإنسان خلال ثواني[2].

دلالات استعمال المستنشقات:

١ ـ رائحة المواد المستنشقة تظهر في نفَسه وفي ملابسه.

٢ ـ إفرازات زائدة من الأنف، ونزول دموع من العينين.

٣ ـ ضعف السيطرة على العضلات (ترنح).

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٠.

(٢) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٣٥٢.

٤ ــ النعاس، فقدان الوعي.

٥ ــ وجود أوراق بلاستيكية وأكياس ورقية أو خرق تحتوي على مواد مخدرة أو بودرة استنشاق.

٦ ــ الكلام غير المؤدب.

٧ ــ سوء النفَس ورائحة النفس الكريهة.

طـرق الوقايـة:

تعريف المراهق بسوء استعمال المستنشَقات وتقديم المعلومات بالنسبة لهذا الخطر بالتوجيه الواعي الحكيم، ويجب شرح سوء الاستعمال تماماً كما يقدم الآباء المعلومات لاجتياز الشارع للمدرسة، ويمكن استعمال نفس طرق الوقاية السابقة الذكر وتطبيقها في مثل هذه الحالات.



الفصل الرابع
رغبتهن في التحرر والاستقلال

لا شك أن المسائل المتعلقة بالمراهقات كانت من المسائل التي أثارت اهتمام العديد من علماء النفس، وهذه الفترة متممة لفترة الطفولة وبداية فترة الرجولة، وتبرز فيها عواصف الحياة وتتحرك بسرعة فائقة فتجعل من أصحابها في حالة من التغير السريعة، وعلينا أن ننتظر سنين عديدة لكي يتاح لنا رؤية هدوء هذه العواصف في جوانب الروح والجسم.

أما الحالات التي تظهر في السنين المتقدمة من العمر فتكون أقل وأهدأ، كالاندفاع للنقاش والرياضة، وفي نفس الوقت الإحساس بالحياء والخجل المفرط، وهو طبعاً لا يظهر بصورة ثابتة ومستقرة، بل ربما كان العكس من ذلك خصوصاً إذا تعرضت مصالح أبناء هذا السن إلى الخطر، إذ ينقلب حياؤهن إلى وقاحة غير قابلة للتغير.

إن الاختلاف في الحالات بين المراهقات وسلوكياتهن في المراحل الذي تسبق هذه السن، وفي المراحل الذي تليه واضح كبير، يتجلى في تفاوت الميول والأماني والرغبات وطراز التفكير، والنظر إلى العالم، وكذلك في القدرات البدنية الجمالية التي يتجلب الغرور، والحالات النفسية.

الآثار المترتبة عن الرغبة في التحرر والاستقلال

حالة التشاؤم

قد تظهر على المراهقات مظاهر التشاؤم واليأس من الحياة، لكنها يمكن أن تكون مصطنعة لأجل الضغط على الوالدين، إلاَّ أن الحقيقي منها ناشيء عن الإحساس بتفاهة الحياة والضياع، وربما الانحراف. هذه الفئة ربما عاشت حياة مرعبة وطفولة معذبة ومريرة، ورزحت تحت وطأة الخوف من الاختلاط بالناس، فتركت لديهن انطباعاً غير عقلاني عن الحياة ومظاهرها، فهذا الانقطاع عن الناس يجعلهن ذوي حياة تفتقر إلى أساس قيم بعيد عن الواقعيات، فيحلقن في سماء الخيال، ويرفضن العودة إلى أرض الواقع.

في بعض الأحيان يبدين كالأطفال، ويتصرفن بسذاجة فيسقطن في الفشل واليأس. هذا اليأس ينتهي بهن إلى الإحساس بالحقارة والإنكار والعذاب، وفي بعض الأحيان تبرز عليهن علائم اللامبالاة والجمود في العواطف يتذرعن بها كسلاح دفاعي ينجيهن من الغرق والمتاعب، وهذه الحالة تعتبر عندهن نوع من التسلية، ومن جهة أخرى نوع من الانتقام موجه ضد عناصر الانسجام فيهن[1].

حالة الانزواء

المراهقة لأجل التغلب على العجز وجبران ذلك فإنها تختار طرق مختلفة منها قبول رغبات جديدة وإحياء شخصياتهم التي ترى أنهم خسروها، فتلجأ إلى الخيال والأحلام ونسج الأدلة وقبول الأدلة التافهة منها، والعودة إلى زمن الطفولة البكاء وافتعال الضجيج أو اللعب بالأصابع

---

(١) تربية الشباب ص ١٠٥.

أو قضم الأظافر إنكاراً للواقع، واستعداداً للهجوم واستخدام الخشونة، وأحياناً الغرق في عالم العزلة والانزواء.

تستند عملية العزلة إلى أمرين أساسيين:

١ ـ الاختلاء لأجل معرفة النفس والبحث عن حلول للمشاكل والتفكير في المصاعب، وأحياناً يأتي البكاء والتخفيف من الأحزان بسبب بعد النظر وهو غالباً ما يحصل في سن البلوغ.

٢ ـ الانتفاع من الخلوة والانزواء، كملجأ لقراءة كتب ممنوعة، أو تدخين السجائر، والاستمناء (العادة السرية)، أو النظر إلى أفلام جنسية، أو إعداد خطط تخريبية أو للهروب مع صديق، والتفكير في كيفية ممارسة العصيان، وقد يحصل الانزواء بحيث تستغرق المراهقة فيه حتى تبدو كأنها غافلة عن نفسها.

وفي كل الأحوال إنها تعيش خوفاً كبيراً من الوحدة المطلقة من الانقطاع الطويل، إنها تريد أن تبقى كالأطفال عند الآخرين وفي حمايتهم، وحينها ينفصلن عن كل الأقارب ويشعرن بالراحة مع الصديقات، والبهجة من اللقاء بهن[١].

الخيال والأحلام عند المراهقة

يعرف سن المراهقة بسن الخيال والأحلام والتحليق، وقد تظل المراهقة أسيرة لعالم الخيال، فتعيش في عالم الأماني الذي يشجع قابليتها القوية على التخيل كأنها بذلك تحل المستقبل إلى حاضر وصارت تعيش فيه.

إنها ببساطة تخرج من دنيا الحقيقة، وترد إلى دنيا الأوهام، فهناك تحقق أمانيها، وتشعر بالفرح والسعادة، ثم تعود بسرعة حزينة مهمومة.

---

(١) تربية الشباب ص ١٠٦.

الفرح والانفعال عادة يمتاز بالحدّة والقوة، فهذه الأحلام تأتي غالباً في أعقاب الحوادث التي تقع في اليقظة والرغبات التي تتحرك في أعماقها، فهي تضع خططاً لإخفاء أعمالها في الخيال، وكأنها قد تعلمت من الأصدقاء والمحيطين بها شيئاً ما يريبها، وبالجملة فإن المراهقة تريد أن تضفي على أعمالها وتصرفاتها قالباً من الأسرار، وتسلك لذلك سلوكاً عجيباً وغريباً.

فالأعمال التي تخفيها كثيرة ولديها مهارة في هذا المجال تجعل من حياتها فترة من الأسرار تجعل علماء النفس يتحدثون عن حقائق مجهولة حول نفس هذه الأعمال السرية تجبرهم على التجسس والنفاق والنميمة، وتستمر على لعب هذه الأدوار مدة بنجاح كامل، وتتقدم في هذا الاتجاه بحيث لا يتمكن الآخرون من الاطلاع على أعمالهم[١].

حالة التردد

عمر المراهقة هو عمر التردد والشكوك للوصول إلى الحقائق المجهولة، فالمراهقة وبسبب الشك المتأصل في نفسها تبذل جهوداً كبيرة لمعرفة ما يلقى عليها من قِبل الوالدين والمربين ليتأكدوا إن كان ذلك حقيقة أم لا؟ إنهن يشككنّ في قدراتهن ومستوى طاقتهن على الفهم والإدراك، لذا فإن مشاجراتهن، وإبراز جمالهن، واشتراكهن في مسابقات الجمال وعروض الأزياء غالباً ما يحصل لهذا السبب، وكذلك فإنهن يشككنّ في المعتقدات الدينية، وفي نفس الوقت يسعين أن لا يقعن تحت وطأة الإحساس بالذنب، إنهن فاقدي الثقة بالنفس، لا يعتنين بمسألة الانسجام في تصرفاتهن، فهن على علم بالعنفوان المتغير لديهن،

(١) تربية الشباب ص ١٠٧.

ولذا فإنهن يشكنّ في كل ما يتعلق بهن[١].

الميل إلى الزعامة وحب التسلط

إن القائد هو الشخص الذي يستطيع أن يكون له أتباع نتيجة تأثيره عليهم، وفي مرحلة المراهقة توجد نواح عديدة وكل ناحية من هذه النواحي تحتاج إلى زعيم تتوفر فيه شروط خاصة.

والأنواع المختلفة من الزعامات في مرحلة المراهقة هي:

(أ) زعامة اجتماعية.

(ب) زعامة ذهنية.

(ج) زعامة رياضية.

هذا بالنسبة للشباب، أما الفتيات فتسلطها يكون في فرض شخصيتها وطريقة لبسها وتعاملها على الأخريات.

من القليل جداً أن توجد زعامة عامة في مرحلة المراهقة إلاَّ أنه يحدث أن يجمع زعيم في ناحية معينة صفة زعامة أخرى، وكل من هذه الزعامات صفات خاصة تميزها عن غيرها، فالزعيم الذهني يحتاج إلى ثقافة واسعة ودرجات عالية في علومه المدرسية وفي اختبارات الذكاء، وتتصل ميوله بالتحصيل والمعرفة، أما الزعيم الاجتماعي فيميل إلى العناية بملبسه[٢].

تتعدد الزعامات وتتمايز بسبب تمايز قدرات المراهقين وميولهم، ذلك أن تفوق أحد المراهقين في مجال أو أكثر من مجالات الحياة يجعله موضع ثقة المراهقين الذين تتفق ميولهم مع هذا الحديث غير أنهم يجدون

(١) المصدر السابق ص ١٠٨.

(٢) علم نفس الطفل والمراهق ص ١١١، سيكولوجية الطفولة والمراهقة: مصطفى فهمي ص ٢٤٨.

فيه تقدماً في هذا المجال، ويتمتع ببعض المظاهر السلوكية في جماعته، فهذا لا يعني إلغاء فردية كل مراهق في الجماعة، فإنهم يتنافسون فيما بينهم إظهاراً لدور كل واحد منهم في الجماعة.

إن كل واحدة من الزعامات السابقة تخضع لشروط خاصة يجب أن تتوفر في أفراد المجموعة وبصفة خاصة في زعيمها الذي يتميز بصفاته عن مجموع الأفراد الآخرين.

فالزعيم الاجتماعي هو ذلك الشخص الذي يُعنى بمظهره الخارجي، المنظم لأوقاته الذي يراعي حدود طاقاته وقدراته، الذي يحب الخير للآخرين مثلما يحبه لنفسه، ويكره لهم الشر كراهيته لنفسه، ويجيد التعامل مع الآخرين أخذاً وعطاءً بحسب متطلبات كل موقف، يعطي القضايا والمشكلات الاجتماعية جهداً أكثر، يشارك في المجتمع في إحساساته ووجدانياته، يتألم لآلامهم، ويسر لسرورهم، ملمٌّ بقواعد وأساليب العلاقات العامة، وكلما توفر له نصيب من الصفات العامة للزعامة، كبسطة الجسم ونضارته، واهتمامه المتزن بمظهره الخارجي، مع إمكانيات مادية مركز اجتماعي مؤثر، كلما كانت دعامات قوية لزعامته وسط جماعته[1].

وفي كثير من المواقف لدى المراهق نشاهد أموراً تدل على الاستخفاف الذي يثير غضب الكبار، إذ طالما يدعون ادعاءات كبيرة ويصرون على تحقيقها، وهذا السلوك يجلب لهم العداء، وإذا لم يطلع أحد على حقيقة دواخلهم فإنه يشعر بالامتعاض الشديد منهم تراهم مع الأصدقاء يتعاملون بمنطق علمي، أما في المنزل فإنهم يحاولون التآمر على الأطفال الصغار، ولعب دور الرئيس عليهم، وربما سعى إلى الاستهزاء بهم وإيذائهم

(١) المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٨٣، ١٨٤.

من باب التربية وتقويم السلوك للصغار، يمثلون حركاتهم ويشعرون بلذة حينما يرون أن أوامرهم قد نفّذت.

المحيط التربوي له دور كبير في تعديل هذه التحولات وضبطها، وطبعاً الأحقاد والعداوة الناشئة عن الإحساس بفقدان العدالة والمساواة عند المراهق يمكن أن تؤدي إلى خلق هذه الحالات النفسية[١].

الرغبة في التمرد ومقاومة السلطة الأبوية أو المدرسية

المراهقة من أجل إثبات شخصيتها تلجأ إلى أساليب متعددة، فهي تعشق عزة النفس والعلو، وتستصغر كل مشكلة تواجهها، ومن أجل الانتقام لا تتورع عن أي فعل. فهي تريد أن تصل إلى منتهى القوة والعلو، ويسر سعيها الرئيسي موجهاً نحو الحصول على المقام الاجتماعي، ولذا فإنها قد تضحك وتقهقه بصوت عالٍ لشيء لا يثير كل هذا الضحك إبرازاً لإحساساتها العدائية بوضوح، إنها تريد أن تظل دائماً موضع ومحط نظر الوالدين والمجتمع[٢]، ومن أجل التحرر والاستقلال فإنها تطالب بغرفة مستقلة، وخزانة لثيابها، ومكتب لكتبها لا تصل إليه يد أحد من الأطفال، وتشعر باستقلاليتها في إظهار غرفتها بشكل يثير الإعجاب، من ملصقات إلى صور أو صورها هي أو تعليق شهادتها أو ما حصلته من علم على الحائط تأكيداً لذاتها واستقلاليتها، أو قد تدخن سجائر.

طبعاً هذه الحالة إيجابية في الناحية الأولى، ولكن يجب أن توضع تحت الرقابة الأبوية حتى يمنعا الانحراف لأنها إذا لم تضبط فإنها ستكون خطيرة جداً.

---

(١) تربية الشباب ص ١٠٩.

(٢) علم نفس الطفل والمراهق ص ١٠٤.

ومن المميزات في سلوك المراهقة الرغبة في مقاومة السلطة، وإن كنت أجدها واضحة عند المراهق أكثر من الفتاة. وهناك من الأسباب ما يدعو المراهقة إلى الثورة ضد السلطة ممثلة في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وتكون الثورة ضد السلطة الوالدية واضحة، لأن المراهقة تتشوق إلى أن تجد نفسها في عالم آخر خارج البيئة المنزلية، عالم مليء بالصديقات والزميلات، عالم مليء باتجاهات جديدة وبالحرية والاستقلال والتحرر، وهي إذ تتطلع إلى ذلك ترى والديها ومدرساتها عقبة في سبيل تحقيق أمانيها، فتأخذ في مقاومة السلطة على مستوياتها المختلفة، ثورة وتمرد، احتجاج وغضب، تهديد بالتمرد والامتناع عن الطعام ومخالفة الأوامر، وبالنسبة للذكور محاولة للهرب من المنزل أو إيجاد عمل وترك الأسرة أو التطوع في الجندية، أو محاولة الهجرة، وتكون الفتيات أقل مقاومة من الفتيان لتقاليد الأسرة[١].

هذه المظاهر السلوكية ليست عامة وليست دائمة، فهي تحدث في الحالات التي يضطرب فيها نظام السلطة المنزلية، وفي حالة الجنوح إلى الشدة والعنف من غير موجب، أو التدخل المباشر في الشؤون الخاصة بالمراهقة بأسلوب لا يتناسب مع مستوى نموها، أو معارضة ميولها ورغباتها المعتدلة حيث يشعرها ذلك بعدم الاهتمام بها.

على أن ثورة المراهقة واحتجاجها لا يدوم طويلاً حتى يعود إلى حالة من الود مع السلطة الوالدية، كما أن هذه المظاهر السلوكية لا تحدث مع جميع المراهقات، فبعض المراهقات لا يلجأن عند هذه المظاهر السلوكية

(١) المصدر السابق ص ١٠٤.

رغم ما يعانيه من الإهمال والعنف في المعاملة خصوصاً في حالة عدم وجود أحد الوالدين، لذلك فإن اعتبار هذه المظاهر السلوكية خاصية من خواص المراهقة أمر تعوزه الدقة أو الدليل القاطع.

إن تقدير المراهِقة لسلطة الوالدين يقلّ في هذه الفترة من النمو بوجه عام، وقد نلاحظ انتقاد المراهقة لمدرِّساتها أكثر من انتقادها لأبويها[١].

إن الأسرة المسلمة تسود حياتها المودة والمحبة والرحمة والعطف، وإن حدث أن اشتد الوالد أو قسى في لحظة في مرة أو مرات، فإن هذا لا يغير من طبيعة الحنان فيه شيئاً، ولن يشتد الوالد المسلم في غير موجب، وعند ذلك تكون حيرة المراهقة عن السلوك المستقيم السبب المباشرة لموقف الوالد، وينتهي الموقف بمعرفة المراهقة عدم صلاحية السلوك الذي صدر منها.

وطبيعي أن المراهقة التي تعيش في نطاق أسرة ترعى مطالبها وحاجاتها، وقد ساد الوئام والمحبة بين أفرادها، ويضفي كل فرد من أفرادها لأجل الآخرين إنما يختلف في موقفها عن المراهقة التي تجد نفسها في أسرة لا ترعى حاجاتها، ويشيع الكره بين أفرادها، وتسيطر الأنانية على قلوبهم، إن المراهقة الأولى تتفاعل مع الجو النقي الذي يسود أسرتها، بينما تستنشق الثانية الجو الفاسد الذي يضرب بأطنابه في ربوع أسرتها[٢].

إن الأب المسلم يقدر عظم التبعة الملقاة على عاتقه، فالأبناء والبنات أمانة استرعاه الله عليها، وهو لهذا مسؤول عن تربيتهم وهدايتهم وتعويدهم كريم الخصال، كما هو مسؤول عن توفير حاجاتهم ومطالبهم المادية،

---

(١) مبادىء علم النفس ص ٨٤، مختار حمزة.

(٢) رعاية المراهقين ص ١٢٨، يوسف ميخائيل.

ومسؤول عن إشباع حاجاتهم الوجدانية النفسية، والإسلام لا يقبل أن يوجه الآباء جلّ اهتمامهم لإحدى هذه المجالات دون الأخرى لما في ذلك من أثر سلبـي على الباقي.

إن السلطة المنزلية ممثلة في الأب أولاً ثم الأم سلطة عمادها الرحمة والعطف والحنان والحب، والرعاية الدائمة للأبناء والبنات، وقد تضطر هذه السلطة الجادة أن تشتد وتقسو لتكبح جماح المراهقة إذ ما شذت في سلوكها وتصرفاتها، تهذيباً لسلوكها وتقويماً لطبعها، وقد أثبتت التجارب أن غياب الأب عن التوجيه والتربية يفسح المجال أمام جماعة الرفيقات للانحراف بالمراهقة والتأثير عليها.

فقد دلت الأبحاث أن درجة اعتماد المراهقات على رأي زميلاتهن، أو تأثرهن بتوجيههن تختلف باختلاف مدى ونوع الاهتمام الذي تتلقينه من الوالدين، فالمراهقة التي يفشل آباؤها في توفير ما تحتاج إليه من حب ورعاية، أو اللواتي تفتقد أبويها لتغيبهما عن المنزل بسبب آو بآخر، هذه المراهقة تكون أشد ميلاً إلى الاعتماد على جماعة الرفيقات لإشباع حاجتها الانفعالية.

وفي دراسة قام بها الخبراء النفسيون جرت مقارنة بين مجموعة من المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم أساساً على رأي الكبار المحيطين قد أسفرت هذه المقارنة عن اكتشاف فروق كبيرة في اتجاهات الوالدين نحو أبنائهم في كلتا الحالتين، فاتجاهات آباء المراهقين الذين يعتمدون في توجيههم على الرفاق كانت تتسم بالإهمال النسبـي والسلبـي، أما المجموعة الأخرى فكانت اتجاهات آبائهم تتسم بالاهتمام أو الرعاية الإيجابية[١].

---

(١) مبادىء علم النفس ص ٩١.

لقد قرر القرآن الكريم مسؤولية الآباء هداية أبنائهم وهدايتهم، وجعل ذلك ضمن مسؤوليتهم عن هداية أنفسهم، ليقطع السبيل أمام التوجيه المنحرف لجماعة الرفاق أو غيرها[1]، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝﴾ [التحريم: ٦].

والذي يثير غضب الوالدين أن طفل الأمس الذي كانوا يصفعون وجهه بالأمس يقف الآن ويتحداهم، إن عصيان المراهقة للوالدين وتمردها على أعراف المجتمع يشكل أحد القضايا اليومية الهامة التي تواجه الآباء في كل الدنيا، إذ ترسم في ذهن الوالدين صورة لفتاة سيئة الخلق، معاندة، عاصية، متمردة، وهم يسعون إلى ترتيب علاقة معها ومساعدتها والتعاون معها، والوالدان يتحملان هذا العصيان من بناتهم بصبر بالغ.

وبخصوص منشأ هذا العصيان والتمرد يمكننا الإشارة إلى سوء التربية، والطموح الزائد، والإحساس بالمهانة، والتألم، والافتقار إلى الأمان، والرغبة في التخلص من سلطة الوالدين لشدتهما وقسوتهما، ضعف الإيمان والعقيدة، الإحساس بأنها تحت الهيمنة، ضعف المؤسسات التربوية وعجزها عن السيطرة على مثل هذه الحالة بسبب عدم بذلها للجهد اللازم لذلك، الرغبة بالاستقلال والخلاص من حياة الاعتماد على الوالدين، إثبات الذات والسعي لكسب الشخصية الاجتماعية، وجود الضغوط والقيود، عدم النضج والمعرفة، الجهل بقيمة الوالدين والمربين، وإبراز التفوق على الأقران[2].

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٧٨.
(٢) تربية الشباب ص ١١٥.

تتجلى حالة العصيان في الجدال، واستخدام الكلمات الحادة، وعدم المبالاة ـ الأنانية المفرطة، وقد يصل الأمر إلى الإدمان، وارتكاب الجنايات والجنح وترك التعليم والتمرد على الكبار والاشتهار بالأعمال المضرّة اجتماعياً.

لكن في حالة تحمل الوالدين، وإعداد خطة تربوية، فإننا على ثقة أن كل المظاهرة السلبية من العصيان والطغيان ستتحول إلى أسس لتوازن شخصية المراهقة، ولهذا لا بد من السعي الجاد والمتواصل.

وعند التأمل فإننا نرى أن الرغبة في الاستقلال نزوع طبيعي، وحتى الصراع من أجل كسب الاستقلال فإنه إلى حد ما طبيعي أيضاً، وفي الإسلام وصايا تحض على منح الاستقلال وتكريم شخصية الشاب والفتاة لأن ذلك يعينه على اكتشاف نفسه، وأن يعرف من هو، وكيف هو؟ ويطلع على قدراته وإمكانياته وحدود كل ذلك.

المهم في الأمر هو السيطرة والرقابة والتوجيه نحو الاستفادة من الاستقلال والحرية والسلطة الأبوية بصورة صحيحة وأن ينتهي إلى تنميته وتطوره لا إلى جرّه إلى عالم الجناية والفساد[1].

من مظاهر التمرد

الخشونة ـ العناد ـ النقد والرغبة في إصلاح الغير

الخشونة:

من مظاهر هذه الفترة اللجوء إلى استخدام الخشونة للحصول على الرغبات والمطالب، مع كل ما يلاحظ على الفتيات من رقة القلوب

(١) تربية الشباب ص ١١٤، ١١٥.

والعواطف الفياضة، فإنهن قد يرتبطن بجماعات يطعن أوامر ونواهي الرؤساء وبصورة عمياء.

والمتابعات العلمية تشير إلى أن أغلب اللواتي يلجأن إلى الخشونة إنما ينحدرن من عائلات تسود فيها الخشونة، وتفتقر إلى الانسجام الفكري والعاطفي.

ومن جهة أخرى لا بد من الإشارة إلى أن الفتاة التي تصفع الباب، أو تصرخ في وجه أمها، وهي في الوقت نفسه غير منسجمة مع الأخريات فإنها ربما تعاني من مشكلة عصبية أو من عقدة نفسية، وخصوصاً حينما تستند إلى معايير سائدة عند الفئات المقاربة لها في السن نفسه، فتبدأ المقارنة بينهن خاصة إذا كانت الأخرى أحسن حالاً، فإن نيران الحقد تتأجج في قلوبهن، ويمكن أن تنشأ الخشونة لديهن بسبب عدم قَبول آرائهن العملية، أو فقدانهن للاحترام، إضافة إلى كثرة عمل الأبوين والعلاقات السيئة داخل الأسرة، ومشاهدة الظلم يقع على الأم من الأب أو غيره[1].

لذا ننصح بمعرفة علة الألم، ثم اتخاذ القرار الملائم إزاءها، وأن أي تصرف غير محسوب فإنه يزيد الطين بلة.

العناد:

هي مرحلة من العمر تصر فيها المراهقة على رأيها، وتلعب في هذا المجال عوامل منها:

التعصب للقيم الثقافية والاجتماعية، والمنطق الذي تربت عليه المراهقة ودورها فيه، فهي لم تعد قادرة على تحمل قبول الضغوط والقوانين أو التسليم بآراء الآخرين، وهذا كله بسبب مقتضيات سن المراهقة.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٧.

بسبب هذا العناد فإن المراهِقة تعيش حالة اختلاف مع أفراد الأسرة، أو الأفراد الآخرين، فهي تشعر دائماً بأنها على حق، إلاَّ أن الآخرين لا يدركون هذا الأمر ولا يريدون أن يعترفوا لها بهذا، ولإثبات ذاتها تمارس العناد.

كما أنها ترفض القهر والتهديد، وترى فيه اعتداءً على ذاتها، وخصوصاً إذا تم بحضور الآخرين، لذا فإنها تنفعل، ولإثبات شجاعتها فإنها تزيد من مستوى العناد حتى لو أدى إلى الإضرار بهم(١).

النقد والرغبة في إصلاح الغير:

من الشائع في دور المراهقة أن نجد المراهقة تبحث في أخطاء الآخرين مع ميلها إلى نقد تصرفات الغير، ولا يتخذ هذا النقد شكلاً سلبياً، بل تجدها لا تتورع في الإفصاح عما تشعر به، ويكون هذا النقد في بعض الأحيان مصحوباً باقتراحات عملية في الإصلاح، ولا يقتصر هذا الميل على جماعة معينة من الناس، أو هيئة من الهيئات التي تتفاعل معها بل نجد أن روح النقد شاملة، فهي ضد الأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة ولذلك فهي لا تتوانى عن نقدها لعلها تصل إلى إصلاحها، وفي حالة ما إذا تعذر عليها ذلك يزداد ضيقها، وقد يشتد بعد ذلك نقدها، قد تنطوي على نفسها بائسة من الوصول إلى مأربها(٢).

إن أول ما يواجه المراهقة من نقد يكون نحو والديها، وينصب هذا النقد بصورة مبدئية على مظهر الوالدين أو أحدهما من حيث الملبس والمظهر، وطريقة التربية، وأن أي شيء في والديها لا يطابق آباء وأمهات

---

(١) تربية الشباب ص ١١٧.

(٢) علم نفس الطفل والمراهق ص ١٠٧.

صديقاتها يسبب لها الكثير من الضيق الذي يدفعها إلى نقدهم[1].

تشعرنا بداية الحديث عن ميل المراهقة إلى النقد وإصلاح الغير بأنا أمام شخصية متزنة معتدلة واعية، تفصح عما تجد من ملاحظات على سلوك الآخرين، ولا يقف عملها عند النقد المجرد، بل تصحبه باقتراحات إيجابية عملية. كما نلاحظ أن هذه الشخصية قد استوعبت وجه الحياة الاجتماعية كلها، حيث لا يقتصر نقدها على هيئة بذاتها إنما يكون النقد مصحوباً باقتراحاتها الإصلاحية إلى الأسرة والمدرسة والمجتمع بأجمعه.

هذه المفاهيم يمكن أن نلحظها من نظرة فاحصة للنص السابق، وكأن المراهقة تعقل من قضايا الحياة وأصول التربية وأساليبها والعلاقات العامة ما لا يعقله خبراء التربية المتخصصون، الذين أفنوا أعواماً من أعمارهم في الدراسة والبحث، ووضع المناهج وتأسيس أصول التربية، واستحداث الأساليب المناسبة لكل عصر، وتحت كل الظروف العادية والطارئة[2].

إننا لا نشكك في ميل المراهقة للنقد وقدرتها عليه، ورغبتها في الإصلاح، لكننا نرى أن قدرة المراهقة على النقد والإصلاح محدودة حيث لم يكتمل نضجها العقلي بعد، كما أن خبرتها بالتجارب العملية لم تُصقل بعد، وهي دعائم أساسية يجب توفرها في الناقد حتى تسلم عملية النقد من الخلل والاضطراب.

إن توجيه النقد إلى الوالدين لكونهما لم يشبها في المظهر آباء وأمهات الصديقات سلوك منحرف ترفضه التربية الأخلاقية الإسلامية، إن التطابق الكامل أو الناقص بين جميع الآباء والأمهات لا يمكن تحقيقه في أي مجتمع

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٢٤٤.
(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٨٠.

من المجتمعات البشرية مهما ارتفع مستواها الثقافي العام، وهذه قضية مسلمة لا يختلف فيها اثنان، وعلى ذلك فمطلب المراهقة تطابق والديها مع آباء وأمهات الصديقات مطلب يعوزه التعقل السليم، وأعتقد أن هذه الظاهرة السلوكية ليست عامة في كل المراهقات، وأن وجودها يدل على نفسية مضطربة قلقة، في خُلقها وطبيعتها، وأعتقد أنها من أبرز أعراض النقص الذي يعتبره علماء النفس مرضاً نفسانياً قد يصيب بعض المراهقات والمراهقين[1].



(١) المصدر السابق ص ١٨٠.

الباب الثالث

السلوك العاطفي والاجتماعي للمراهِقة

الفصل الأول: تعامل المراهقة مع الوالدين ـ الهروب من الوالدين ـ الحساسية وانتقاد الوالدين ـ إحساس المراهقة باختلاف المعاملة بينها وبين أخيها ـ تعاملها مع الأصدقاء.

الفصل الثاني: أزمة المراهقين بالنسبة للدين والعقائد.

الفصل الثالث: الاختلالات والأمراض النفسية: الإحباط ـ الجنون ـ التوهم ـ الهيستريا ـ الكذب للحصول على إعجاب الآخرين ـ الإفراط في الظهور للفت الانتباه ـ الهيجان الدائم والحركة المستمرة ـ اللعب بالأعضاء الجنسية بلا حياء.

الفصل الأول
تطبيق لتحكم العواطف في المراهقة

(تعامل المراهقة مع الوالدين ــ
إحساس المراهقة باختلاف المعاملة بينها وبين أخيها ــ
الحساسية وانتقاد الوالدين ــ تعامل المراهقة مع الصديقات)

* * *

المطلب الأول
عاطفة حب الوالدين

حبّ الوالدين عاطفة فطرية يبدأ مع الإنسان منذ شهور مهده الأولى، غير أنه يتركز في البداية نحو أمّه باعتبارها المصدر البيولوجي الوحيد لحاجاته العضوية والنفسية، ثم تتسع دائرة الجانب النفسي للطفل، فيشعر بمشاركة الأب مع الأم في إشباع حاجاته النفسية، فيتركز نحو ذات الأب عاطفة حب طفله له، ومع تقدم العمر الزمني للطفل، وترقي المستوى الإدراكي والشعوري تتسع دائرة العاطفة فيشمل الأقارب المقربين.

هذا الحب البسيط يتجرد عن مظاهر الإشباع البيولوجي لحاجاته رويداً رويداً بتقدم العمر الزمني، وترقي النمو الإدراكي، فلم يعد يحب أمّه لأنها ترضعه من ثدييها حيث أنه لم يعد بحاجة إلى الإرضاع.

ويستمر حبه لأمه وأبيه في الترقي والارتباط بجوانب الإشباع النفسية، فإذا غابت الأم عن ناظره أخذ في البحث عنها، وعندما يراها، يسرع الخطو إليها بما يشبه العدو، حيث يجد في القرب منها الشعور بالأمان، وإنه ليسأل أمه من حين لآخر عن أبيه حين يتفقده ولا يجده في انتظاره له يجعله يسأل أمه عن سبب تأخر والده، وكثرة سؤال الطفل عن أبيه قد يكشف لنا عن مدى الفراغ النفسي الذي يشعر به الطفل خاصة إذا ما طال بُعد الأب عنه، فسؤاله عنه قد يعني رغبته في ملء عالم الحب الكبير في نفسه، غير أن لسان الصغير يعجز عن التعبير، فإذا طرق الباب في الوقت الذي اعتاد أن يجد فيه أباه، فإنه يسرع الخطو والعدو، محاولاً أن يفتح الباب لأبيه، فإن عجز نادى أمه منفعلاً مسروراً حاثاً لها على السرعة، ليجد نفسه بين يدي أبيه ليروي عالم الحب الكبير في نفس الصغير، هذه مشاعر وعاطفة تتكرر في حياتنا اليومية.

إن الطفل كثيراً ما تحدث منه بعض الأفعال الخاطئة، فيتعرض للجزاء بوسائل الكفّ المناسبة لكبح جماحه، كأن ينظر الأب إليه بغضب، وقد تلومه أمه، أو تنظر إليه بغضب، فيضيق به عالمه المادي من حوله فلا يكاد يسرّ بلعبته أو دراجته، ولا يكاد شيء يسرّه على الرغم من حبه لوسائل لعبه ولهوه، وحين يرقب الصغير أباه أو أمه يشير إليه أن أقبل ويلقاه باسماً، فإذا به يقبل مسرعاً فرحاً مسروراً مبتهجاً، فيلقي بنفسه بين أحضان أبيه وأمه. هذه مشاهدات يجدها كل أب وأم على مسرح الحياة مستمرة متجددة، وعلى الرغم من تكرارها فإنها تحمل شعوراً وجدانياً يسعد به الكبير والصغير.

هذا الحب السامي الفطري قد وجه إليه (فرويد) ومدرسة التحليل النفسي طعنات نافذة أردته جريحاً، وأخذت تنزف الجرح حتى لفظ أنفاسه، حين اتهموا قلب الصبي الطاهر الذي يفيض بمشاعر وعاطفة الحب الفطري لأبيه وأمه فزعموا كذباً وزوراً وبهتاناً بأن هذه الجوهرة الصافية وهي قلب

الطفل مملوءة بالحقد والغيرة من أبيه الذي يستأثر بأمه دونه. هذا الحب لشخص الأب والأم قد أرجعه فرويد إلى الجنس حين قال: إن أول مشاعر الجنس تتمركز في رضاعة الطفل فيستمتع بها لأنها ترمز إلى الجنس، وقد أرجع كل المشاعر المتعلقة به إلى تلك العقدة المزعومة.

إن التوقف عن النمو الطبيعي هو التثبت على هذه المرحلة (عقدة أوديب)[1] إلاَّ أنه من الملاحظ أن غالبية الأطفال تتخلص من هذه العقدة بشكل طبيعي، ويحدث ذلك عندما يتقمص الطفل شخصية أبيه ويتشرب أوامره ونواهيه ومعاييره الخلقية، ويلعب دوره في الأسرة، وبذلك يحلّ الإعجاب بالوالد محل المشاعر البغيضة التي كان يشعر بها بالحقد والغيرة نحو أبيه الذي يستأثر بها دونه، فيرغب رغبة ملحة في التخلص من هذا المنافس الخطير، ويتمنى موته أو قتله أحياناً، فإذا تقمص شخصيته وتم الصلح بينه وبين أبيه نجده يكبت الميول الجنسية السابقة[2].

إن القول بأن الطفل يتخلص من عقدة أوديب بشكل طبيعي حين يتقمص شخصية أبيه ويتشرب أوامره زعم باطل لا أساس له من الصحة، بل الملاحظ تحميل الأمر علائق لا تطيقها ذات الطفل، فإن مرحلة الطفولة تتميز ببساطة الإدراك العقلي، ومن هنا كانت ارتباطات الطفل بالعالم البسيط الذي يقع تحت حسه أكثر وأظهر من عالم المعاني، كما أن قدرته على التفكير ساذجة لا تساعده على إدراك القضايا الكلية المعقدة، وهذا أمر

---

(١) عقدة أوديب: أوديب في أساطير اليونان، قتل أباه لايوس وتزوج أمه يوكاستا دون علم منه، فلما عرف الحقيقة فقأ عينيه وانتحرت أمه، وظل هو هائماً على وجهه يكفّر عن خطيئته التي أنزلت اللعنة به وبأبنائه حتى مات في كولونا.
الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٥٧، بإشراف محمد شفيق غربال.

(٢) محاضرات في علم النفس ص ١٣٩.

مسلم به لا خلاف عليه بين العقلاء، وعليه فإن القول بتقمص الطفل لشخصية أبيه تخليصاً لنفسيته من عقدة أوديب، ومن البغض الشديد لأبيه، قضية مزعومة لا أساس لوجودها، فالطفل لا يعرف شيئاً يسمى عقدة أوديب، وهو لا يبغض أباه بل يحبه حباً فطرياً قوياً لا ينازع، والطفل يشعر بالأمان والحماية إلى جوار أبيه، ولا يشعر به منافساً خطيراً مزعوماً، وليت علماء النفس الذين يأخذون بهذه التُّرَّهات والأباطيل يسألون أنفسهم عما كانوا يشعرون به تجاه آبائهم في مراحل الطفولة والصبا والمراهقة والشباب والرجولة، أو يسألوا الأطفال من أبناء هذه المرحلة حسب ظنهم الفاسد، ثم لينظروا إجابتهم، ولو أنهم صدقوا مع أنفسهم ومع ربهم لعلموا أن هذه الأفكار الشاذة ليس لها وجود إلاَّ في الأذهان التي عشش فيها الفكر اليهودي الضال المضل(١).

إن عمليات التقمص من العمليات العقلية النفسية المعقدة التي تظهر غالباً في فترة المراهقة، ويندر أن يكون لها وجود قبلها في حياة الإنسان، وهذه الظاهرة تبدو بوضوح في أحلام اليقظة حيث أن بعض المراهقين يجرد بإدراكه شخصية معينة بملامح معينة ذات مركز اجتماعي معين، وقد يكون لهذه الشخصية وجود في الواقع الاجتماعي، وقد لا يكون، غير أن خيال المراهق يصورها وفق ميوله، وهذه الظاهرة تبدو بوضوح أكثر مع عمليات الإخفاق التي يتعرض لها المراهق في حياته اليومية، أو تلك التي يتوقعها فيما يستقبل من أيام، وهي ظاهرة نفسية مرضية، وعمليات التقمص تجعل موضوعاتها الأفراد البارزين في الهيئة الاجتماعية أو الوسط العلمي أو العملي، ولا تجعل من شخصية الأب موضوعاً لها للأسباب السابقة.

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٢٧٢.

لقد حاولت الفرويدية أن تشوِّه الحب الفطري المركز في طبيعتنا تجاه أبنائنا وأمهاتنا، ذلك أنها لا تعرف الطهر ولا الطهارة في الحب الفطري النامي الذي يزيد علاقة الطفل والصبي والمراهقة بوالديهم وثوقاً وارتباطاً، هذا الحب المتسامي استجابة فطرية لقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [لقمان: ١٤ ـ ١٥].

هذا الحب نداء الفطرة من داخل كيان الإنسان، وأن وجود طائفة لا تشعر به في وجدانها لا يعني عدم وجوده، ولا أن الفطرة قد تبدلت، بل يعني أن فطرتهم عليها غشاوات كثيفة حجبتها عن التجاوب مع النداء الإلهي.

وليس غريباً وجود هذا في خُلُق أمة مسخ الله سبحانه وتعالى طائفة منها فجعل منهم القردة والخنازير، وإنما الغريب أن يقتنع بعض علماء النفس المسلمين بما ينعق به الغرب الكافر الواقع تحت تأثير الصهونية[١].

إن القرآن الكريم يعمل على تقوية دعائم الحب الفطري للوالدين في مرحلة المراهقة، وما بعدها من مراحل العمر، حيث أن مرحلة المراهقة بداية للتكليف الشرعي بالأمر والنهي، فيهدي القرآن الكريم إلى أبواب الخير والحق الواجب للوالدين على أبنائهما مبيناً أن محبتهما وطاعتهما مفتاح الخير كله ومغلاق لأبواب الشر كله، وأن عصيانهما أو التمرد عليهما، أو الإساءة لهما باب الشر كله، فمن أغضب أباه أو أمه تعرض لغضب

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٢٧٣.

وسخط ربه عليه، وطرده من رحمته واستحقاقه لعذابه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «رَغِمَ أنف ثم رَغِمَ أنف ثم رغم أنف، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»[٢].

* * *

المطلب الثاني
شكاوى الوالدين والمربين

إن شكاوى الوالدين تتلخص بأن هؤلاء الشباب والشابات أصبحوا لا يطيعون أوامرنا، وأنهم غير مبالين، حتى أن بعض الآباء يتهمون أبناءهم بالانحراف والبعد عن الطريق القويم، أما الأبناء فيتهمون الآباء بالتخلف والرجعية وعبادة القديم، ويتحدث الآباء مع الأقارب عن قلة أدب أبنائهم، وعدم رعايتهم لاحترام الوالدين، ويدّعون أن هؤلاء يتعمدون الخصومة مع الآخرين، ويريدون إثارة غضب الآباء.

وأمثال هذه الشكاوى كثيرة، وهي متوارثة على مدى الأجيال، فالمراهقة لا تستطيع مسايرة والديها، فهي ترى خطأ عقائدهما وأفكارهما، وتتهمهما أحياناً بالسخف، كما أنها تثير غضب والديها بخبث، وتستعد لمواجهة هذا الغضب بشدة، ثم تبدي ردود فعل أكثر خصومة، ومواقف أكثر خشونة، الأمر الذي يرى فيه الوالدان جرأة وقلة أدب.

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٨٧ (١٨٩٩)، باب البر والصلة.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة (١٩٧٨).

تصورات الشباب عن الكبار:

تظن المراهقة أن الآباء ونتيجة لتراكم السنين يتخلفون عن متابعة الحوادث، فيعيشون القديم والماضي، ولا يدركون عن حقائق الأمور، وأن عقولهم متعبة تعجز عن الإدراك الصحيح، ولا يعلمون شيئاً عن الاصطلاحات والمعلومات الجديدة والحوادث السياسية والتغييرات الحاصلة في المواقف.

إنهن يشككن حتى بنصائح الوالدين، وفيما إذا عارض الآباء آراءهم، فإن المراهقة تتصور أن ذلك تم لإيذائها، أو لمعرفة أسرارها وإفشائها أمام الناس.

إن المراهقة والشباب من أنصار الجديد يرفضون العادات الموروثة، ويريدون محوها وقلب الموازين الأخلاقية، ويرون أنهم أحرار في ذلك، ولهذا فإن نظرتهم إلى الكبار سلبية، ويرون أن الكبار يتقصدون الخلاف لذا من حقهم أن يخالفونهم أيضاً عندئذ ويحاولون تنفيذ أفكارهم وطرقهم للحياة.

والمراهقون يشكون من الوالدين، وكل شكوى منهم هي باعثة على الصدام، وربما تنشأ عن الاستنتاجات الخاطئة، فوجود الرقابة بين أعضاء الأسرة وبين الأصدقاء والأتراب والضغوط العديدة التي يواجهها المراهقون قد تؤدي إلى نشوء المشاعر العدائية، فرغبة بعض الوالدين للتحكم والتسلط المفرط، واستخدام القوة لجلب الاحترام تعتبر من علل الصدام.

والمراهقون ليسوا في حالة تمكنهم من تحمل القوة والضغوط خصوصاً أنهم يترصدون أصغر هفوات الوالدين والمربين فيضعونها تحت

المجهر ويكبرونها عدة مرات، وعلى أساسها يقومون بتوجيه اللوم للآخرين[1].

ولا شك أن الاختلافات والصدامات تنشأ أحياناً لأسباب خارجية من قبيل مشاهدة الحوادث أو سماع أخبار قصص الخشونة التي تتخذ مظهر البطولة، وحينها يحاولون تكرارها في حياتهم.

ولا بد لنا من أن نشير إلى رغبات الوالدين وطلباتهم، إذ يطالبون أبناءهم بأعمال خارجة عن قدراتهم، وينتظرون منهم تنفيذها مع أن بعضها غير قابلة للتنفيذ أساساً، **وهذا ما يدعونا إلى نصيحة الآباء: أن ينظروا بواقعية إلى الأمور، فالكبار بحكم السن والعمر الطويل يمتلكون تجارب كثيرة، وقد وصلوا إلى حالة من الثبات النسبي وتعلموا دروس الحياة في مدرسة العمر، ولا بد لهم من أن يراعوا الرغبة في مسايرة الجديد لدى الجيل الناشىء، وأن لا يقارنوا بين الرؤى والآراء التي لديهم بالتي لدى المراهقين،** فالإهانات والعبث، وعدم رعاية الوقار ومشاعر الانتقام، أو اللجوء إلى المخدِّرات، كل ذلك لا يؤدي إلى نتيجة، فإن المراهقين حتى لو بدى عليهم السكوت، فإنه سكوت مؤقت، وسينتهي بمجرد حصولهم على القدرة، **وعند مواجهتهم لا بد من رعاية الإنصاف ولا نتوقع منهم القَبول بكل الأشياء القديمة، وعلينا أيضاً أن لا نشعر بعدم الرضى حينما نلاحظ عنادهم ومعارضتهم، لأن ذلك من علامات نموهم ونضجهم، كما أنه لا يستمر طويلاً، وعلينا أن لا نشعر بالتعاسة حين نرى سلوكهم السيِّىء، ويجب أن نعلم أننا لسنا وحدنا في هذا الحال.**

يعود المراهقون في سلوكهم وبصورة اعتيادية إلى وضع الطفولة،

---

(١) تربية الشباب، ص ١٢٧، ١٢٨.

لأنهم يحوِّلون محيط الأسرة إلى ساحة حرب من أجل أشياء تافهة، وأن هذا يزول سريعاً إذا تم اتخاذ الموقف الصحيح منه.

إن المراهقين يسعون لإثبات تفوقهم، ولأجل الوصول إلى الهدف لا يتورعون عن الخشونة والحدّة والصياح، وأحياناً لارتكاب الأخطاء والجنح[1].

إنهم يسعون إلى الحوار الحاد، والعناد للدفاع عن أفكارهم وآرائهم، ولذا فإنهم يعلنون خلافهم للآخرين، ومن هنا ينشأ الصدام، إنهم يبرزون مشاعرهم المعادية وطبعاً قد يندمون بعد عدة ساعات ويلومون أنفسهم، وتعود أغلب اضطرابات المراهقين إلى كونهم يرتكبون أعمالاً يندمون عليها.

والمراهقون لهم أسرارهم التي يكتمونها عن الوالدين، وهذا خطر، إذ يمكن أن يستغلهم المجرمون لأهدافهم الخاصة. والمراهقون لا يثقون بالوالدين لذلك فهم يخفون أسرارهم عنهم، وحتى لو اطلع الوالدان على هذه الأسرار فتكون غالباً بعد فوات الأوان، وطبعاً إنهم في البداية ليسوا كذلك، بل يدفعهم عدم الثقة إلى ذلك حينما يصطدمون بمواقف غير سليمة، أو حينما يتعرضون إلى إفشاء أسرارهم.

كذلك فإن الاختلاف الفكري بينهم وبين الكبار وفي فترة انفصال أسلوب حياتهم عن الآخرين يكون سبباً لحفظ أسرار الأصدقاء والزملاء، منهم يكتمون كل خبر أو سرّ بالمقابل فإن الأصدقاء والزملاء بدورهم يظلون أوفياء ولا يفشون أسرار زملائهم ويبقى إصرار الوالدين على معرفة أسرار المراهقين بدون طائل، وعليهم بدلاً من هذا الإصرار أن يحاولوا كسب

---

(١) تربية الشباب، ص ١٢٩.

ثقتهم عن طريق إبراز الحب والنصح وحب الخير لهم، وخصوصاً بالنسبة للأم التي يظل الأبناء على حبهم لها وقربهم منها، ويرون فيها موضع الأسرار، وهو أمر لا يحظى به الأب لأنه رمز للسلطة والمصدّر للأوامر والنواهي، وهذا ما ينفّر المراهقين[1].

* * *

المطلب الثالث
الهروب من الوالدين

بناءً على ما سبق فإن المراهق وخاصة الشاب ونادراً ما يحدث مع الفتيات ذا استعداد للهروب من سلطة الوالدين والمدرسة إذا كانوا يذهبون إلى المدارس فإن الدافع هو اللقاء بالأصدقاء والزملاء والحديث معهم، وأغلب الظن فإن رغبتهم للقاء المعلمين والأساتذة ضئيل جداً، إنهم يهربون من المدرسة والبيت لأنهم يرفضون القواعد والأنظمة وينظرون إليها بعين الغضب، إنهم يتعاملون مع القدوات المفروضة عليهم بشك وتردد، منهم يعترضون باستمرار على الأسس والقيم التي تستند عليها كل تلك الأشياء، إذ أن أفكار هؤلاء مغايرة، وثورية بينما أفكار الكبار ليست كذلك.

إن سلطة الآخرين عليهم تشعرهم بوطأة شديدة، منهم مستاؤون من التصرفات والضغوط، لأنهم لا يريدون أي سلطة تتحكم بهم، ولذا لن يطيعوا أوامر الوالدين، ثم إن أفكار الكبار ومعتقداتهم لا تطابق ذوق هؤلاء المراهقين لأنهم يحبون أن يستند كل أمر أو نهي إلى استدلال ومنطق، وأخيراً فإنهم سيقبلون بالاقتداء بأولئك الذين يعتقدون بهم الكمال، وبديهي

(١) المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

إنهم سوف لن يتخلوا عن المعارضة والعناد ما لم يرون توفر هذه المواصفات.

وفي الوقت الذي لا تستطيع المعارضة أن تدر عليهم نفعاً فإنهم سيلجأون إلى الهروب، الأمر الذي يؤلم الوالدين والمربين؟ فمن شكواهم أن الكبار لا يفهمونهم ولا يفهمون ما يدور في أعماق قلوبهم وصفاء نفوسهم وصدق أقوالهم، ومن هذه الناحية إنهم لا يشكون فقط بل يشعرون بالدوار جراء ذلك والبأس من والديهم، إنهم يقولون أن الآباء والأمهات يخفون حياتهم الواقعية عنهم لأنهم يعتقدون بأنهم لا زالوا أطفالاً لا يدركون أسرار الحياة، وهم يتألمون من ذلك ويتعذبون، ويشتكون أيضاً من الآخرين الذين يتدخلون في أعمالهم دون مراعاة لظروفهم، ولا يراعون احترامهم، ويجبرونهم على تنفيذ رغباتهم ومئات من الشكاوى المماثلة التي لا تخطر على بال الآباء والمربين[1].

انتقاد الوالدين:

إن انتقاد الوالدين تنتج عن الحساسيات لدى المراهقين المعذبين، فهم يتعذبون ويتسببون في صدمات ومتاعب للآخرين، وهم بصورة اعتيادية يتحسسون من عدم الصلاح والظلم وعدم الإنصاف وسوء الخلق، يندمون ويتألمون لماذا انحرف الآخرون وابتعدوا عن الصلاح، منهم أنصار الطهارة والصلاح وتغيير العالم وهم يريدون أن يتحكموا في العالم، إنهم يسعون لإرساء نوع من الصلاح قبلوا بعضه بأنفسهم، فكل شيء حسن يجب أن ينبع من الفكر الذي ترسخ في عقولهم، وأحياناً يواجهون مشاكل دون أن يملكوا الاستعداد اللازم لحلها، لذا فإنهم يضطربون ويأسون ويشعرون بالعجز،

(١) تربية الشباب، ص ١٢٥.

وربما قرروا الانتحار أو الانعزال، إنهم يعيشون مرحلة التضحية بالمستقبل من أجل الحاضر، لذا فإنهم يريدون كل شيء للحاضر وفي الحاضر.

من كل ذلك ينتج انتقاد الوالدين، وكل تلك الانتقادات تصل إلى انتقاد سلوك تربيتهم لأبنائهم الصغار، وطبعاً سيكونون مصيبين في بعض تلك الانتقادات ويمارسونها بحسن نية ويقصدون من ورائها الإصلاح، إنهم يتخيلون أن الآباء والمربين يريدون إيقاع الظلم بهم أو أنهم يريدون منع استقلالهم، وإعاقة تقدمهم، أو أنهم يريدون إجبارهم على قبول آرائهم وتصوراتهم، وفي مثل هذه الأحوال فإن الانتقادات تترافق مع توترات وصدامات، وتترافق هذه الانتقادات أحياناً مع نوع من الاستصغار والتجاهل كما أنهم يشعرون في قرارة أنفسهم بأن انتقاداتهم غير صحيحة، ولكنهم يظنون أنها ستؤدي إلى إبراز رجاحة عقولهم، وهم يعجزون عن التلائم مع الوالدين لافتقادهم إلى التجربة الكافية فضلاً عن كونهم في مرحلة البلوغ ذات الخصوصيات التي أشرنا إليها، مما يضيف لهم صعوبات أكبر ويكرّس الإحساس بأن الآخرين يريدون إجبارهم على القبول بآرائهم، ولذلك فإنهم يرفضون ويتخذون مواقف متشددة[١].

إحساس المراهقة باختلاف المعاملة بينها وبين أخيها:

وهذه ما نسميها بحالة التنافس بين الأشقاء، ولكن الفتاة المسلمة ترى أن كل شيء يُعطى لأخيها، وتمنع هي منه، فتحرم من الخروج بينما أخوها يستطيع الخروج متى يشاء، وتمنع من استعمال الهاتف بينما أخوها يستطيع أن يكلم من يشاء، وتمنع من الصديقات وزيارتهن، بينما أخوها يحضر أصدقاءه إلى المنزل. إن هذا الإحساس يولد عند المراهقة حالات من

---

(١) تربية الشباب، ص ١٤٣.

العدوان والحسد إذا لم يسيطر عليه وتتفهم دوافعه وحلوله، وقد يحدث شجار بينها وبين أخيها فيعمد الأخ إلى ضرب أخته، ومع ذلك لا يتكلم أحد من الوالدين لأن للأخ سلطة، وهذا ما يشعرها بخيبة أمل إذ أن هذه المشاحنات تعكس غياب العلاقات السعيدة المنسجمة في البيت.

والتنافس الطبيعي بين الإخوة تمثل مرحلة طبيعية من النمو، إلاَّ أنه في حال التفرقة في المعاملة بين الولد والبنت يمكن أن يطوّر مشاعر العداء نحو بعضهم إلى حالات قد تستمر طوال حياتهم، والوضع الطبيعي أن يظهر الإخوة نحو بعضهم ارتباطاً عميقاً ببعضهم البعض منذ السنوات الأولى، والطبيعي أن ارتباط الإخوة ببعضهم ارتباطاً وإخلاصاً على نحوٍ لا تؤثر فيه المضايقات الجانبية، إلاَّ أن الوالدين عندما يؤثرون الفتى بميزات وتسامح دون أن يعوضوا للفتاة هذا الأمر يثير في نفسها عوامل الحنق والغيظ والحقد.

إن التنافس بين الأشقاء يمكن أن يعتبر عادياً إذا تبادل الإخوة مشاعر مشتركة بالرضى ومشاعر مشتركة بالإحباط، وإذا لم يكونوا مشحونين بنزعات العنف ولم ينخرطوا في صراعات تهدد الحياة ضد بعضهم البعض، وإذا لم يحملوا أحقاداً ولم يستجيبوا لكل إساءة كما لو أنها مصيبة نزلت عليهم من بعضهم البعض.

وقد يكون للمشاحنات البسيطة بين الإخوة جوانب إيجابية، فهي تعلمهم كيف يدافعون عن أنفسهم وعن حقوقهم، وكيف يعبرون عن مشاعرهم ويحلون صراعاتهم، والإغاظة غير المؤذية قد تضفي على الإخوة جواً من المرح[١].

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين، شارلز شيفر، عمان ١٩٨٩م.

أما عندما يصبح تنافس الإخوة شديداً فإن على الأبوين التدخل بسرعة، لأن التنافس الشديد يشير إلى الشجار المتكرر والشديد أو القاسي، فينبغي ألا يسمح الآباء بالإغاظة المتكررة التخريبية التي يكون هدفها السخرية من الشخص الآخر، وتمزيق تقديره للذات، وإذا كان اعتبار الذات منخفضاً أصلاً لدى المراهقين فإن هذا النوع من الإغاظة قد يصبح مؤذياً جداً، وعندما تصبح الإغاظة والتشاحن هما النمط المعتاد فإن أي سلوك مثل أن ينظر أحد الإخوة للآخر يمكن أن يثير شجاراً، وعلى الآباء أن لا يسمحوا بالشجار مطلقاً وفي أي ظرف بحدوث مشاجرات جسيمة بين الإخوة، وإن هناك اهتماماً متزايداً بحماية الإخوة من بعضهم البعض (العنف من قبل أحد الإخوة ضد الآخر) وهي مشكلة جديرة بالاهتمام، وعلى الوالدين أن يأخذا موضوع التنافس بين الإخوة بجدية، وأن يحميا المراهقة من تسلط الأخ لأنه لا مجال لتسلطه مع وجود الأم والأب، وأن يعلّم الفتى حدود احترام الأنثى والتلطف في معاملتها، وكف اليد عنها، والإحسان إليها، وزرع الحنان بينهما، وتليين قلب الأخ عليها، وتشجيعه على مرافقتها وإهدائها، لأن تفضيل أحد الأبوين ولداً على آخر يؤدي إلى إشعال نار الغيرة لدى المراهقين الآخرين.

ويذكر في هذا المجال أن قابيل قتل هابيل بسبب الغيرة، وعلى الوالدين أن يشعرا كل طفل أنه محبوب وذو قيمة بذاته، وأن يعبِّرا عن حبهم غير المشروط للمراهقة، ويتعاطفوا معها ومع ظروفها التي يفرضها المجتمع أحياناً، كما عليهما أن يشيرا إلى خصائص المراهقة المتميزة، وأن يساعداها على إيجاد فرص للتسلية بديلة، مع تعريفها أن كلاً من الذكر والأنثى يتمتع بخصائص وأسلوب يختلف عن الآخر، وأن ذلك من ميزاتها التي تمتع بها والتي يقدرها الجميع بأنوثتها ورقتها وحسن أخلاقها، وأن يجدا لها أدواراً

جديدة تستطيع من خلالها أن تحصل على تقدير الأسرة واعتبار الذات، وأن حبها لا ينقص في قلب والديها.

على الآباء أن يتجنبوا التفضيل الواضح لبعض أولادهم عن الآخر، مع تجنب مقارنة المراهقة بغيرها من إخوتها، ولا يعتمد الآباء على حكمهم الخاص في هذا المجال، بل اسألوا أولادكم بين الفينة والأخرى فيما إذا كانوا يشعرون بأن لديكم تفضيلاً لبعضهم دون الآخرين[1].

وإن ترتيب النشاطات الجماعية المتكررة للأسرة ذات الطبيعة المرحة مثل النزهات والألعاب والحفلات تؤدي إلى قضاء المراهقة لأوقات ممتعة مع الأسرة يكوّن لديها مشاعر إيجابية تساعد في تخفيض المشاعر السلبية، كما أن تشكيل مجلس للأسرة يحدد له أوقاتاً معينة يلتقي خلالها جميع أفرادها للمناقشة وتبادل الآراء والاستماع للشكاوى والتخطيط، دون إثارة للشغب أو للصياح والتلفظ بالكلمات الجارحة، يمكن للمراهقة أن تعبر عن مشاعرها في هذه الأوقات، وأن تكون على ثقة بأنها سوف تعامل بعدالة.

وأهم مرتكز أن لا تدع الأولاد يفشون ويشون على بعضهم البعض مما ارتكب إخوتهم من أخطاء، لأن ذلك تعويد لهم على الوشاية والنميمة، وهو مما يرفضه الإسلام والتعاليم الإسلامية، ويجعل لها العقوبة الكبيرة[2]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦]، ونلاحظ أن الواشي سمّاه الله تعالى بالفاسق إنكاراً لفعلته ولسوء ما تلحق بالأسرة من مشاحنات وعداوات.

* * *

---

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ص ٣٧١.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٢.

المطلب الرابع

تعامل المراهقة مع الأصدقاء والمعارف

تتهالك المراهقة بشكل عام على الصداقة والصديقات تعويضاً لقلة خروجها من البيت، وتحب المراهقة أن تحتفظ بعلاقة نقية مع من هم في مثل سنها، وتكون هذه النزعة لديها قوية ويمكن أن نسميها مرحلة الصداقة.

إن الصداقات الحميمة المتميزة بإخلاص تبرز بشكل تجعلها قادرة على التضحية من أجلها، وأحياناً من أجل الصديقات تتجاهل المراهقة والديها وتستمر هذه الحالة لديها إلى أن تتراكم عندها التجارب والانتكاسات، وفي نهاية مرحلة المراهقة تتخذ الصداقة والعداوة لون جديد قائم على العقل لا على أساس العاطفة، العلاقات نفسها خلال هذه الفترة يمكن أن تؤدي إلى اختيار الصحيح وقد تنتهي بعض صداقاتهم إلى العداء والخصومة، والسبب في إقبال المراهقة على الصداقة هو نتيجة عيوب نفسية وأمراض روحية وسوء تربية في الطفولة، ويمكن السيطرة عليها إذا اتخذ تجاهها الآباء مواقف محسوبة ودقيقة وبالتالي تغيير تلك الأفكار، وكثيراً ما تعهد المراهقة إلى إعطاء صديقتها انطباعاً حول حالة عدم وجود تفاهم بينها وبين والديها لأنها تختلف عنهم في الطباع والأفكار، فإذا أبدى الكبار قدراً بسيطاً من التحمل، وتخلوا عن بعض رغباتهم من أجل تقليص عوامل الصدام، فإن هذه الاختلافات ستتقلص وتزول، لأن التصور الذي يخلق هذه المشاكل يزول، وترجع الصداقة بينها وبين والديها[١].

إن هذه الصداقة بينها وبين الزميلات تقوم على أساس عاطفي، ولذا فإنها تسعى لإثارة اهتمام صديقاتها، وأحياناً تكون الصداقة امتداداً للعلاقة

---

(١) تربية الشباب، ص ١٣٣.

الناشئة أثناء الطفولة، والملاحظ أنها علاقة نقية وخالصة تتصف بتبادل التضحية والحب الحقيقي، لكنها تتحول إلى نفور بمجرد مشاهدة أقل خطأ، وفي نفس الوقت يمكن أن تختار صديقات تتبادل معهن الأسرار وحتى العلاقات غير السليمة أحياناً.

وباختصار فإن صداقة المراهقة تقوم على أساس أقل مصلحية من سواها حتى لو لم تكن موزونة بمقاييس عقلية، غير أنها تتبادل الأسرار فإن خسارة الصديقة تسبب آلام نفسية كثيرة، وأحياناً تقود الصداقة إلى السعي باتجاه تنفيذ أهداف سامية وقيمة. إنها تبالغ في الصداقة وهي صادقة في هذه المبالغة سواء بالنسبة لإبراز المحبة أو إبراز العداوة، ذلك حين تظهر من صديقاتها بعض الانحرافات.

هذه الصداقات عميقة عمقاً عجيباً بحيث من غير الميسر لنا معرفة جذورها الحقيقية، وعلى الظاهر علينا أن نعدها جزءاً من مراحل النمو الطبيعية، ويتجلى من خلال هذه العلاقة وضع آخر يكونون فيه متحدات مع نوائب الصديقات وأحزانها وتشعر بالألم من جراء ذلك إنها تصر على انتقاء صديقاتها بنفسها، لكونها حرة في اختيار هيئاتهن، وتحب أن تتصرف بصورة مماثلة لهن وتنتمي إلى جماعتهن، وبإمكان الوالدين أن يؤثروا بقوة في علاقة المراهقة إذا ساهموا في معرفة والدي الصديقة وتمت الزيارة بين الأسرتين.

ومن أجل الاحتفاظ بعلاقة الصداقة الحميمة فإنها تسعى لجعل كل أوضاعها وسلوكياتها مطابقة لما تريده الصديقة، إنها تعمل معها في فريق واحد تطيع أوامرها بطريقة عمياء، وقد لا تتورع عن أعمال غير سليمة قد تؤدي إلى تحطيم المراهقة لأنها تتأثر بالمصطلحات والألقاب الجديدة

بشدة، وهذه إحدى العلل التي يجب أن تراقب وأن يتدخل الوالدان لحسمها بسرعة وشدة.

لذا لا بد من مراقبة المراهقة والتيقن في أخلاق الصديقة وسيرة أهلها، وبغض النظر عن كون المراهق ذكراً أو أنثى فإن المراقبة بصورة غير مباشرة أو غير محسوسة من قبل الوالدين، لأن المراهقة أصلاً تلجأ إلى إخفاء الكثير من الأعمال والأسرار والتصرفات، وعلى هذا الأساس لا بد من السعي بالتدقيق في علاقة المراهقة بالبالغات من الصديقات، وخاصة المراهقة الصغيرة، لأن الأطفال قد يتعرضون للانحراف جراء علاقات من هذا النوع، لأنهم ذوي أجسام صغيرة وقدرات عقلية بسيطة مما يوقعهم تحت طائلة المنحرفين[1].



(١) تربية الشباب، ص ١٣٧.

الفصل الثاني
أزمة المراهقين بالنسبة للدين والعقائد

يعاني المراهقون شكوكاً كثيرة في صحة العقائد والأفكار الدينية، مع أنهم لا يصنفون مع اللادينيين، ولا يريدون أكثر من التأكد من صحة ما يدينون به، ويريدون الاستفادة من القوى العقلية التي لديهم في التحقق من الدين، واكتشاف جوهره، أو أن يتوصلوا إلى تفاسير جديدة تجيب على شكوكهم وأسئلتهم.

إن المراهقين يعانون من شك في المعتقدات التي لقنها إياهم الآباء والمربين لأنهم يظنون أنهم لم يعلموهم الإسلام كما يجب أن يتم التعليم، **وأحياناً نرى المراهقين يتخوفون من طرح الأسئلة لأن ذلك قد يقود إلى الصدام بالمتعصبين الذين ربما اتهموه بالإلحاد.** وهكذا فإن المراهقين يعيشون حالة أزمة بالنسبة للإيمان والعقيدة، إذ يرى التعارض بين المعارف السابقة والحالية، ولهذا فإن احتمال تغيير العقلية في هذه المرحلة كبير جداً لأن القيم الدينية والدنيوية من وجهة نظرهم معقدة جدّاً مفعمة بالمجاهيل.

وإذا ما كبرت المراهقة والمراهق وأصبحوا رجالاً ونساءً، فإن الجميع يتوقعون منهم المعرفة والاطلاع بالمعارف والعلوم الدينية، بينما أنهم لا يرون في أنفسهم مثل هذا الاطلاع، بل إنهم لا يزالون يفكرون بعشرات

الأسئلة عن المسائل الإسلامية التي يعجزون عن الإجابة عليها.

إن المراهقة قد لا تفهم كثيراً من هذه المسائل، كما أنها لا تستطيع أن تقوم بالاستدلال على الأصول والفروع والقياس والاجتهاد، ولذا فإنها تعاني من الحيرة ولا تميز بدقة بين الخير والشر والشبهات، وتتمنى أن تعرف ما تجهله من أسرار الوجود.

إنها تريد أن تعرف كيفية الاستفادة من البرنامج الإسلامي؟ ماذا تفعل لكي تصبح مسلمة حقاً ذات فاعلية إيجابية، بماذا ستجازى على الذنوب التي ارتكبتها؟ كيف ستكون العدالة الإلهية متحققة مع القضاء والقدر؟ كيف ستطبّق التعاليم الإسلامية في مثل مجتمعات تحارب التدين؟

هذه الأسئلة والحقَّ أقول: أنها تشغل بال الراشدين والبالغين والكهول، إنها عملية تطبيق المناهج الإسلامية، بعد أن عرفوا كثيراً من النصوص والآيات والأحاديث والمثل والقيم العليا النظرية، ولا يرون تطبيقاً لها على هذه الأرض، وإذا طبقت ببلد ما، فعلى أسوأ وجه، لأنها لا تنتج إلاَّ التعصب والتزمت؟!

ضرورة التوجيه:

إن عملية التوجيه من منطلق إسلامي وإنساني ضرورة ملحة، لأن الفطرة تدعو لاكتساب المعرفة، وإذا لم يضطلع الآباء والمربون بهذه الواجبات، فمن ذا الذي سيضطلع بذلك؟ إن المراهقة في هذه السن تحتاج إلى معلومات واضحة عن الله والدين، لأن روح معرفة الحق تدفعها للحصول على المعلومات، لذا فإنها تبدي رغبة بقراءة الكتب الدينية بهدف اكتشاف أسرار الوجود.

تقع على المربين مسؤولية توجيه الشباب واطلاعهم على الكتب التي

تهتم بهذا المجال وعدم السماح لها باقتناء كتاب مغرض، لأن فكرها لا يستطيع بعدُ الكشف عن الأباطيل المدسوسة بالشبهات، ومن ثم فإن الكتب الجيدة، والمحاضرات الجيدة تطرح مفاهيم دينية صحيحة.

لا شك أن المدارس يتوجب أن تحتوي على مناهج دينية تدريسية، تدرّس خلال المناهج الدراسية إلى جانب الكتب العلمية، وأن تلقّن المراهقة المفاهيم بما يتلاءم ومدى تفكيرها، كما يجب في الجانب العملي أن نعلّمها التقوى والتفكير الصحيح، وطرق الاستدلال، وتلمس الآيات الكونية في معرفة التقرب إلى الله ووحدانيته.

ومن الواجب الاستفادة من الحماس الديني لتزويد المراهقة بالمعلومات اللازمة لخلق الوعي الصحيح، فلا بد من السعي أن تقدم لها معلومات بطريقة مقبولة، ولكن صحيحة، عن الإيمان والعقيدة والمبدأ والمعاد بواسطة الإجابة السليمة عن الأسئلة التي تدور في ذهنها، وباختصار ملء الفراغ بنحو معقول ولائق بالاستفادة من الحماس الديني لدى المراهقة، كما يجب الاستفادة من هذا الحماس في إصلاحها وإرشادها، وتوفير سبل كمالها وسعادتها مراعاة لمصلحة الفرد والمجتمع.

ولا بد أن نضع المراهقة على طريق التعاون والتحرر الفكري من الجهالة والتعصب، ونطلعها على جمعيات النضال ضد الاستغلال والاستعمار، وهضم حقوق الإنسان، وتشريد الشعوب، ونوفر لها مستلزمات التسامح والنمو، هذا العمل إن تم عن طريق الوالدين والمربين الخيرين الحريصين فإن المراهقة ومجتمعها سينالان الخير، لأن أي خطر تتعرض له المراهقة سيصل إلى المجتمع أيضاً.



الفصل الثالث
الاختلالات النفسية

المطلب الأول
شرح لبعض الاختلالات النفسية

١ ـ اختلالات الأمراض العصبية:

أحياناً يؤدي المرض العصبي إلى اختلال في السلوك، فالأمراض العصبية عند بعض الأفراد تقلص قابليتهم على التحمل، وأحياناً يتسلط المرض العصبي على الإنسان، وفي هذه الحالة تتضاعف لديه حالة الطموح في أهداف لا يتمكن من الوصول إليها، مثل هذه الحالة تخلق لديه الإحساس بالتعجب والعجز والحقارة، وعدم الثقة بالنفس، فالشاب والفتاة إذا لم يتوافق في جهوده الرامية إلى الاستقلال والتحرز فإن الأمراض العصبية تتفاقم عنده.

٢ ـ الانفعال:

لقد وجدنا فيما سبق أن الانفعالات تشتد فترة المراهقة بحيث يمكن القول أن الفرد يمر بفترة متأزمة، أو نراه يبكي بحرقة ويضحك بقوة، وتظهر عليه في السلوك والحركات اختلالات، وحتى في الفعاليات الفكرية والثقافية.

وهـذه الحـالـة تبـدو أشـد عنـد الفتيـات، وكـأنهـا أزمـة مـن الضحـك المصحـوب بتشنـج عصبـي شـديـد، وحتـى حـركـاتهـن يبـدو فيهـا مظـاهـر الاختلال.

ووجود الانفعالات لا يخلو من عناصر إيجابية لأن القليل فيها تُعد دافع هام للحركة، لكنه يتحول إلى السلبية، وقد يؤدي إلى الشلل أو السكتة القلبية[1].

٣ ــ الانـتـحـار:

الاختلال النفسي يسبب ظهور حالة تقود الإنسان إلى الانتحار مما يتطلب توضيحات أكثر، فعلى أساس المتابعة لحوادث الانتحار في سن ١٦ ــ ٢٠ سنة ثبت شيوعها في هذه السن، ويقع لأجل أسباب تافهة جداً من قبيل التظاهر، أو تهديد الأهل ثم ينجرف إلى تنفيذه.

والتفكير بالانتحار هي فكرة الانتقام من الآخرين، لأنه يرمي من خلال موته معاقبة الآخرين ودفعهم إلى الندم.

إن الانتحار ليس تعويضاً لكنه لدى المنتحر يعادل التعويض، إذ أنه يريد من خلاله التحرر من الأوضاع المبغوضة لديه، وهو في الحقيقة يفر من صعوبات الحياة لشدة حبه لنفسه، ولا يرى أن يتحمل أي صعوبة أو أي جهد.

والانتحـار هـو ممـارسـة الضعفـاء والمـرضـى النفسييـن، أو الـذيـن يعجـزون عـن مـواجهـة صعـوبـات الحيـاة، لكـن يقـدم علـى الانتحـار بعـض الأقـويـاء أحيـانـاً، إلاّ أن هـذه الفكـرة تتسلـط عليهـم وتعجـزهـم عـن المـواجهـة، وهنـاك أشخـاص يسعـون بجهـد وتفـانـي لإنجـاز هـدف،

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٢.

وعندما يصلون إلى طرف مسدود يشعرون بأنهم عاجزون تماماً، ويقررون القيام بالانتحار.

وينتج دائماً عن الانتحار مرض أو خلل ناتج عن تفكك الروابط الإنسانية، وشعور بعض الأفراد بعدم وجود من يتعاطفون معهم فيقدمون على الانتحار.

ويمكن أن ينتج عن الإحباط والأمراض النفسية الأخرى من قبيل الهستيريا، وكذلك الشعور بعدم وجود ملجأ، أو الوحدة التي تخلف اضطراب داخلي قوي وحصار يدفع لقتل النفس، ولا بد من الإشارة إلى أن وجود فكرة الانتحار في ذهن الإنسان تقلص فرص القضاء عليها، أما مصارحته لأحد ما، فيعطي فرصة لرده عن هذا العزم.

كما أن من ترددت فكرة الانتحار في خاطره فعليه أن يسعى إلى علاجها، وأن يخرج من الطريق غير الصحيح، إلى الطريق الصحيح، لأن هذه الفكرة تشكل خطراً على الأفراد والمجتمع، خاصة إذا رافقها الإدمان أو الفحشاء[1].

* * *

المطلب الثاني
الأمراض النفسية

الاختلالات النفسية عند الشباب لا بد من السعي لعلاجها بسرعة، فبدون العلاج ستقود إلى أمراض أكثر تعقيداً، فنحن نلاحظ أنهم يصابون بأعراض كثيرة مثل الإحباط والكآبة، والتي تحصل لأن المشاكل والآلام التي

---

(١) تربية الشباب ص ١٩٤.

تواجه الشباب كثيرة بينما تكون قدرتهم على التحمل قليلة، وهي أيضاً بناءً على رؤيتهم الخاصة للأمور التي تصور لهم أن المجتمع ظالم جداً، فيسعون إلى تغييره، وعندما يفشلون فإنهم يلجأون إلى لوم أنفسهم ويتعذبون ثم يصلون إلى الاختلالات في النهاية.

ومن هذه الاختلالات:

١ ـ الإحباط:

هو نوع من الاختلالات النفسية يخلق الحزن لدى الإنسان، وكأنه يحمل مصيبة كبيرة، فأحياناً يبكي، ولا يميل لتناول الطعام، ويسيطر عليه اليأس والتشاؤم، ويشعر بالتفاهة ويعدّ نفسه من المذنبين، ويبطىء في أداء عمله، ويلاحظ على أفراد هذا النوع عدم القابلية على العمل والاضطراب، وأحياناً الرغبة في الانتحار، وتضعف الرغبة في الدرس ويصابون بالأرق وفقدان الشهية، وإذا لم يتم تخفيف هذه الحالة أو علاجها، فإنها تجر إلى عوارض أخرى أكثر سوءاً.

وفي بعض الحالات ينشأ الإحباط إثر عوامل جسمية كما في قلة إفراز بعض الغدد، وفي هذه الحالة لا بد من مراجعة طبيب مختص.

ويشعر المراهق بأن الأفراد المحيطين به لا يهتمون بما يدور معه، ولا يستطيع المراهق الاستقرار في غرفة واحدة، أو مكان واحد، كما يعجز عن التركيز في مطالعة كتاب ويكثر من الشكوى من التعب حتى بعد الاستراحة الطويلة والنوم الكثير.

إنه يشعر بقلة الأهمية والعجز بالنسبة للمسائل الاجتماعية. فتسيطر عليه العصبية ويقدم على أعمال لتحرير نفسه من هذه المشاعر، وأحياناً يلجأ إلى الأعمال الجنسية لنفس السبب[١].

---

(١) رعاية المراهقين ص ١١٥.

وإذا أصاب المراهق الإحباط ناصب والديه الخصومة، ويصاب بضعف الذاكرة.

٢ ــ الجنون:

وهو من الأمراض المهمة في هذه الفترة، وهو على درجات متفاوتة، فمنه الانفصام في الشخصية، أو الضعف العقلي، ويكونون مبهوتين ومتحيرين لأنهم يفقدون أي هدف في الحياة، ويصيرون لا مباليين ومتحررين، وكأنهم منفصلين عن العالم المحيط بهم، ويمكن أن يقدموا على أعمال غير متوازنة.

٣ ــ التوهم:

إذ يرى المراهق في نفسه الأهمية، كأن يتصور أنه ملك، أو تتصور الفتاة أنها ملكة جمال أو عارضة مشهورة، أو تأسر قلوب الشباب، أو يتخيل أن الآخرين يهاجمونه، أو أنهم سرقوا منه بعض الأشياء، أو ضحية لمؤامرة، وفي الحالات الخفية من هذا المرض فإن المراهق يبتعد عن الناس وينكر الواقع وينسب أفعاله إلى الآخرين، وقد يكون المراهق عنيفاً مستعداً للهجوم إذ لا يكترث بأي شيء، ويصاب باليأس، ولا يلتفت إلى وجود الآخرين، وغير مبالي بالقوانين الاجتماعية، والأعراف السائدة.

غالباً ما يكون المراهق عصبي المزاج، متقلص الشفاه، جامد النظرات يعاني من انقباض نفسي، وكما أن عضلات وجهه ساكنة، وأحياناً يتحدث عن نفسه بلغة (الأنا)، ويجابه من يرفضون آراءه، ينكر الواقعيات، وقد يميل إلى الجنس المشابه[١].

---

(١) دعنا نفهم مشكلات الشباب ص ٧٨، ريمز هاكيت، ترجمة عطية محمود مهنا.

٤ ــ الهستيريا:

وهي من الأمراض التي تصيب الشباب، وغالباً ما تبتلى بها الفتيات، ولها أعراض كثيرة منها: تبدي المصابة بالهستيريا رغبة شديدة بالتظاهر وكأنها على خشبة مسرح، أو يردن إبراز حالات مختلفة عن أحلامهن، كأن يقلدن شخصية معينة كممثلة فتلبس نفس لباسها وقصة شعرها وطريقة حديثها ليحققن بعضاً من أمانيهن، ومن أعراضه النسيان والغضب وضرب الأرض بالقدم، وبروز انفعالات وحزن، وتحتاج هذه الحالة إلى العلاج لأن حياتهن تكتئب إذ لا يبدين رغبة بالعلاقات مع الآخرين[١].

٥ ــ الكذب وتضخيم الأمور:

وهذا المرض خاص بالفتيات المراهقات، إذ يكثرن من الكذب وينشغلن بصنع الأكاذيب، ويحاولن تضخيم بعض القضايا للحصول على إعجاب الآخرين، وقد تشاهد عندهن سرقات بدون حاجة فعلية للمال، وفي أغلب الحالات تقدم على ذلك من أجل لفت أنظار الآخرين إليها، وفي كل الأحوال نلاحظ عليهن الإفراط في الحاجة إلى الحب والرغبة في لفت نظر الآخرين، ولهذا السبب فإنهن يفلحن في بعض الأحيان في الحصول على الإعجاب وربما الشهرة.

٦ ــ إبراز الرغبات الجنسية بلا حياء:

ومن أعراض هذا المرض الهيجان الدائم والحركة المستمرة، ويصرخ المصاب بلا سبب وبدون مبرر وينشغل بالكلام دائماً ويضحك بلا سبب، وينتقل من فكرة إلى أخرى ويشعر بحرية ويبرز رغباته الجنسية بلا حياء، وهذا المرض يصاب به الشباب الذكور أكثر من الفتيات، وهناك نسبة كبيرة

---

(١) في علم نفس النمو ص ٣٨٤، سعدية بهادر.

من الكبار من ٤٠ ـ ٦٠ يبتلون به بشكل كبير[١].

٧ ـ حالات الإغماء أمام المغنين والممثلين:

وهو نوع من الإحباط يبدأ في سن ١٥، ومن أعراضه الشعور بالحزن بلا سبب والتعب، ويشعر المريض بأن عمره ذهب هدراً، وأن موته صار قريباً، ويأسف للماضي، ويتألم لماذا لم يفعل كذا، ويبدي قلقاً إزاء المستقبل، ويرى نفسه ميتاً في كل الظروف، وللتعويض عن كل الخسائر فإنه يصبح شاعراً وأحياناً كاتباً، ولا يظهر هذا المرض قبل فترة الشباب، أو في الكبر، بل يشيع فقط بين الشباب، لذا فهو اختلال سريع الزوال وقابل للعلاج بشرط أن لا يبقى زمناً طويلاً.

ومن أعراضه أيضاً حالات الإغماء أمام المغنين، أو الإغماء لأغنية سمعها دون فهم معانيها، وهذه تظهر في أوروبا واضحة، وبدأت تسري إلى مجتمعاتنا المسلمة مع الأسف.

* * *

المطلب الثالث

جوانب العلاج الإسلامي

لا بد في البداية من الاطلاع على علل الإصابة والتي أساسها إما جسمية بدنية ناشئة عن اختلالات الغدد، أو علل وأسباب نفسية، أو علل اجتماعية، كعدم تكامل الشخصية ووجود أمراض نفسية من قبيل السينما والتلفزيون والراديو والمواد المخدرة والمورفين والمسكرات وعدم الانسجام مع العائلة أو المجتمع.

وقد تناول الدكتور حامد زهران طرق الإرشاد والتوجيه وأساليب حل

---

(١) رعاية المراهقين ص ١١٥.

المشكلات فقال: «يمكن اعتبار المشكلة التي جاء بها المراهق كنموذج أو تدريب له ليستطيع بنفسه مستقبلاً حل أي مشكلة له بنفسه مستفيداً بخبرة من المربـي، فإن المربـي لا يحل مشكلة المراهق ولكنه يقدم له الحلول الجاهزة، ويساعده في تتبعها بنفسه[(١)].

والخطوات هي:

١ ـ البدء في تحديد المشكلة والعمل على حصرها والسيطرة عليها.

٢ ـ دراسة المشكلة بكل أبعادها، وتقتلع من جذورها، لأننا إذا أزلنا الأعراض وتركنا الأسباب فسوف تنمو مشكلات جديدة.

٣ ـ توجيه المراهق إلى اقتراح عدد من الحلول الرئيسية والحلول البديلة الاحتياطية بحيث تكون ممكنة ومقبولة اجتماعياً وشرعاً.

يحرص المربـي على توجيه المراهق بكل طاقاته نحو الوصول إلى حل المشكلة مع الاحتياط خشية تضارب الآراء والحلول، أو ضررها بالآخرين[(٢)].

إن الخطوات السابقة هامة وهي لا تتعارض مع المفاهيم الإسلامية، غير أني أعتقد أن اشتراك المراهق في حل مشكلاته بمستوى يتناسب مع قدراته العقلية أمر كافٍ، فإن المشكلات تنشأ غالباً عن ضعف الوعي بمواقف الحياة، وقلة الخبرة بأساليب التعامل مع الدوافع الجديدة، وإشباعها بالأسلوب الذي لا يتعارض مع مبادىء البيئة الاجتماعية، مما يجعلنا نتحفظ

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي ص ٢٧٠، حامد زهران، عالم الكتاب، القاهرة.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٠ ـ ٣٣٥.

في إشراك المراهق في حل مشكلاته، أما إسناد عملية الحل إليه، فقد يؤدي إلى تورط المراهق في حلول غير صالحة أو ضارة به وبغيره، فإن ذلك أمر لا تحمد عقباه.

ولقد أشار الدكتور زهران إلى أسباب الضلال النفسي فحصرها في (الذنوب ــ الضلال ــ الصراع بين قوى الخير والشر في الإنسان ــ ضعف الضمير)، كما أشار إلى أسباب أخرى منها: (الأنانية ــ إيثار الحياة الدنيا والتكالب عليها ــ اتباع الغرائز والشهوات ــ التبرج ــ الغيرة والحقد والحسد على ما آتى الله الناس من فضل ــ الشك والارتياب).

وفيه يظهر أهمية الإرشاد الديني في العلاج النفسي، فهو أسلوب وتوجيه وعلاج وتربية وتعليم، يقوم على معرفة الفرد لنفسه ولربه ولدينه والقيم والمبادىء الروحية والأخلاقية.

وهدف الإرشاد الديني: تحرير الشخص المضطرب من مشاعر الإثم والخطيئة التي تهدد طمأنينته وأمنه النفسي، ومساعدته على تقبل ذاته وتحقيق وإشباع الحاجة إلى الأمن والسلام النفسي، ويحتاج الإرشاد الديني إلى المربي المؤمن ذي البصيرة القادر على الإيحاء والإقناع والمشاركة الانفعالية الذي يتبع تعاليم دينه، ويحترم الأديان السماوية الأخرى، ويمكن أن يمارس الإرشاد الديني كل من المرشد النفسي والمربي وعلماء الدين، على أن يكوّنوا فريق متكامل، ويتناولون فيها عملية التوبة والاستغفار في عملية تعلم واكتساب اتجاهات وقيم إسلامية، يلجأون فيها إلى الله تعالى بالدعاء، مبتغين رحمته، مستغفرين إياه، ذاكرين صابرين على كل حال، متوكلين على الله مفوضين الأمر إليه[١].

(١) التوجيه والإرشاد النفسي ص ٣٣١.

إن أهمية التلاقي بين المفكرين المسلمين والمربين ممن لهم علم وفقه وبصيرة بأصول الدين الإسلامي يشكلون فريقاً متألقاً متكاملاً، فيعنى العلماء المسلمون بإبراز أصول التربية والتوجيه ووسائل التهذيب النفسي على ضوء القرآن الكريم والسنَّة النبوية، ثم يتناولها النفسيون والتربويون فيعملون على تطويره وفق المفاهيم التربوية والنفسية التي لا تتعارض مع مبادىء الدين وآدابه، وأن يميزوا بين الخبيث والطيب فيعمدون إلى تنقية الكتب النفسية والتربوية المملوءة بالفكر (الفرويدي) اليهودي المتعفن الآسن، وإن آراء هذا اليهودي الآثم وأساليبه الفوضوية الهمجية أحد الأسباب الرئيسية وراء انحراف المراهقين والشباب في كل العالم، وأنه عامل هام في نشر الشعور بالكآبة بينهم، وأنه من أقوى الأسباب الكامنة وراء انتحار أعداد كثيرة من المراهقين والشباب في كل أنحاء العالم[(١)].

إن الفكر الفرويدي المنحرف الشاذ الذي يُرجع كل العلاقات الإنسانية والسلوك الإنساني بأجمعه إلى الغريزة الجنسية، وقد عمل جاهداً على تجريد الإنسان من كل فضيلة، هذا الفكر الآسن تمتلىء به كل كتب علم النفس، اللهم إلاَّ نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٢٪ من مؤلفات علم النفس والتربية، وهؤلاء هم الذين أكرمهم الله وفضل عليهم فهداهم إلى التوجه إلى القرآن والسنَّة النبوية الشريفة، ونرجو من المفكرين التربويين المعاصرين أن يدققوا في محض أفكار اليهودي لتتضح لهم اتجاهاته المنحرفة، لعلهم يتخلصون من التبعية المطلقة لهذا الفكر الضال المضلّ[(٢)].



(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٣٢، ٤٣٤.

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٣٥.

الباب الرابع
المراهِقة والانحرافات

الفصل الأول: الانحرافات الغريزية وتشمل:
البلوغ المبكر ـ التسكع في الطرقات ـ العادة السرية ـ اللواط ـ السحاق ـ الزنا.

الفصل الثاني: الانحرافات الاقتصادية:
السرقة ـ العصابات ـ الفقر ـ الصحبة السيئة ـ العطالة عن العمل ـ ثراء الوالدين.

الفصل الثالث: الانحرافات الاجتماعية:
الاعتداء على الآخرين ـ الجنوح ـ استخدام الآلات الحادة ـ التجمعات للانحرافات ـ العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية.

الفصل الأول
الانحرافات الغريزية

تمهيد:

تتنامى في سن البلوغ الغريزة الجنسية عند المراهق، وتنمو معها أمنيات وآمال ينجم عن معالجتها بشكل خاطىء انحرافات عديدة.

إن سبب أغلب الانحرافات الجنسية هو التربية الخاطئة، وعدم تكامل البعد العقلي عند المراهق. وعلينا أن ندرك أن ضعف الرغبة الجنسية يعد نقصاً ومرضاً لأن قوة الرغبة الجنسية هو أمر بديهي ويدل على صحة الجسم وسلامة الروح، إن هذه الرغبة هي المحرك الأساسي التي تدفع الفتاة والشاب إلى الاستقلال وتكوين شخصيتهما بما يضمن لهما الحرية، لكن الخطورة تكمن في طغيان الغريزة الجنسية على باقي أبعاد المراهقة أو الشاب، أو أن تسيطر عليها بنحو تشل سائر فعالياتها ونشاطاتها.

وفي دراسة عربية وجد أن نسبة المشكلات الجنسية عند الطالبات أكثر مما هي لدى الطلاب، بينما يحس البنون بالميل الجنسي أكثر مما تحسه البنات، إذ تسيطر الرغبة الجنسية عليهم لدرجة تدعو إلى المضايقة، أما فيما يتعلق بكراهية الجنس الآخر فيبدو أن البنات أكثر كراهية للأولاد من كراهية الأولاد للبنات، وفيما يتعلق بإظهار العواطف نحو الجنس الآخر، فإن

البنات يسؤوهن هذا أكثر مما يسوء الأولاد[١].

إن الانحرافات الجنسية وإيجاد علاقات حب خاطئة، وممارسة أعمال تنافي العفة والطهارة والتي هي كلها بسبب عدم الانصياع إلى العقل والدين، وتحكم الغرائز على إرادة المراهق، ولا شك أن ضعف الإيمان هو عامل آخر يحفّز المراهق على ارتكاب المعاصي والمفاسد[٢].

إن سرعة النمو الجسمي في المراهقة تكون مصحوبة بالنمو الجنسي، حيث تنمو الغدد الجنسية وتبدأ الرغبة الجنسية في الممارسة الجنسية التي قد تنحصر في بواكير المراهقة في الاستنماء أو اللواط (إتيان الذكر للذكر) أو السحاق (إتيان المرأة للمرأة)، إذ من المحتمل أن تكون لدى المراهق فكرة منحرفة، أو سلوك جنسي منحرف قبل المراهقة، وهي حالات قليلة تنشأ عن الصحبة لأطفال منحرفين فقدوا التربية والتوجيه داخل الأسرة، فيزودون غيرهم بالأفكار والممارسات المنحرفة التي تقع دون وعي من الطفل أو إدراك، وهو في الوقت نفسه لا يجد توجيهاً مناسباً من الوالد أو المربي ليقوده إلى معالجة صحيحة ويعرّفه بأسلوب علمي راق عن طبيعة الوظائف الفطرية لأعضائه التناسلية حتى لا يتورط في الانحرافات السلوكية التي تؤثر على نفسيته وعلى سلوكه الاجتماعي، وتكاد تنحصر المشكلات الجنسية للمراهق في البلوغ المبكر ــ التسكع في الطرقات ــ العادة السرية ــ الزنا ــ اللواط[٣].

وفي هذه الحالة تمتزج قدرة التخيل بالشهوة، ومما يثير العجب أن في

(١) علم النفس التكويني ص ٦٤٤.
(٢) تربية الشباب ص ٢٠٨.
(٣) المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٤٤.

اللحظة التي تسيطر الشهوة على الإنسان لا يأبه المراهق أو الشاب بأي شيء، ولا يعير لسمعته وماء وجهه أية أهمية تذكر، ولا يخشى من الفضائح التي قد تسببها تصرفاته.

إن الأعضاء الجسمية التي تجذب المراهق هي ذات منظر بشع لا يتصف بأية جمالية تذكر ولا تنطبق عليها المعايير الجمالية مطلقاً[1].

* * *

المطلب الأول

البلوغ المبكر

البلوغ المبكر من الصعوبات التي تواجه المراهق في هذه المرحلة، وتتراوح فترة البلوغ المبكر بين الحادية عشر والثانية عشر عند البنين، فيما عمر البلوغ الحقيقي يتراوح بين الخامسة عشر والثامنة عشر، أما عند الفتيات فيكون عامين قبل النضوج، والسبب في النضوج المبكر متنوع ومتعدد، فتارة يكون عن طريق لمس أو مشاهدة أو الاستماع إلى الإثارات الجنسية، وأحياناً بسبب وجود نقص في عمل الغدد، وأهم مخاطر البلوغ المبكر هو استيقاظ الغريزة الجنسية دون أن توجه نحو مسار أو هدف معين، ولذا يُستغفل المراهق المصاب بهذ المرض من قبل المنحرفين والمجرمين، خصوصاً وأن ذهنية المراهق تفتقد إلى تقويم الأمور والأشخاص بنظرة عقلية، كما يفتقر المراهق وكذا المراهقة إلى التجارب اللازمة لاكتشاف حيل الآخرين وتجنبها[2].

إن البعد العقلي عند المراهق ضعيف للغاية، خصوصاً وأن أغلب

---

(١) تربية الشباب ص ٢٠٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩.

المصابين بالبلوغ المبكر هم أضعف عقلاً وأكثر غباءً من أقرانهم، ولكنهم يتحلون في نفس الوقت بقدرة جسمانية كبيرة تفوق القدرة الجسمية عند أقرانهم، إن الخطر يكمن في عدم وجود توازن وانسجام بين نمو الجسم وقوة الغريزة الجنسية، إذ أن هذا الوضع يسبب لجوء المراهق إلى كثير من الانحرافات.

إن المصابين بالبلوغ المبكر هم أفراد وذوي مخيلة جامحة، ولكنهم يفقدون السيطرة على نفسهم لضعف الإرادة عندهم، ولا يمكنهم أن ينظموا أنفسهم ويبرمجوا أعمالهم ونشاطاتهم، ويجب أن يُحدّ من علاقاتهم مع من هم في عمرهم، أو مع الأصغر منهم سناً، لأن علاقاتهم بالأصغر سناً قد تسبب بعض الانحرافات الخطرة، لذا يجب مراقبة علاقاتهم والحذر من علاقاتهم بالأصغر منهم[1].

العادة السرية (الاستمناء باليد):

العادة السرية سلوك فردي قد يلجأ إليه المراهق بعد تعرضه لما يثير في نفسه الدافع الجنسي بالقراءة والقصص الهابطة، أو الأشرطة التي تباح فيها العملية الجنسية أو الأفلام الإباحية، أو النظر لصور العاريات التي تعرض على مسامع وأنظار المراهقين أو بعد محادثة فتاة، فلا يجد سبيلاً لخفض حدة التوتر لاستخراج المني إلاَّ بواسطة دلك الأعضاء التناسلية، إذ بعد الإنزال تنخفض حدة التوتر، وهذا النوع من التصريف للدافع الجنسي منحرف عن طبيعة الفطرة، ولهذا يحرمه التشريع الإسلامي لما يترتب عليه من ضرر نفسي في الحاضر واجتماعي في المستقبل، وكل الإفتاءات التي صدرت للقول بإباحته للمضطر هي تحريف

(١) المصدر نفسه ص ٢٠٩.

للشرع الإسلامي، وتجرؤ على الله تعالى، وفتح لباب الفتنة والفساد لمن يريد.

ولأن الله سبحانه وتعالى قد أمر بحفظ الفرج إلاَّ على الزوجة أو الأمة المملوكة، فدل ذلك على أن التصريف في غير هذين الموضعين تصريف فوضوي لا يتناسب مع إنسانية الإنسان، وقد جزم الأئمة الثلاثة بتحريمه، ومن فعل ذلك تلذذاً أو تذكراً أو عادة بأن يتذكر في حال استمنائه صورة كأنه يجامعها، فهذا كله محرم لا يقول به أحد مطلقاً، وقد أوجب فيه بعضهم الحد، والصبر على هذا من الواجبات لا من المستحبات[1]، **ولا نلتفت إلى قول كثير من علماء النفس من أن العادة السرية لا يخشى ضررها إلاَّ إذا استحكمت في سلوك المراهق وغدت توجهه إلى عملية الاستمناء المتواصل** بمعناه المفرط، فإن الاستمناء على أي حال سلوك جنسي منحرف يحرمه التشريع، ويبين ضرره الأطباء وبعض علماء التربية[2].

وتبدأ هذه العادة في سن مبكرة من الطفولة عندما يشعر الطفل بشيء من اللذة من اللعب بعضوه التناسلي، وتستمر هذه العادة في سن الحداثة والمراهقة وإلى ما بعد ذلك في كثير من الحالات، وهذه الحالة تصبح انحرافاً لا محالة عند الإكثار من ممارستها، وتتخذ هذه الممارسة صفة الدافع الإلزامي، كما أنها تصبح شذوذاً إذا اقترنت بإحدى وسائل الشذوذ الجنسي، وفي الكثير من الناس تستمر العادة السرية إلى ما بعد الزواج، وفي هذه الحالة تعتبر من العادات الجنسية غير الطبيعية، ثم إن الاستمناء قد يكون مظهراً من مظاهر الحياة الانطوائية، وتكثر هذه العادة في أصحاب الشخصية الانفصامية ممن لديهم استعداد واضح للإصابة بهذا المرض[3].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/ ٥٧٤، ابن تيمية.

(٢) المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٥٠.

(٣) علم نفس النمو التكويني ص ٦٥٣.

وتفيد الدراسات أن الإناث أقل تكراراً وإلحاحاً في الممارسة من الذكور، غير أن الأكثرية العظمى الذين بدأوا بممارسة الاستمناء يكررون ذلك بشكل منتظم قد يمتد سنوات طويلة.

وللعادة السرية عند الإناث آثار سلبية، فالاستمناء في الأنثى يتم عادة بشكل فردي ومتكتم أكثر مما هو الحال في الذكور، والأنثى تعلم أنها عرضة للعقاب والتأنيب، وهي لذلك تعاني من القلق والشعور بالإثم أكثر مما يعانيه الذكور، وهي ستشكل لها في المستقبل الكثير من مشاكل الحياة الجنسية، إذ تتعرف الأنثى على أنماط غير طبيعية للإثارة الجنسية وموطنها وأوقاتها والاستجابة لها. ومن الملاحظ أن النشء الذي يكون ميالاً لممارسة العادة هم أكثر شقاء وأكثرهم فراغاً وأكثرهم عجزاً عن ملء فراغهم بإنتاج يجلب احترامهم لأنفسهم واحترام غيرهم لهم(١).

ومن علامات هذا المرض اصفرار الوجه والتعب المستمر، وارتجاف اليدين، كما يكون لون الحدقتين غامقة جدّاً(٢).

* * *

المطلب الثاني
التسكع في الطرقات

إن التسكع في الطرقات كثيراً ما يحدث من المراهقين حيث يلتقي أفراد منهم، فيسيرون في جماعة يلهون ويهزأون، ويصيبون المارة والجالسين داخل بيوتهم أو محالهم بالأذى، إذ تصدر منهم بعض العبارات الساقطة، والألفاظ النابية التي تجرح مشاعر الآخرين من الجنسين وأحياناً

---

(١) علم نفس التكويني ص ٦٥٥ ـ ٦٦١.
(٢) تربية الشباب ص ٢١٠.

ينخرط بعض المراهقين في هذه الجماعات دون رغبة منهم لهذا السلوك المنحرف وإنما لمسايرة الجماعة، وعدم اتهامها له ببعض الصفات التي لا يقبلها، أو التي تسبب له ضيقاً.

ومن هنا تأتي أهمية متابعة الوالدين وخاصة الأب لسلوك المراهقة بالتعرف على نوعية الأفراد اللواتي ترافقهن، فإن وجد ثمة انحراف عالج الأمر بأسلوب هادىء يحفظ على المراهق اتزانه النفسي ولا يعرضه للحرج والضيق، ويكون ذلك ببيان المضار التي تترتب على الصحبة المنحرفة مع بيان المنافع التي تترتب على مصاحبة الفتاة المعتصمة بدينها الخلوقة في سلوكها، ويستعين في ذلك ببعض ما لديه من أصول دينية وآراء اجتماعية خلقية[١].

يرتبط تدفق النمو بالرغبة في التجول، فالمراهق والمراهقة يحبان الخروج والسير لمدة طويلة بغير هدف، ولكن هذا التجول لا يكون بريئاً في كثير من الأحيان بل يكون مشفوعاً بالرغبة في المغامرات المنحرفة عن الطريق القويم، فتنشأ حالات التسكع والمعاكسات وأحياناً السرقة والنشل وغير ذلك من الانحرافات السلوكية[٢].

إن الدافع الجنسي يظل ساكناً حتى يثار بأحد العوامل التي تؤدي إلى تحريكه، وعند ذلك يلح على المراهق شعور جامح بالرغبة في تصريف الشحنة الانفعالية الناشئة عن الإثارة، وتجتمع مثيراته في أفراد الجنس الآخر، وما يتعلق بهن من الصور، والروايات الهابطة التي تعمل على إثارة الدافع الجنسي بأسلوب قصصي لمواقف مثيرة، أو تتمثل إثارتهم باللمس

(١) المراهق بين الإسلام وتربية النفس ص ٤٤٥ .
(٢) رعاية المراهقين ص ١١٥ .

أو الاستماع إلى موسيقى شهوانية، أو تبادل رسائل يكتبون فيها كلمات مبتذلة كما أن هناك مواضيع في الكتب والمجلات تهيّج عندهم غرائزهم وشهواتهم، إن تقليدهم للمنحطين يبعدهم عن الفضائل والطريق القويم، كما أن تردي الفتاة في هذه البؤرة الفاسدة ليقللن من ضغط النقص العاطفي الذي يعانين منه، ويمكن استغفالهن من قبل المنحرفين بابتسامة كاذبة أو بقليل من التملق أو استحسان جمالهن، وتعمد الفتاة إلى ارتداء الملابس الضيقة والقصيرة لجذب انتباه الجنس الآخر وإثارته غريزياً، أو تعمد إلى تسريحة شعرها أو تلوينه، ولا بد أن المتسكعين هم أكثر الناس اهتماماً بالسحر والشعوذة يحاولون من خلالها الوصول إلى مقاصدهم اللامشروعة[1].

ومن البديهي أن ينمو عند المراهقين الشباب والفتيات الشعور بمحبة الجنس الآخر والرغبة في الزواج وتكوين عائلة، وفي بعض الأحيان يحب الشاب من تكبره في العمر، أو تحب الفتاة رجلاً بعمر أبيها دون التفكير بالنتائج، علماً أن الفتيات يجذبن نظر واهتمام الجنس الآخر أكثر من البنين، وبالطبع فإن ردود أفعالهن يختلف بين فتاة وأخرى، ويتبع التربية التي تلقتها الفتاة في محيط العائلة.

فمن الممكن أن تستجيب فتاة ما لمحبة مدير العمل في إدارة ما، مع علمها أنه متزوج وله أطفال. ولربما وقع المراهق في مشاكل عصيّة عن الحل، جراء محبته للجنس المخالف بشكل مغلوط، كأن تحمل الفتاة أو يصاب بأمراض تنتقل من خلال الجماع، إن بعض المراهقين يقعون في مواقف خطيرة جراء تسكعهم في الطرقات وعلاقاتهم بالجنس الآخر، وهم

---

(١) تربية المراهق ص ٢١٤.

لا يعرفون حتى المفردات اللائقة بالمحبة[1].

وتثار المراهقة بما تشاهده من المظاهر الخارجية للمراهق كاكتمال النمو الجسمي وقوته ووجاهته وحسن هندامه، ومظاهر اليسر المالي، وإن كان الأخير يلعب أخطر الأدوار في المجتمع المعاصر، أقصد اليسر المالي، كما تثار بقدرته على الدعابة والفكاهة ومتابعته لكل جديد، إلى غير ذلك مما يجذب الفتاة العصرية خلا قليل من المراهقات المسلمات اللاتي يمتعضن من هذا السلوك لأنهن متمسكات بهدي القرآن الكريم فيجذبهن مظاهر التقوى والخلق الفاضل.

ولا شك أن تبرج الفتاة يثير المراهق كما ذكرنا سابقاً، فالحركة العابرة والمشية المتثنية هي سلوك دائم للمراهقة، ولين الصوت وترقيقه، وكشف بعض أجزاء العورة من بدنها، وأشدد على الفضائح الجديدة للأنثى بإظهار (سرتها) وهي مما تثير الاشمئزاز ناهيك عن الأذرع والسيقان والنحر وغير ذلك، كل هذا مثيرات وفدت إلى المجتمع المسلم عن طريق الثقافات الغازية من مناهج التربية الغربية التي سيطرت على الفكر والاتجاه التربوي في مجتمعنا وجامعاتنا قاطبة، وعمّ أغلبها بلاء الاختلاط بين الجنسين في جميع مراحل التعليم العام والفني، حتى المعاهد الدينية الابتدائية قد انتقلت إليها العدوى، فأصبح التعليم مختلطاً ببعضها، ونخشى أن يطبق عليها نظام التعليم الجديد الذي قضى بإدماج المرحلتين الابتدائية والإعدادية في مرحلة واحدة، ومعنى هذا أن يبقى الفتى بجوار الفتاة طيلة اليوم الدراسي.

إن الواقع الحضاري المرّ الذي يعيشه الغرب يتعارض مع مبادىء ديننا وعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية التي أخذت في الانحسار أمام المحطات الفكرية

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١١.

التي تنفذ في مجتمعنا، حيث تروّج لها أقلام بعض المفكرين الذين أخذهم بريق سراب الحضارة الغربية، فإن بيئتنا لها دينها وثقافتها وتراثها الحضاري وعاداتها وتقاليدها وأوضاعها الاجتماعية وشخصيتها الإسلامية، ولا يعني هذا أن نقفل الباب أمام فتياتنا المراهقات بل لنا أن نسعى إلى الاستفادة المتأنية التي لا يضحى فيها بديننا وشبابنا وثقافتنا وتراثنا الإسلامي، وألا تنحصر جهود علماء أمتنا حد الترجمة الحرفية لما يتعارض وما لا يتعارض.

إن الصحبة بين الفتيان والفتيات أقوى العوامل المؤدية للانحرافات الجنسية في المراهقة وغيرها من مراحل العمر، وهي من الأسباب المباشرة للعقد النفسية والعصبية حيث أن مجتمعنا بحمد الله تعالى لا يزال يهتم بالأعراض ويحرص على الحفاظ عليها[١].

إنني أدعو من خلال هذا الكتاب، والكتاب الذي سبقه (قضايا المراهقة المسلمة) إلى أن نيسِّر لفتياتنا خاصة ـ لأن الشاب عنده متسع كبير وواسع ـ النوادي الرياضية والمسابح والملاعب النسائية المغلقة، وأن لا نحرمها من أسباب النزهة والمشي المباح، والقراءة الهادفة، وركوب الخيل، والتجديف، والنزهات البحرية إن أمكن، كل ذلك ليكون تعويضاً لها وتنفيساً لضيق صدرها وقوة انفعالاتها إنني ككاتبة أطرح الأفكار، وأدعو المقتدرين من ذوي الهمم المسلمة وذوي الغيرة على دينهم أن يضعوا هذه الأفكار قيد التنفيذ متناسين قلة الربح المادي أمام الحفاظ على الدين.

وأرجو أن أنتظر من أحدهم أن يتصل بي يعلمني: أن هذا المشروع صار قيد التنفيذ، إن هذا المشروع نحتاج إليه في كل حي وقرية وجامعة ليكون من السهل على الفتاة أن تسعى إليه دون مشقة أو تأخير.

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٤٨.

إن نتائج التساهل في العلاقات بين المراهقين والسماح للفتاة بما لا يجب أن يسمح به وعدم احتفاظ الفتاة بقدر من الاحتشام في السير في الطريق البحث عن اللذة فقط، كل ذلك ينتهي غالباً إلى عواقب مؤلمة في المدى البعيد بل وإلى فتور في العلاقة نفسها، وإلى كسر هذه العلاقة بطريقة كريهة، لأن أحدهما على الأقل يتسرب إلى نفسه الإحساس بالإثم أو الملل أو كره الذات بسبب هذه العلاقة الجسدية الخالية من الكرامة والتي تجعل من الفتاة مستهترة من سمعتها وأمانتها، هذا طبعاً إذا اقتصر الأمر على التساهل، فما بالك إذا وقعت الكارثة وانتهت إلى الحمل، إن صدمة الوالدين تكون قاسية[١]. . .

* * *

المطلب الثالث

اللواط ـ السحاق ـ الزنا

(اللواط والسحاق)

تعريف اللواط: هو إتيان الذكر الذكر من الدبر.

تعريف السحاق: هو إتيان المرأة المرأة.

إن جريمة اللواط والسحاق جريمتان من الشذوذ الجنسي، والشذوذ الجنسي له تشعبات كثيرة كإبراز العورة والسادية[٢].

إن أحد أسباب اللواط والسحاق هو أن الأحداث قد تعرّفوا على أنفسهم تواً ولا يستطيعون وبسبب الخجل أن يصارحوا الآخرين بخصوص

---

(١) دعنا نفهم مشكلات الشباب ص ٣٠٨، هـ. ريمز هاكيت. ترجمة عطية محمود مهنا.

(٢) مرض نفسي يتم فيه التواصل مع المرأة عن طريق اتخاذ وسائل التعذيب.

الكثير من الأمور والأسرار، لذا يحتفظوا بهذه الأسرار بين أنفسهم فتزداد الثقة بينهم يوماً بعد يوم، فيتجرؤا آنذاك على ممارسة الانحراف فيما بينهم أو يكون سبب الشذوذ الجنسي الخجل والحياء المفرط، كما أن وجود اختلافات عائلية حادة وإغراءات الآخرين توقع بعض المراهقين في هذه الرذيلة، كما قد تنجذب المراهقة إلى إحدى النساء الوسيمات أو الممثلات أو غير ذلك فتعجب بها، وربما كانت تلك منحرفة جنسياً وقد استولت عليها رذيلة الشذوذ الجنسي، فإن الأمر سيؤول إلى فضائح أخلاقية لا سمح الله[1].

وجريمة اللواط تتم بين ذكرين، والسحاق تتم بين امرأتين، وهو سلوك جنسي منحرف تتعطل فيها الفطرة التي فطر الله الناس عليها سائر المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وجعل التكاثر يتم وفق نظام الزوجية، وميّز الله تعالى المخلوق الإنساني بخاصية التجاذب إلى الزوج من الجنس الآخر، والإحساس بالمودة والسكن الإنساني الذي يحققه كلا الطرفين لصاحبه.

وتبادل الميل بين الزوجين وتجاذبهما قانون كوني جعل الله فيه امتداد الوجود الإنساني وتكاثره واستمراره، وحين ينحرف بعض الأفراد عن مسار فطرتهم فيأتي الذكور بعضهم بعضاً، أو تأتي الإناث بعضها بعضاً، فإنهم بذلك يمسخون إنسانيتهم وينسلخون منها انسلاخاً، وينحطون إلى درجة أبعد من أدنى الحيوانات وأقذرها، فإنها لا تأتي ذكورها بعضها بعضاً، وهي التي تتصرف بالغرائز الحيوانية التي لا يحكمها شرع ولا عقل ولا مطالبة بتكليف له ضوابط شرعية وآداب أخلاقية ونفسية وعادات سلوكية كتلك التي

---

(١) تربية الشباب ص ٢١٢.

عرفتها الحياة الإنسانية منذ فجر التاريخ، فالذين يرتكبون هذه الفعلة النكراء يعطلون الأعضاء الفطرية عن وظيفتها التي خلقت لها.

إن القرآن الكريم قد عرض هذه الفعلة التي استحدثها قوم لوط عليه السلام بأسلوب توبيخي إنكاري لم يبلغ درجته في القبح والإنكار أي فاحشة في الجاهلية مما كان الناس تأتيه في الجاهلية الأولى، قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النمل: ٥٤ ـ ٥٨].

لقد أنكر الله عليهم فعلتهم الإجرامية التي تنحرف بهم عن موجبات الفطرة السوية، وهم يرون أن إتيان الرجال بعضهم لبعض إهدار للنسل وحرمان للنساء، والقوم من شدة انحرافهم قد ألفوا القذارة واعتادوها وأعلنوا عن عزمهم بإخراج لوط عليه السلام وآله من قريتهم لأنهم قد كرهوهم وأنكروا عليهم، ولأنهم استمسكوا بالطهر والتطهير فأخذهم الله بعذاب من عنده، ونجى لوطاً وآله إلاَّ امرأته كانت على شاكلتهم فأصابها ما أصابهم[١].

يقول سيد قطب: إتيان الرجال وإتيان النساء فاحشة شاذة تدل على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها، فالفطرة قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطهارة مع المرأة فتكون جريمة فاحشة، فأما إتيان الرجل الرجل، والمرأة المرأة فهو انخلاع من فطرة الأحياء جميعاً، وفساد في التركيب النفسي

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٥١.

والتركيب العضوي سواء، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط الحياة الأكبر وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن المباشرة، وجهّز كيان كل من الزوجين بالاستعداد المتلذذ بهذه المباشرة، نفسياً وعضوياً وفقاً لذلك التناسق، فأما المباشرة الشاذة فلا هدف لها، فلم يجهز الله الفطرة بالاستلذاذ منها لانعدام الهدف[1].

ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨ ــ ٢٩].

إن الجنسية المثلية القذرة قد أطلت برأسها من جديد حيث انتشرت بين المراهقين والشباب الذي يعاني من الضياع النفسي والاجتماعي في المجتمعات الأوروبية، ولما انتشر أمرها تجمع هؤلاء المنحرفون الشواذ في جماعات خاصة تبجحت بالإعلان عن نفسها، ووجدت من بعض وسائل الإعلام أذاناً صاغية وأقلاماً معبرة، وطالب هؤلاء الشواذ المجتمع الأوروبي الاعتراف بهم والإقرار لشذوذهم والاعتراف بالجنسية المثلية كغيرها من الممارسات الجنسية في المجتمع الأوروبي، ولذلك نجد في فضائحهم من هو شاذ وعضو في مجلس الكونجرس أو مجلس اللوردات، وقد وجد هذا الانحراف أفراداً في المجتمعات العربية الإسلامية سموا أنفسهم (بالجنس الثالث)، وسريان هذا الاتجاه إنما هو على أيدي يهودية خفية تحرك هذا الاتجاه لتهدم به ما تبقى من صرح الأخلاق[2].

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٣٣، تفسير سورة العنكبوت.

(٢) الخطر اليهودي ص ٧١، محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت.

إن إصبعاً واحداً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان، فاليهودي هو وراء كل دعوة انحلال خلقي، ومن ذلك (سيجمند فرويد) اليهودي الذي هو من وراء علم النفس يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية.

يقول فرويد: (إن الرضيع يجد لذة في الرضاعة تحمل في ثناياها الرغبة في ثدي الأم، إذ يصبح الثدي أول موضوع للغريزة الجنسية).

إن فرويد شخصية منحرفة عدوانية بطبيعة تكونه النفسي والتربوي، فقد أرضعته أسرته من لبن البغض والكراهية التي كانت تقع لليهود من مواقف وضغوط نفسية واجتماعية شديدة في أزمان احتقار اليهود واضطهادهم من النصارى والألمان، فنمت في شخصيته عدوانية بغيضة لدرجة أنه تبنى الشواذ وعمل على نشر اتجاهاتهم وسلوكهم انتقاماً وتشفياً من المجتمعات التي أذلت اليهود، وتمهيداً لسيطرة اليهود على الجماهير الحيوانية[1].

لقد أكد بعض الكتاب الغربيين أن فرويد لم يكن شخصية سوية بل معقدة.

الزنا

قد يقع المراهق في حمأة الزنا تحت ضغط فاعلية الدافع الجنسي النامي المتدفق بالحيوية والنشاط في هذه المرحلة، وضغط الأوضاع الأخلاقية والاجتماعية التي انحرفت عن السلوك الإسلامي الصحيح في علاقات الفتى بالفتاة، وخروجها على الآداب الشرعية التي شرعها الله تعالى

---

(١) دراسات نفسية وتأملات قرآنية ص ٦٧ ــ ٧٣.

لتحافظ على حيوية النشاط الجنسي في كيان المراهقين والشباب دون أن يتعرض إلى عوامل الإثارة الكاذبة التي قد تدفع إلى الشر في غياب الرقابة الأسرية على خلوات المراهقين والمراهقات وخروجهم المتكرر بالليل والنهار للنزهة أو قضاء أوقات الفراغ في الملاهي ودور السينما، فقد تثمر اللقاءات المتكررة تورط المراهق والمراهقة في حمأة الزنا[1].

لقد حرّم الإسلام الزنا، وشدد النكر عليه وعلى من يفعله سواء كان مراهقاً أو فتاة أو كبيراً أو شيخاً هرماً، وحتم على المجتمع عدم التهاون في شأن الزاني والزانية بإقامة الحد عليهما ومنع أن تأخذهم بهما رأفة في دين الله أو رحمة، وجعل ذلك ديناً وعقيدة مرتبطة بوجود الإيمان أو ضعفه.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢٠]، فالزنا إمضاء للعامل الفطري (الجنس) ولكنه إمضاء فوضوي غير هادف يرمي فاعله شاباً كان أو فتاة إلى تحصيل الشهوة الجنسية الجسدية لذاتها، لا يهتم فيها على المحافظة على سلامة المجتمع وصون أعراضه، كما لا يفكر في إنشاء أسرة وإقامة حياة مشتركة تقوم فيها الأبوة بجانب الأمومة لرعاية النسل، وهذا الانحراف بالدافع الجنسي له تأثيره السلبي على سلوك المراهقة النفسي والاجتماعي بعد اكتمال النضج والتأهل للزواج، حيث تهتز الثقة بالجنس الآخر، وعادة لا يرتبط الشاب بالفتاة التي تورط معها في السلوك المنحرف لانعدام ثقته فيها، وسقوطها في نفسه على الرغم مما قد يظهره في بداية العلاقة والصحبة من مودة وتجاذب وحب.

ولا يرجع تحريم الإسلام للزنا إلى أنه يستقذر الدافع الجنسي

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٥٦.

أو ينكره، أو أن رسالته تقوم إلى إضعافه والتخلص منه، أو أنه يعتبره رجساً من عمل الشيطان، بل حرمه الله سبحانه وتعالى لما يترتب عليه من مضار عمرانية ونفسية واجتماعية ربطها الله تعالى بالعامل الفطري، وخلق الإنسانية مزودة به، ولقد حرص الإسلام على تلبيته مع ملائمة ظروفه، ومنع إضعافه والتخلص منه بالاختصاء[1].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ليس لنا نساء، فقلنا: يا رسول الله، ألا نستخصي؟ فقال: لا، ونهانا عن ذلك»[2].

وقد نظر الفضل بن العباس إلى فتاة، وهي تسأل النبـي ﷺ عن أمور دينها، وكان الفضل قد قارب البلوغ، فطفق ينظر إليها، فأخذ النبـي ﷺ بذقن الفضل فحوَّل وجهه عن النظر إليها، فقال له العباس: لويت عنق ابن عمك ، فقال عليه الصلاة والسلام: «رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة»[3].

لقد بين رسول الله ﷺ أن من يرتكس في حمأة الزنا تتلبد إحساساته ومشاعره عما يثمره الإيمان في القلوب من مشاعر الغيرة على أعراض المؤمنين فينسلخ من جماعتهم.

إن هذه الانحرافات الغريزية الجنسية يُعنى الإسلام بعلاجها قبل أن يتفاقم خطرها فيتهدد الأمن النفسي للمراهقة فينحرف سلوكها الاجتماعي، ويكون ذلك بإعلاء الدافع الجنسي والعمل على إبدال الاتجاهات الجنسية المنحرفة للمراهقة.

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٥٧ .
(٢) فتح الباري، كتاب النكاح ٩/ ١١٦ .
(٣) فتح الباري على صحيح البخاري ٤/ ٦٧ .

إن النظر إلى مفاتن المرأة وزينتها ومواضعها لمن أقوى العوامل المثيرة للدافع الجنسي، وخاصة إذا تتابع النظر إلى مواضع الفتنة كما وجدنا في الحديث السابق.

الأمراض العضوية والجنسية الناشئة عن الزنا:

لقد أثبتت الأبحاث الطبيعة وتقريرات منظمة الصحة الدولية أن الانتشار السريع للأمراض التناسلية والعضوية ترجع في أصل نشأتها إلى الممارسة الجنسية غير المشروعة (الزنا ـ اللواط ـ السحاق)، منها الالتهاب الرئوي بسبب من فقدان المناعة ـ وحالات سرطان نادرة تسمى (سرطان كابوس)[١]، وقد عجزت جميع الوسائل الطبية عن السيطرة عليها والوقاية منها ما دام السبب المباشر لها في المجتمعات المنحلة التي انغمست في حمأة الجنس إلى درك الحيوانية.

وهناك أمراض كثيرة: الزهري ـ السيلان ـ الأورام الخبيثة اللمفاوية ـ الإصابات الفطرية للجهاز التناسلي ـ الالتهاب الكبدي الوبائي ـ الجرب للجهاز التناسلي ـ العقبول ـ التعقيبة)، وهي تسميات طبية من أراد التوسع فيها فعليه بالكتب الطبية التي تشرح هذه الأمراض.

وتعتبر هذه المجموعة من الأمراض من أكثر الأمراض المعدية انتشاراً في العالم، وهي تحتل المركز الثاني بعد مرض نزلات البرد طبقاً لمصادر منظمة الصحة العالمية، وقد أعلنت المنظمة مؤخراً أن هذه الأمراض وصلت إلى حد الوباء، وصارت وسائل مكافحتها ليست بالشيء الهين[٢].

* * *

---

(١) اسم مكتشف هذا النوع من السرطان.

(٢) المجلة الطبية السعودية ص ٢٧، بهاء الدين حلمي، عدد ٣٥ شعبان ١٤٠٣هـ.

المطلب الرابع
المراهقة والزواج المبكر

إن المراهقة تنمو بسرعة في جميع الأبعاد النمائية، وأن سرعة الفتاة بالنمو أكثر من الفتى لاستعدادها للزواج قبل الشاب، ويظل النمو حتى تظهر علامات النضج واكتماله جسمياً وعقلياً واجتماعياً، ولهذا تختلف هذه العملية من فرد لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن جنس لآخر، والعبرة باكتمال النضج وليس بالعمر الزمني الذي حدده العلماء للشاب والفتاة[1].

وعلى ذلك فالمراهقة من حين ظهور دم الحيض تنمو في تتابع مستمر طوال هذه المرحلة، فهي بذلك غير ناضجة جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً، والزواج مسؤولية وولاية على الأسرة تنشأ عادة بالزواج، ويجمع العلماء على أن المراهقة في هذه الفترة تشتد حاجتها إلى الرعاية والعناية التامة والتوجيه والإرشاد عن حاجتها إلى الرعاية في كل مراحل حياتها الأخرى، كما أن المراهقة سريعة التقلب سريعة الانفعال، وهذه المظاهر من أقوى العوامل التي تحطم الأسرة، ومن الطبيعي أن من يحتاج إلى العناية والتربية يعجز عن تربية غيره وتوجيهه، وعلى ذلك فالمراهق غير مؤهل للزواج طوال هذه المرحلة حتى يتضح نضجه ويكتمل، وإن استطاعت الأسرة أن توفر له مطالب المعيشة الكاملة.

وهذه مقاييس الرجل العادي الذي يستطيع أن يكيف نفسه مع المجتمع، وهي كذلك مقاييس المرأة:

(أ) القدرة على الإنجاب والإنسال.

(ب) وهذه تخص الشاب: القدرة على إعالة نفسه وأسرته بكده وعمله.

---

(١) رعاية المراهقين ص ١١٥.

(ج) القدرة على التعاون بروية وحكمة مع غيره من الرجال أو مع غيرها من النساء.

(د) القدرة على تحمل أعباء البيت ومسؤوليته في النواحي الاجتماعية والعقلية والثقافية والدينية للمجتمع الذي يعيش فيه، وتلك أمور تتطلب درجة عالية من النضج، وهي درجة قد لا يصل إليها بعض المتقدمين في السن[1].

إن حياة المراهقة في المنطقة العربية بأسرها لا تتوفر لها هذه القدرات طوال هذه المرحلة، ولا جدال في أن معاناة المراهقين الشباب والفتيات من ثورة الدافع الجنسي تعالج بمراحل التربية الإسلامية من الصوم الذي له فيه وجاء وستر، والرياضة والسباحة والقراءة، واللجوء إلى مدارس لتحفيظ القرآن، وسيرة الرسول ﷺ وتعلم الفقه، والآداب الإسلامية وحياة الصحابيات والصحابة رضوان الله عليهم حتى نستطيع أن نسيطر على هذه الرغبة وتصرفها في محبة الله تعالى والعمل في نشاطات جماعية من إغاثة الغرقى والمرضى، وعندما تتيسر أسباب الزواج تكون المعاناة التي تدفع إلى المشاكل قد حلت بمنهج التربية الإسلامية.

أهم العوامل التي تؤدي إلى المعاناة:

١ ــ خروج المرأة في زينتها وعدم التزامها في معاملاتها بالخلق والأدب الإسلامي.

٢ ــ الاختلاط في التعليم الإعدادي والثانوي والجامعي.

٣ ــ انحراف كثير من وسائل الإعلام حيث تنشر الروايات الغرامية والصور العارية والأفلام والمسلسلات.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٥.

٤ ـ اشتمال بعض المؤلفات التعليمية في الجامعة على بعض الروايات الغرامية الهابطة المثيرة وعرضها على أنها مثال الخصائص المراهقة.

إن المعالجة الصحيحة يجب أن تنحصر أولاً في العمل على إزالة هذه المثيرات ذات التأثير الخطير في السلوك الإنساني والاجتماعي للمراهق الشاب والفتاة ليعيشا في هدوء وأمن نفسي واجتماعي.

٥ ـ تنفيذ الحد الشرعي في جرائم الزنا واللواط، وفي كل الجرائم الشرعية الحدودية، فإن الزنا في حد ذاته جريمة تتعلق به حقوق كثيرة أقواها وأولها حق الله تعالى، فلا مسوغ لأحد أن يعفو فيه أو أن يشفع[١].



(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٤٦١.

الفصل الثاني

الانحرافات الاقتصادية عند المراهقة:
السرقة: دوافعها، والانحرافات التي ترافقها، وطرق علاجها

غالباً ما ينهار المراهق والمراهقة بسبب عدم سيطرتهم على أهوائهم ورغباتهم، فيلجأون إلى الانحراف من أجل إرضاء شهواتهم التي لا تخضع للعقل والأخلاق، ولذا تبدر منهم تصرفات عجولة بعيدة عن المنطق، يحاولون من خلالها الدخول في عالم الكبار، مما يسبب لهم ذلك الوقوع في الانحرافات والمعاصي، لذلك يجب على الآباء والأمهات أن يقدموا لهم تصورات واضحة عن السعادة لا مبالغة فيها، وعن الحياة وتبدلاتها، ومقوماتها، وما هي الأسباب التي تحرمهم منها وتؤدي بهم إلى البأس والشقاء.

* * *

المطلب الأول
السرقة ودوافعها وطرق الوقاية منها

تمهيد:

إن من المشاكل التي نواجهها عند المراهقين والشباب هي سرقتهم

لأموال وممتلكات غيرهم، ويلاحظ أن الفتى هو الذي يستخدم الأقفال والمفاتيح، أما الفتاة فتسرق من داخل المنازل، وقد تكون شريكة للفتى في أن تخفي له المسروقات.

وتتفاوت السرقات بين مجتمع وآخر، فبينما نجد أن ٨٠ ٪ من الشباب والناشئة في أوروبا دون الثامنة عشر من العمر يرتكبون السرقات، لا تصدق هذه الإحصائيات على مجتمعنا[١] بسبب الوازع الديني ومعرفة الأهل أن السرقة عمل حرام، فلذلك يربون أبناءهم وبناتهم على هذا الواقع وهذه المبادىء، والنسبة قليلة لمن يشذ عن هذه القاعدة، علماً أنه كلما خفت التربية الدينية والخوف من الله تعالى في قلوب المراهقين والمراهقات كلما زادت نسبة السرقة والجنايات والمشكلات الأخرى.

ومما يلاحظ أن أغلب السرقات التي يرتكبها المراهقون لا تتعدى الأشياء الرخيصة، منهم يسرقون بعض الأشياء والحاجيات التي بإمكانهم أن يشرَونها بسهولة، وذلك من خلال المبلغ الذي يستلموه من آبائهم.

كما يلاحظ أن سرقة السيارات تتم من قبل المراهقين الذكور لا لبيعها، وإنما لاستخدامها للنزهة مع بعض الأصدقاء والصديقات، أما سرقة السيارات لاستخدامها في السرقات وتسهيل البضاعة فهذه تدخل في الجريمة المنظمة.

ما هي دوافع السرقة؟

إن أهم الدوافع التي تؤدي بالمراهق والشاب إلى السرقة هي:

١ ــ الدافع المادي، فهم يسرقون ليشتروا الحَلْوَيات التي يشتهونها، أو ليقضوا بأموال السرقة وقتهم بالنزهة والسفر مع الأصدقاء.

---

(١) تربية الشباب ص ٢١٨.

٢ ـــ في بعض الأحيان يقدمون على السرقة بدافع الأنانية المفرطة وحب الذات وليثبتوا لأصدقائهم شجاعتهم وأنهم أشخاص محترمين ومهمِّين، فيبيعون الحاجات التي سرقوها ليقيموا بأموالها مائدة يدعون إليها أصدقاءهم، وهذه تخص الذكور أكثر مما تخص البنات، أما الفتاة فتسرق لأنها تستحب ذلك العقد أو تلك الإسورة أو ذلك الخاتم.

٣ ـــ أحياناً تسرق المراهقة لوجود عقدة في شخصيتها، ولتنتقم من الآخرين، فتسرق أموالهم أو أشياءهم، كأن تسرق من والدها أو والدتها أو أخواتها لتنتقم منهم لأنهم لا يحترمونها ولا يهتمون بها.

٤ ـــ تسرق المراهقة أحياناً لتثبت قوة شخصيتها، ولكي تثبت للآخرين شجاعتها، وأحياناً تجرب نفسها في القدرة على إيهام الغير واستغفاله.

٥ ـــ أحياناً يسرق الشاب أو الفتاة ليوفرا لنفسيهما ثمن المخدِّرات التي اعتادا على تناولها، لأن الأموال التي يحصلان عليها من الوالدين لا تكفيهما لشرائها.

٦ ـــ في بعض المواقع تكون السرقة مجرد عادة اعتاد عليها الشاب دونما هدف أو غرض منها، كأن يريد أن يتخلص من رتابة حياته، إنه تسلية يتسلى بها.

٧ ـــ تشير الإحصائيات أن أغلب السرقات التي يُقدم عليها المراهقون والشباب هي من أجل تحقيق الآمال والأماني البعيدة الأمد[١].

عصابات السرقة:

إن من الخطورات الكبيرة التي تعتري حياة الشباب هي انتماؤهم إلى

---

(١) تربية الشباب ص ٢١٩.

عصابات السرقة أو الجرائم الأخرى، خصوصاً تلك العصابات التي تتسم بالطابع السياسي إضافة إلى السرقة، إذ أن ذوي المقاصد السياسية المشبوهة يوظفون المراهقين والأحداث لصالح أهدافهم الدنيئة ويستثمرون طاقاتهم وقواهم لنفس الغرض، مستغلين طيبة وبساطة الناشئة والأحداث، وحفظهم للأسرار. إن أغلب هذه العصابات تضم ٣٠ ـ ٤٠ مراهق ومراهقة تتراوح أعمارهم بين ١٣ ـ ١٩ سنة، ولا تشارك فئة البنات في هذه العصابات، ولكن عندما يكون صديق إحدى الفتيات عضواً في عصابات السرقة فقد تضطر إلى حفظ الأشياء المسروقة وإخفائها[١].

إن أكثر هؤلاء السارقين عاشوا في محيط يعج بالانحطاط والسقوط الأخلاقي، صارعوا فيه المشاكل والصعوبات دون أن يتوصلوا إلى حلّ مناسب، والقسم الآخر يعانون من الاضطراب والإحساس بعدم الأمن والأمان. ولذا يلجأون إلى انتخاب أقصر الطرق، غير مبالين بكونها منحرفة هادفين إلى جمع أكثر حد ممكن من الأموال[٢].

* * *

المطلب الثاني
طرق الوقاية الإسلامية

١ ـ إن الأبوين اللذين يعطيان قيمة كبيرة للأمانة الشخصية، ولاحترام ممتلكات الغير، واللذين يهتمان بالخير العام بدل الكسب الشخصي ويعيان هذه القيم، ويطبقانها على حياتهما اليومية يقلّ احتمال أن يكون لدى أولادهما المراهقين مشكلة سرقة[٣].

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البيوع، فضل الأمانة (١٢٦٤).

فالرسول ﷺ يقول: «أدِ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[1].

والقرآن يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، ويقول ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً خيراً من كسب يده»[2].

ويجب أن يحذِّرهما الأبوان من ضرر السرقة وحكمها في القرآن الكريم: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، وإذا كانت هذه الأحكام لا تطبق في مجتمعنا الحاضر فلا يعني ذلك أن عقابه انتهى بل سيبقى العقاب الأخروي أشد نكالاً.

٢ ـ أن يتوفر للمراهق علاقة حميمة داخل البيت، وليعمل الوالدان على تطوير هذه العلاقة ودفئها، لأنك بهذه الطريقة سوف تزيد حرصه على إرضائك والتوحد مع قيمك الخاصة.

٣ ـ على الوالدين أن يأمِّنا للمراهق والمراهقة مصروفاً منتظماً لشراء الأشياء التي يحتاجها، ويكون هذا المصروف محدداً.

٤ ـ إن الإشراف المباشر على المراهق والمراهقة في طريقة صرفهما لمصروفهما، وكيفية شرائهما والتنبيه على اللازم منها وغير اللازم بطريقة الفهم والإدراك، ومساعدتهما في معرفة الأفضل لهما.

٥ ـ إن متابعة النشاطات اليومية للمراهقة لن تتيح الفرصة لعادة السرقة لكي تتطور كثيراً قبل أن يكتشف وجودها، وكلما تم اكتشاف عادة السرقة عند المراهق في وقت أبكر كلما كان ذلك أفضل.

٦ ـ يجب أن يحدد الوالدان بوضوح تام حدود الملكية داخل البيت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، فضل الكسب (١٩٦٦).

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها بتصرف ص ٤٤٦.

وخارجه، فلا تسمح الأم لطفلتها بالبعث في حقيبتها أو أخذ أي شيء دون معرفتها ودون أن يُطلب منها ذلك، وإن حفظ حقوق وملكيات الغير بإرجاع المستعار بصورته التي أخذ منها، أو إرجاع قيمته إذا تلف مع الاعتذار الشديد.

٧ - يجب على الوالدين أن يبعدا المغريات التي تفتح باباً للشيطان أمام المراهق حتى يكتسب عادة عدم مدّ اليد، ثم بعد ذلك تترك الأموال دون أن يمدّ يده[١].

* * *

المطلب الثالث

انحرافات ترافق السرقة

ترافق عملية السرقة صفات سيئة وانحرافات أخرى كالكذب والخداع، والخشونة في السلوك والتهجم على الآخرين، وتشير كلها إلى الوضع النفسي والفكري المتردي عند الشباب.

كما أن إعطاءهم الأموال من قبل الوالدين، بإمكانه هو الآخر أن يكون عاملاً مساعداً لارتكاب الجرائم أو تشجيعهم على المضي في طريق الانحراف، خاصة إذا كان العطاء بدون حدود ودون مراقبة، إذ من المحتمل أن يبذِّروا هذه الأموال في إرضاء شهواتهم ورغباتهم كشراء السجائر والاعتياد على المواد المخدرة، أو صرف هذه الأموال في إحكام سيطرتهم على الآخرين وإبراز تفوقهم على أقرانهم.

صحيح أن الشباب والبنات أحرار في صرف أموالهم التي يحصلون عليها من آبائهم في حاجياتهم، ولكن من الضروري جداً أن تتم مراقبتهم

(١) تربية الشباب ص ٢٢٢.

بشكل غير مباشر للاطلاع على الكيفية التي صرفوا الأموال فيها[1].

مشكلة الفقر والثراء:

إن فقر الوالدين والعائلة تجعل الشاب يضطر إلى السرقة، ولكن من موارد أخرى، كما أن ثراء الوالدين يترك أثراً سيئاً على أبنائهم قد يلازمه هذا الأثر إلى مراحل أخرى من العمر.

إن الأبناء الذين ترعرعوا في بيئة ثرية يعانون من عدم الانسجام مع أترابهم لأنهم يتعالون عليهم ويحاولون جعلهم تحت سيطرتهم وفي خدمتهم من أجل أموالهم، فالفقر والثراء يؤديان إلى وجود مشاكل في المراهقين وبين من هم في نفس العمر من المراهقين.

إن انقطاع الأموال عند أبناء المترفين والأثرياء تعد لهم مشكلة كبيرة، كما أن وجودها يسبب بدوره مشاكل أخرى كحب التسلط على أقرانهم والتكبر عليهم، وأحياناً يسبب الثراء تأثيراً سلبياً على الفتاة والشاب المراهقين، كأن يصيروا أفراداً غارقين في شهواتهم وكسالى وعاطلين عن العمل، وهذه العوارض تجعلهم غير منسجمين اجتماعياً مع الآخرين، كما أن للصحبة السيئة تأثير في الانحرافات تلك إذ يشجع المنحرف الآخرين على اتباع سلوكه ويحسن لهم الطريق، وهذا ما تراه دائماً في عادة التدخين وشرب الكحول إذ يبدءان بالصحبة السيئة.

كما أن العطالة عن العمل للمراهق والمراهقة سيخلق فراغاً لديه رهيباً يستبدله إما بالجنوح، أو بالعادة السرية، أو بغير ذلك من أنواع المشكلات الرهيبة التي تدمر المجتمع والأمة.



---

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٣، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٨٩، ٩٠.

الفصل الثالث
الانحراف الاجتماعي

إن الخطر الأساسي الذي يهدد المراهقين هو الشهوة الجنسية، إذ تأخذ منهم الكثير من أوقاتهم وتحصر جلّ اهتماماتهم بها، ولذا نراهم يولون أهمية كبيرة بترتيب وتجميل مظهرهم والاهتمام بملابسهم وتسريحة شعرهم، ويعتنون أيضاً باستلام مركز اجتماعي هام، وأن يتفوقوا على الآخرين، أو أن يجمعوا أكثر حدّ ممكن من الأموال، ثم إن إحساساتهم جد مرهفة، ولهم سلوك غير منسجم مع المجتمع.

ومن المسائل الأخرى المهمة في هذا المقطع الزمني الحساس هو نسبة الإجرام العالية التي يرتكبها المراهقون والشباب، إن نسبة الجرائم التي يرتكبونها تشير إلى كثرة الاضطرابات التي تسيطر عليهم[1].

* * *

المطلب الأول
الجرائم والاعتداء على الآخرين

نعرف أن المراهق والشباب ينظر إلى آفاق جديدة، تنمو فيها الأحلام

---

(١) التربية والشباب ص ٢٢٦.

والـرؤى والأوهـام والتخيـلات وتمنحـه اللـذة والسعـادة المـؤقتـة، ومصـدر الجرائم هي الأوهام التي تسيطر على ذهنياتهم، وأحياناً يكون سبب ارتكابهم للجرائم هو محاولاتهم لتقليد والديهم في تصرفاتهم أو تقليد الأشخاص الذين يعجبون بهم، والمعروف أن الاعتداء والجرائم هو من اختصاص الشباب لا الفتيات، وجرائم الفتيات تختلف من تحريق إلى تسميـم أو غيـر ذلـك، أمـا الاعتـداء بـالأدوات الحـادة فنـادراً مـا تلجـأ إليـه المراهقة، وفي النساء البالغات يكون الاعتداء بالأدوات الحادة نتيجة لضغط رهيب يقع عليها لا تجد له منفذاً أو مهرباً.

إن الدراسات والبحوث تشير إلى أننا حين نتابع سوابق الجانحين سنصل إلى نتيجة مفادها هو أن الجنوح يبدأ منذ فترة الطفولة المبكرة في حدود السن الثامنة بالاعتداء على الزملاء أو عضهم أو ضربهم بالحجر أو تمزيق ملابسهم، وقد يكون بالاقتداء بالنماذج السيئة[1].

تحديد أنواع الجرائم:

إن نـوع الجـرائـم التـي يـرتكبهـا المـراهـق والفتـاة إن وجـدت تحـدده الظروف المحيطة بهم، ففي فترات الحروب تزداد الجرائم المرتبطة بالمواد المخدرة كتوزيعها بين الشباب، وكذلك السرقات والاعتياد ونهب البيوت، أما في فترات الاختناق والضغوط في محيط العائلة أو المدرسة فنلاحظ أن المراهقين يلجأون إلى السرقة والهروب من البيت أو المدرسة، أو اللجوء إلى العنف أو العزلة.

ويعتبر التسكع من الجرائم الاجتماعية، خاصة إذا ترافق بكلمات مبتذلة أو الاعتداء على الآخرين، أو السرقة، أو عدم احترام الكبار، وأحياناً

(١) المصدر السابق ص ٢٢٧.

تشمل هذه الظاهرة بعض الفتيات أيضاً، وقد تم شرحه فلا موجب للإعادة.

أصناف مرتكبي الشرور:

إن افتعال المشاكل والشرور ظاهرة متفشية بين الفتيات والشباب، وتكثر عند ثلاثة أصناف منهم:

(أ) أولئك الذين لا زالوا يعانون من عقد شتى لم يحلها لهم أحد.

(ب) أولئك الذين كانوا منذ بداية فترة المراهقة فاسدين، لا يعيرون أهمية للقيم الأخلاقية وليس عندهم مبالاة تجاه الأمور.

(ج) أولئك الذين يعيشون اضطرابات نفسية لم يتخلصوا منها، سواء كانت ناشئة لأسباب جسمية أو أسباب روحية.

إن الشرور إضافة إلى المخاطر التي تسببها للمراهقين والشباب من حبس أو ضرب أو تشويه، فإنها تشمل الآخرين أيضاً.

* * *

المطلب الثاني
الجرائم وأنواعها

حينما تتجذر العقد والأحقاد وتتكرر الانحرافات فإنهم يلجأون إلى ارتكاب الجرائم والتي قد تبرز على شكل جرح الآخرين، أو حتى القتل.

والذي يلفت النظر أن أغلب هذه الجرائم لا ترتكب من أجل الوصول إلى أهداف أو غايات معينة، بل بسبب الجهل بعواقب الأمور، كأن لا يشعر المجرم أن السكين الحادة التي يستخدمها في ضرب الآخرين قد تودي بحياتهم، أو لكونه خضع لتأثيرات أصدقاء السوء الذين شجعوه على ارتكاب الجريمة.

إن المجرمين المحترفين يسعون إلى توريط غيرهم من الناشئة

والشباب في جرائمهم فيشجعونهم على ضرب بل وحتى قتل الآخرين، والمذهل في الأمر أن محترفي الجرائم يربون بعض الأحداث ويصرفون عليهم الأموال كي يستغلونهم في الوقت المناسب، ولا يكشفون عن وجههم البشع أمامهم كي لا تنكشف مخططاتهم وأهدافهم المشؤومة[1].

ثم إن نوع الجرائم التي يرتكبها المراهق الشاب تحدده الظروف المحيطة به، والشباب لقلة تجاربهم، وصغر أعمارهم يقعون في أخطاء، ويقومون بجنايات غير مقصودة، فمثلاً يوجهون ضربة خطرة إلى زملائهم أثناء المزاح قد تؤدي إلى الوفاة، أو إلى الإصابة بعاهة، والجهل وقلة الاحتياط وعدم التفكير بالعواقب توفر ظروف الأخطاء الكبيرة، وتفسح المجال للمفاسد العديدة، إذ يرى الشاب نفسه فجأة في أحضان الجريمة وتستعصي عليه سبل النجاة، ومما يلاحظ أن الذين ينتمون إلى العصابات فيهم مقدار كبير من الغفلة، ولو اطعلوا بدقة على واقع جناياتهم لأصيبوا بالرعب منها[2].

التجمعات والعصابات:

وهذه أيضاً تحض الذكور دون الفتيات، لأن الفتيات يعمدن إلى تشكيل شلل من الأخريات ينقلن الأخبار ويستهزئن ويوقعن المكائد.

وتبدأ الخطورة حينما يبدأ الشباب بممارسة أفعالهم بصورة جماعية، أو بشكل عصابات، وهذه الطريقة محببة إلى نفوسهم إذ يرون ارتباطهم الشديد بأصدقائهم والعلاقة المتينة غير القابلة للانفصال.

وهؤلاء لا يقيمون علاقاتهم بسرعة بل يحتفظون بقواعد خاصة عند

---

(١) تربية الشباب ص ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣١.

انتخاب الصديق أو العضو، والأساس في العلاقة هو التعاون والتعاضد على الشر، ولو أنهم صرفوه في الخير لكان أجدى وأنفع لهم، كما أن العلاقة بينهم الخضوع للرئيس وطاعته طاعة عمياء.

وحتى في السجن نلاحظ عدم انفصام الروابط، والإصرار على مواصلتها، فكثيراً ما يتم الانتفاع من هذه التشكيلات وتحويل بعضها إلى عصابات للسرقة، والحياة الجماعية تتيح لهؤلاء فرصة الإقدام على جرائم وجنايات لأنهم ينزعون رداء الحياء مع بعضهم، فيتمكنون من القيام بأعمالهم المنكرة بكل حرية، فالسجن مدرسة تعلمهم الجريمة[1].

أما بالنسبة للجنح، فإننا نصادف بعض الجانحين ممن ليس فيهم أي عناصر إجرامية، وليس هناك نسبة محددة حول انتماء الجانحين إلى أي صنف من أصناف العصابات، أما الجنح فلها أسبابها نذكر منها:

١ ـ لم تتح لهم فرصة تعلم سبل الحياة السليمة في البيت والمدرسة.

٢ ـ إن الأب والأم من القساة، فيهيأون لأبنائهم فرص الانحراف نحو الجريمة من خلال سوء المعاملة.

٣ ـ النشأة في أجواء متشجنة يسود فيها النزاع.

٤ ـ بعضهم يمتاز بسلوك عدائي للمجتمع وأخلاقه منحرفة.

٥ ـ كما أن بعضهم من أفراد العائلات المرفهة الذين يرتكبون الجرائم بسبب تقليد الآخرين، أو لإشباع رغبات غير متوازنة، وقد يكون الفقر عامل لارتكاب الجنح.

---

(١) تربية الشباب ص ٣٣٢.

٦ ـ إلاَّ أن أغلب الجانحين يرتكبون الجنح صدفة نتيجة لظروف معينة وانفعالات تقودهم إلى ارتكاب الجنح ثم يندمون على ذلك.

٧ ـ بالنسبة للفتيات فإنهن قلما يقدمن على جنحة لأسباب تتعلق بوصفهن الروحي والفكري والنفسي بالإضافة إلى الامتلاء الداخلي للفتاة، وطبيعة وضعها الجنسي والحياء الكثير الذي يسيطر على حياتها[١].

ويمكن أن نرجع العوامل التي تؤثر في زيادة الجريمة إلى ما يلي:

١ ـ **العوامل الاجتماعية**: كالمحيط العائلي، والتقليد، والجو العاطفي ـ الطلاق والهجر، الخلافات والشجار، التقريع واللوم والبطالة.

٢ ـ **العوامل الثقافية**: مثل أساليب التفكير، والرؤية الكلية للكون والحياة، والفنون غير السليمة كالسينما والمطبوعات المبتذلة.

٣ ـ **العوامل الاقتصادية**: كالفقر والحرمان وعدم توفر الضرورات، الإحساس بفقدان الاحترام.

٤ ـ **العوامل السياسية**: كالحرب والاضطرابات، وعدم الاهتمام بالقانون، والقساوة وعدم مراعاة العدالة.

٥ ـ **العوامل الفردية**: الجانب العقلاني، الظروف العاطفية، الإحساس بالحقارة والحقد، والمَلل والفراغ. هذه العوامل لا بد من ضبطها والسيطرة عليها[٢].

العلاج الإسلامي

إن السلوك الأخلاقي السيِّء يمكن تحويله إلى سلوك حسن، وذلك

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٢.

(٢) تربية الشباب ص ٢٣٣.

عن طريق مروره بمرحلتين رئيسيتين يستقيم فيها سلوك الفرد على السلوك الحسن، وهاتان المرحلتان هما:

(أ) الترك (التخلية).

(ب) التحلية: وهي بناء سلوك حسن بعد ترك السلوك السيِّء.

ولا بد من مبادىء هامة يجب العمل على تحقيقها لضمان استمرار وجود السلوك الحسن، ولضمان عدم الانتكاس من جديد إلى السلوك السيِّء:

١ ـ كراهية السلوك السيِّء: فإذا كان الأمر يتصل بالسرقة مثلاً فعلى المربي جمع الآيات والأحاديث وأقوال العلماء التي تثير انفعال المراهقة تجاه هذا السلوك، ويظهر قبحها ومدى فسادها وضررها على المجتمع وعلى الفرد ودينه وخلقه، للتنفير من هذا السلوك، وتهيئة نفس المراهقة لمرحلة وجدانية تالية ترقى بها درجة نحو تعديل السلوك.

وعلى المربي مدرساً كان أو أباً، أو داعية إلى الله، أن ينظر حال المراهق وما يتناسب مع حاجته، وأن لا يثقل عليه كي لا يستصعب أمر التعديل لما اعتاد عليه وألفه، وأن يشعره بأن ذاته مصونة، وأن اعتياد الأخلاق الكريمة تساهم في كمال شخصيته، وتزيد من احترامه وسط الهيئة الاجتماعية[1].

٢ ـ الندم: أن يشعر بالندم لجنوحه أو جريمته لأنه ابتعد عن طاعة الله تعالى، وسلك طريق الفساد، والضلال والغيّ، فلا تزال الفرصة سانحة، والندم شعور وجداني يزيد من كراهية السلوك السيِّء والنفور فيه.

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٣٥٠.

قال تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزمن: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ ــ ٢٩].

وفي هذا اليوم العظيم لا يفيد ندم، ولا يقبل اعتذار، والعاقل من عرف ذلك فسارع بالندم قبل فوات الأوان والفرصة، وأقبل على ربه راجياً المغفرة والهداية إلى سواء الصراط، قال تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [القلم: ٢٩ ــ ٣٢]، إن الشعور بالندم بعد الوقوع في الذنب يرجى له القبول والمغفرة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، فمن عرف ربه وخاف مقامه، فتاب إليه فإن الله يفسح له أبواب رحمته وعفوه شريطة أن ينيب إليه، ويسلم وجهه له، ويتبع ما أنزله على رسوله ﷺ[1].

٣ ــ هجر المعصية: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٤٠ ــ ٤١]، وروى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[2].

وأما كيف يتم هجر المعصية فبالتدريج شيئاً فشيئاً، لأنها أيضاً تكونت بالتدريج، واستند في هذا التدرج على تحريم الخمر، إذ حرّم الله الخمر على

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٣٥١.
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر، تحريم التحاسد (١٩٨٦).

ثلاث مراحل، وهذه القاعدة هي من أسمى قواعد علم النفس، ولقد جاءت التجارب فيما بعد مؤيدة لها، ودالة على أنه لا يجوز أن تهجر العادة دفعة واحدة، ولو كانت ضارة كالخمر الذي حرمه الله في القرآن على ثلاث مراتب، إذ لو هجرها جملة واحدة وهو معتادها، لكان هذا هو السم القاتل، لأن الخمر ينفذ أثرها إلى أعماق المراكز العصبية، فتورثها حدة عنيفة، فإذا ما ترك شربها فجأة حدث اختلال واضطراب في النظام العصبي بالانتقال من حال الحدة القصوى إلى حال السكون التام، فتختل الموازين الحيوية دون أن يتأهب الجسم لهذا الاختلال، من أجل ذلك يجب أن يكون هجر العادة والإقلاع عنها مماثلاً لتكوينها، واعتناقها[1].

إن الصحابة رضوان الله عليهم يدركون أسرار لغتهم وقواعدها التي منها، ويعلمون أن المعطوف يخالف المعطوف عليه، فلهذا أدركوا أن السكر المتخذ من ثمرات النخيل والأعناب ليس من أنواع الرزق الحسن، إذ لو كان لما وقع العطف على النسق الذي جاء بالآية الكريمة، ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [النحل: ٦٧]، إن تدرج التشريع في تحريم الخمر وغيره التي حرمت على مراحل متعاقبة، لا يلزم منه أن يكون الأسلوب الأوحد لتخلص الفرد من عاداته السيئة، ذلك أن التشريع الإسلامي قد حرّم كثيراً من العادات الأخلاقية والسلوكية كفحش القول، وقطع الأرحام والإغارة والسلب والزنا، والشرك بالله تعالى دفعة واحدة، كما أن جميع القضايا الاعتقادية والألوهية والإيمان باليوم الآخر والملائكة والكتب المنزلة على جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وغير ذلك من أصول الدين لم يتم في تدرج، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ

---

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ٣٥٢، الخلق الكامل ١/ ٦١.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢].

فهذه جملة من أنواع السلوك النفسي والاجتماعي قد حرمت دفعة واحدة، وهناك كثير من أنواع السلوك النفسي والاجتماعي والأخلاقي تم تحريمها وفق هذا الأسلوب التشريعي[1]، ولهذا فإن السلوك السيِّء الذي يراد تحويله إلى سلوك حسن ينقسم إلى قسمين رئيسيين:

١ ـ عادات لها صلة بأجهزة الجسم.

٢ ـ عادات لا تؤثر في أجهزة الجسم.

فإذا كان السلوك يؤثر بأجهزة الجسم العصبية أو الفيزيولوجية يتم تخليص المراهق منها بالتدريج تحت إشراف الدعاة والأطباء المتخصصين، ذلك أن المخدرات والتدخين والخمر قد انتشرت بين المراهقين بشكل واسع، ويُحتاج إلى عناية مناسبة لتحذيرهم وحمايتهم من أضرار هذه الموبقات التي تعرض جسم المراهق للإصابات العضوية الخطرة، خاصة وأن هذه العصابات الإجرامية التي تعمل على ترويج المخدرات تتخذ من بعض المراهقين والشباب واسطة لعمليات البيع والترويج، وهذه بداية تنذر بالخطر الذي يهدد مستقبل الأمة الإسلامية، وإنه ليستوجب المواجهة الحاسمة والضرب بعنف على رؤوس الشر والفساد الذين يساعدون أعداء الأمة الإسلامية بنشرهم للفساد، وقتلهم للطاقات والاستعدادات المذخورة في مراهقي الأمة وشبابها، فهم الدعامة الأساسية لبناء نهضتها في المستقبل.

(١) الخلق الكامل ١/ ٦٥.

أما السلوك الذي لا يؤثر في أجهزة الجسم، فإن تحويلها يتم دفعة واحدة، ثم يبنى مكانه عادة حسنة بديلة[1]، ففي حادثة الإفك نهى الله عمن أذاعوه بقوله: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النور: ١٧].

٤ ـ التوبة الصادقة: يفتح الله سبحانه وتعالى أبواب التوبة أمام العصاة المسرفين الذين طال بعدهم عن الله عز وجل حتى اعتادوا فاسد السلوك وسيِّء الأخلاق، وظنوا بأنهم طردوا من رحمة الله، وأن حالهم لا يرجى له قبول، فإذا هم أمام فيض من الرحمة، وبحر من المغفرة والنعمة، تغسل فيه جميع الذنوب، فلا يبقى من ظلامها أثر في النفوس.

هذه الرحمة الواسعة التي تحتوي الذنوب والمعاصي كائنة ما كانت لا تُنال بدون الإنابة وإسلام الوجه لله تعالى، والاتباع لما أنزله تعالى على رسوله نبينا محمد ﷺ، فإن رحمة الله وإن وسعت كل شيء فلن ينالها المبطلون الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون والذين يهزؤون بالقيم والأخلاق.

إن النفس بطبيعة تكوينها تميل إلى استبدال المعصية بالطاعة، وهذا موقوف على رغبة الفرد في تحويل عاداته السيئة إلى عادات حسنة يرضى الله تعالى عنها ورسوله، فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل، وتميل إليه وإلى المقابح، فكيف لا تستلذ الحق لو رُدت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه، بل إن ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع، فإنه يضاهي الميل إلى أكل الطين، فقد يقلب على بعض الناس ذلك بالعادة، فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام

(١) المصدر السابق ١/ ٧٠.

والشراب، فإنه مقتضى طبع القلب، ذلك أنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب عن ذاته وعارض على طبعه[1].

إن الله يفرح بتوبة عبده وإقباله عليه، ورجائه لمغفرته وعفوه، وفراره من غضبه ومقته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨]، وروى الإمام مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها»[2].



(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٥١.

(٢) صحيح الإمام مسلم، كتاب التوبة، الحض عليها (٢١٠٢).

الباب الخامس

مشكلات المراهقة الجسدية
على طريق التربية

وذلك في فصلين :

الفصل الأول : مشكلات المراهقة الجسدية .

البثور وحب الشباب ـ السمنة الزائدة والنحافة الزائدة ـ النوم والاستراحة ـ القواعد الصحيحة لاستغلال الوقت .

الفصل الثاني : على طريق التربية .

أهمية الوعي والتفكير ـ دائرة المعلومات المحمدية ـ في إطار العمل ـ في جانب السلوك ـ كيفية توعيتها ـ توجيهات الوعي .

الفصل الأول
مشكلات المراهقة الجسدية

المطلب الأول
البثور وحب الشباب

يصيب حب الشباب خمسين في المائة من المراهقين ذكوراً وإناثاً، وهو يظهر في مرحلة البلوغ نتيجة للنشاط الهرموني الذي يصاحب هذه المرحلة من العمر، والذي يحدد حب الشباب وشدته في نفس الوقت ليس المعدل الهرموني أو هرمون الذكورة على وجه التحديد، ولكن الذي يحدد حدوث حب الشباب هو مدى استجابة الغدد الدهنية الموجودة في الجلد، وكذلك القنوات القرنية التي ينساب فيها إفراز هذه الغدد لتأثير النسبة الطبيعية من هرمون الذكورة، ومن المعروف أنه يوجد نسبة تكافؤ بين هرمون الذكورة وهرمون الأنوثة في كل من الجنسين، بمعنى أن لكل جنس تكافؤ هرموني بين هرمون الأندروجين وهرمون الأستروجين خاص به.

والاختلاف في هذا التكافؤ في أي من الجنسين هو العامل المساعد لظهور حب الشباب في وجود غدد دهنية عندها استجابة شديدة للتأثير الهرموني، وشرط الاستجابة الزائدة من الغدد الدهنية أساس لظهور حب الشباب، إذ أن الاختلاف في التكافؤ طفيف جداً، ولا تظهر له أية أعراض

أخرى، وحب الشباب في معظم الحالات يعتبر ظاهرة عارضة في حياة الشاب أو الشابة تختفي بعد بضع سنوات دون أن تترك آثاراً، ولكنه في حالات تعتبر قليلة النسبة قد تصبح ظاهرة مرضية تحتاج إلى الرعاية الطبية، حتى لا تخلف عنه آثار دائمة قد تؤدي إلى بعض التشويهات، وهذه الحالات هي التي يكون فيها دور للميكروبات الجلدية، ويكون دورها ظاهراً، وينتج عنها ظهور (بثرات صديدة) عميقة وأكياس دهنية غائرة.

والذي يحدد دور هذه الميكروبات هو الاستعداد الموروث في الغدد الدهنية، وإن كان هذا الاستعداد غير معروف على وجه التحديد، إلاَّ أن الاعتقاد السائد أن التركيب الكيميائي للدهون التي تفرزها هذه الغدد هي السبب الرئيسي، وعلى هذا فإن أنواع حب الشباب تختلف من شخص إلى شخص آخر حسب مدى استجابة وتفاعل الغدد الدهنية والقنوات القرنية للتأثير الهرموني[(١)].

وبمعنى آخر فإن أنواع حب الشباب المختلفة ليست في الحقيقة إلاَّ درجات مختلفة عن بعضها البعض، والعوامل التي يقال عنها أنها عوامل مسببة لحب الشباب مثل تناول الأطعمة أو الإمساك أو الحياة الخاملة، أو القلق النفسي، لكنها عوامل تؤثر على مدى شدة تفاعل الغدد الدهنية.

وبالتالي على مدى حدّة حب الشباب بمعنى أنها ليست عوامل أساسية في إحداث حب الشباب أصلاً، ومن الطبيعي أن يتجه الذهن إلى الاعتقاد بأن الزواج وما يتبعه من استقرار جنسي له تأثير شاف على حب الشباب طالما

---

(١) بناتنا ومشاكلهن الصحية، محمد رفعت ص ٢١٨، ٢١٩، مكتبة الهلال بيروت ٢٠٠٠م.

أن حب الشباب مرتبط بهرمونات الذكورة والأنوثة، ولكن هذا الربط بين النشاط الجنسي وحب الشباب لم تثبت ملاحظته وصحته، وهذا طبيعي إذ أن الحقائق العلمية الثابتة الآن أن ظهور حب الشباب لا يتوقف على زيادة أو نقص في معدلات الهرمونات، ولكن يتوقف على وجود نسبة تكافؤ معينة عند الإناث[1].

القلق النفسي والعاطفي:

لذلك فإن الزواج في حد ذاته لا يؤثر إطلاقاً على حب الشباب عند الذكور، ولكنه عند الإناث قد يكون للزواج أثر شاف في بعض حالات حب الشباب بشرط حدوث الحمل، إذ أن الحمل يكون مصحوباً بارتفاع نسبة هرمون الإستروجين وخاصة في النصف الأخير من الحمل، مما يفسر نسبة التكافؤ بين هرمون الذكورة والأنوثة في صالح إزالة حب الشباب، أما مزاولة الجنس في حد ذاتها، فإنها لا تؤثر على المعدل الهرموني عند الذكر والأنثى، وعليه فإن تحسن بعض حالات حب الشباب عقب الزواج تكون بالتأكيد لعوامل غير الزواج كعامل الزمن، لأن حب الشباب هو ظاهرة عارضة، وقد يتوافق اختفاؤها التلقائي بعد الزواج نتيجة للاستقرار النفسي، أو لنظام التغذية أو الأنشطة المختلفة.

والجدير بالذكر أن القلق والخوف يؤديان ببعض الأشخاص إلى كثرة النبش، وطبيعي أن النبش بالأظافر سينتهي بخروج كتلة من خلايا البشرة تؤدي إلى حدوث خدوش وتقرحات في الجلد، مما يسبب تشويهاً بالوجه.

وتحدث هذه الحالة عند الأشخاص الذين يعانون من قلق نفسي،

(١) بناتنا ومشاكلهن الصحية ص ٢١٩.

أو اضطرابات سيكولوجية أو عاطفية، واعتقاد البعض الخاطىء بأن زيادة إفراز دهون البشرة نتيجة لعدم ممارسة الجنس، وهذا ما يفسّره البعض خطأ لكثرة ظهور (الدمامل)[1].

الاختفـاء التلقائـي:

إن معظم حالات حب الشباب تعتبر ظاهرة عارضة وتختفي تلقائياً دون أن تترك أية آثار باقية، وذلك لكونها سطحية، وهذه الحالات يكفي فيها غسل الوجه بالماء والصابون عدة مرات يومياً، أو مسح الوجه بمحلول الملح المركز ١/ ١٢.

أما الحالات المصحوبة ببعض البثرات الصديدية فيضاف إلى العلاج مركبات الكبريت بنسب يحددها الطبيب المعالج، ولا ينبغي التعميم في العلاج، بمعنى أنه لا يوجد علاج موضعي واحد يناسب كل حالات حب الشباب التي تحتاج إلى علاج، **ولذلك ننصح بعدم اللجوء إلى المراهم (الكـريمـات) أو الإعـلانـات لعـلاج حـب الشبـاب**، فغسـل الـوجـه بـالمـاء والصابون كافياً في معظم الحالات، أما العلاج فيختلف من حالة إلى أخرى على حسب التدهن الموضعي، وشدة الالتهاب، وحسب تحمل البشرة للمركبات الكيميائية، وهذا كله يحدده الطبيب.

ومن حالات الندرة لحب الشباب قد يستلزم إعطاء المضادات الحيوية لأن هذه المواد الكيمياوية التي يصفها الطبيب في المركبات الدوائية تساعد على إعاقة نمو وتكاثر ميكروبات حب الشباب، ولذلك فهي تؤخذ بجرعات صغيرة نسبياً[2].

(١) المصدر السابق ص ٢٢٢.

(٢) بناتنا ومشاكلهن الصحية ص ٢٢٣.

العلاج بالأشعة السينية:

أما العلاج بالأشعة الليزرية، فهو يتوقف فقط على علاج تشويهات حب الشباب، وإزالة البروزات الموجودة حول الندب الناتجة عن حب الشباب، وبالتالي تصبح أقل وضوحاً، ولكن هناك الكثير من المحاذير قبل التفكير في إجراء هذه العملية منها:

١ ــ أنها تخلف بالجلد بقعاً قد تمكث عدة سنوات مسببة تشوهاً يزيد على تشويه حب الشباب، وهذه البقع تحدث بنسبة ٥٠٪ من ذوي البشرة الشقراء وحتى ٨٠٪ إلى ذوي البشرة السمراء.

٢ ــ من ناحية أخرى، فإنه ثبت أن الزمن كفيل بإزالة الكثير والكثير جدًّا من تشويهات حب الشباب دون اللجوء إلى أي علاج[١].

* * *

المطلب الثاني
مشكلة الأكل أو البدانة

من أكثر المشكلات الصحية والجسدية شيوعاً تناول كميات وأنواع من الطعام تؤدي إلى البدانة، أما قلة الأكل فأقل شيوعاً، إلاَّ أنها تظل مشكلة خطيرة، والشكل المتطرف منها هو تجويع النفس، ومن المشكلات أيضاً المنتشرة عادة تفضيل أو رفض أنواع خاصة من الطعام، وصعوبة الإرضاء، والتواني أو البطء في الأكل، ونعني بذلك سوء استخدام الوقت.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٤.

السمنة أو البدانة:

البدانة: هي وجود كميات زائدة من الشحوم في الجسم، ويعاني ثلث المراهقين من البدانة، ومن الملفت أن البدين يظل بديناً طول حياته، كما أن البدانة تسري في العائلات حسب بدانة أحد الأبوين أو كلاهما، فإن الاحتمال كبير في أن تصبح المراهقة بدينة، وهناك أسباب قاهرة توضح لماذا تجب الوقاية من البدانة بدل التعايش معها بالحِمْية، إلاَّ أن إنقاص الوزن بشكل ملحوظ ودائم ما زال وللأسف الشديد نادر الحدوث، فمعظم الأشخاص يستردون ما فقدوه من وزن، وغالباً ما يؤدي نظام الحمية القاسي الذي يتبعونه إلى إيذاء أجهزتهم الجسدية.

ومن المهم أن نلاحظ أن الذكور يختلفون عن الإناث في أنماط أوزانهم، فالذكور في بداية المراهقة يكونون نحيلي الجسم، أما الإناث ففي سن المراهقة تكتسب الأنثى عادة مزيداً من الشحوم بينما يفقد الذكور الشحوم، ولذلك يعتبر عدم البدانة بالنسبة للإناث أكثر أهمية، إذ أنهن لا يفقدن شحوم الطفولة في سن المراهقة.

كما أن المستوى الاقتصادي الاجتماعي يؤثر على نمط تطوير زيادة الوزن، فالإناث والذكور من أسر فقيرة أكثر نحولاً من أطفال الأثرياء، أما بالنسبة للإناث الفقيرات يصبحن أكثر بدانة في منتصف سن المراهقة في حين تصبح الفتيات الثريات أكثر نحافة، ويعتقد الكثيرون أن البدانة موروثة بالعوامل الجينية، إلاَّ أن الأدلة تدحض هذه الفكرة.

كما أنه من النادر أن يكون المراهقون بدينين بسبب علة في الغدد، لأن زيادة الوزن تتسبب عن أخذ كميات كبيرة من السعرات الحرارية أو قلة النشاط، وبزيادة تناول البروتينات والقليل من الدهون يمكن الحصول على غذاء أكثر توازناً دون الحصول على زيادة في الوزن، هذا وللعقاقير آثار

جانبية، وهي تؤدي إلى نقصان وقتي في الوزن ولا ينصح استعمالها مع المراهقين[1].

ومن الواضح أن البدانة هي حالة غير مستحبة في مجتمعنا، وأن المراهقين البدينين غالباً ما يتم رفضهم من قبل الرفاق، هذا فضلاً على أن حركاتهم تتصف بعدم الرشاقة وهم ليسوا رياضيين، وعرضة للحوادث والمشكلات، كما أنهم يعانون من الأمراض وغير نشيطين ولديهم صورة سيئة عن أجسامهم، ويتأثرون جداً بمثيرات الأكل الخارجية، وهم أكثر عرضة لأمراض القلب والحوادث، هذا ويزداد احتمال البدانة مع التقدم في العمر وفي حالة تدني المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

قلـة الأكـل:

من أشد المشكلات خطورة هي الإقلال من الأكل لدرجة الاقتراب من الموت، هذا الشكل المتطرف يعرف بإباء الطعام، وسيتم وضعه هنا من أجل تنبيه الآباء والأمهات إلى ضرورة توفير مساعدة متخصصة وفورية للمراهقة إذا تطورت لديها هذه الحالة، وإباء الطعام هو الرغبة الجازمة بأن يكون الشخص نحيفاً، ويكون عند الإناث أكثر انتشاراً من الذكور لرغبة المراهقة في امتلاك جسد جميل متناسق، والخصائص التي تميز إباء الطعام هو السعي وراء النحافة كتعبير عن الاستقلالية، والإنكار المخادع والمضلل للسعي وراء النحافة الذي نرى سعيره يزداد في وسائل الإعلان بشتى أنواع الترويج، والنشاط الزائد، وانشغال التفكير عن موضوع الطعام، ولا يتوافر إلاَّ القليل من الإحصائيات المتعلقة بالمراهقين شديدي النحافة الذين يضيعون الوقت دون أن يأكلوا، أو الذين يصعب إرضاؤهم فيما يتعلق بالأكل، وفيما عدا

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٣٠٠.

حالات سوء التغذية، فإن هذه المشكلات ليست مؤذية إلاَّ أنها مصدر قلق وانزعاج للأبوين، وتنمو مشكلة قلة الأكل كرد فعل للبيئة، ويمكن أن تظهر في حالة الأبوين البدينين أو النحيلين أو متوسطي النحافة[1].

الرغبة في أكل أنواع من الطعام دون غيرها:

أو أكل المأكولات غير الطبيعية كالطين والتراب والدهانات:

وأسباب هذه المشكلة كثيرة، منها: التوتر، والأمومة غير المناسبة، ونقص التغذية، والدودة التي تسبب فقر الدم، وغالباً ما يكون الأبوان غير ناضجين ومتهربين، إلى غير ذلك.

وتتضمن المعالجة: الانتقال إلى بيت جديد وبيئة جديدة، وخفض التوتر الذي يعاني منه الطفل، وزيادة التغذية بتنوُّع، ويعتبر الفحص الطبي والمتابعة ضروريان جدّاً بسبب احتمال التسمم بالمعادن وغيره، وقد بلغني أن عارضات الأزياء يعمدن إلى أكل ورق المحارم ليملأن بطونهن بالورق والمناديل عوضاً عن الطعام لتبقى أجسامهن نحيلة. (فسبحان الله عما يفعلون).

أسباب البدانة:

من الشائع أن يفوت على المراهقين وجبات الطعام، فيأكلوا وجبات خفيفة غير مغذية، مع أنهم يحتاجون إلى بروتين وكلس وسعرات حرارية، وكثيراً من الفتيات لديهن فقر دم ناتج عن نقص الحديد، والحل هو تناول كميات ملائمة من الأغذية الجيدة، إلاَّ أن للبدانة أسباب نشرحها فيما يلي:

١ ــ **الإكثار من الطعام كمصدر لإرضاء النفس:** إذ أن كثيراً من المراهقات يكثرون من الطعام لأنهم يعطيهم شعوراً نفسياً جيداً، ووضع الأشياء بالفم ومصها، كالراحة والشوكولا والسكاكر المتعارف عليها في

(١) المصدر السابق ص ٣٠٢، ٣٠٣.

المجتمعات هي الوصول إلى الراحة المبدئية عن طريق الرضاء الفمي (المص عن طريق الفم)، فالأكل يسد شعور الحرمان، وبذلك تصبح البدانة دائرة متصلة وقاسية، إلاَّ أن البدانة عادة ما تؤدي إلى تصور سلبي خاص للشخص حيث يتصف البدينون من قبل الآخرين بعدم الجاذبية، وكما تؤدي إلى شعور المراهقة بالوحدة والبؤس، وتؤدي بذلك إلى المبالغة بالأكل والإفراط فيه، فيصبح الأكل مصدراً للراحة وبديلاً للرضاء عن الحياة الحقيقية، ثم يصبح رمزاً للحب، وهذا ما تعكسه دعايات الإعلام التجارية.

ثم إن كثيراً من المراهقات يرغبن بالظهور أمام الآخرين بأنهن ناضجات، ولذلك يبدأن بالإكثار من الأكل كعلامة تدل على وصولهم لمرحلة النضج، وبذلك تشعر المراهقة بسعادة نفسية، كما أن السعادة النفسية تأتي من خلال سلوك المراهقة باعتبار أنها واحدة من جماعة، فأكل التوافه التي لا تشبع كالشوكلاته والسندويشات بين وجبات الطعام الرئيسية عادة ما يصبح رمزاً للمراهقة على أنها مقبولة من جماعة الصديقات[١].

٢ ـ البدانة كوسيلة دفاع: يمكن أن تصبح البدانة وسيلة دفاع يستعملها الشخص لرد خطر يمكن حدوثه، فالتفاعل مع الآخرين هو شيء خطر ومخيف، ولكنها تجد أن البدانة وسيلة لعدم التفاعل كون المراهقة بدينة يبرر لها عدم تفاعلها مع الآخرين، وذلك لعدم حب الآخرين لها لكونها بدينة، فتصبح البدانة شعاراً تستعملها المراهقة لتغطي على مشاكلها المتعلقة بشخصيتها، كما أن مشاكل الوحدة يمكن التغلب عليها عن طريق الأكل، فالمراهقات البدينات عادة ما يكن غير مقبولات من قبل الصديقات حيث يؤدي هذا إلى وحدتهن، ويضطررن بذلك إلى الإفراط في

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٢٢٢، شيفر وهلمان.

الأكل، كما أن بعض المراهقات يعتقدن أنهن يستحققن أن يكن بدينات كوسيلة منهن لمعاقبة أنفسهن.

٣ ــ البدانة لإرضاء الوالدين: كثيراً ما يسخط الوالدان لعدم أكل المراهقة، فتفرط في الأكل لإدخال السرور على والديها، وبذلك تتعلم الإفراط في الإكل، وللأسف فإن الوالدين يشجعان المراهقة على كثرة الأكل، كما أن تعلم الإفراط في الأكل يكون عن طريق تقليد الآباء والأمهات، وهي ظاهرة متكررة في حياتنا اليومية حيث يلعب الآباء دوراً مؤثراً في هذا المجال، فعادة ما يكون لدى الآباء والأمهات البدينون مراهقات بدينات أيضاً حيث تتبنى المراهقة نفس أسلوب حياة الآباء الأمر الذي يؤدي إلى السمنة.

٤ ــ الحركة غير الكافية: إن الكثير من المراهقات عادة يأكلن نفس كميات الطعام التي يأكلها الأصدقاء والصديقات، إلاَّ أنهن لا يقمن بأي نشاط جسدي، وبالتالي يصبحن أكثر سمنة من صديقاتهن.

إن نمط الحياة العائلي هو المؤثر الفعال في هذا الاتجاه، فكثير من العائلات لا تمشي أو تركض أو تمارس الرياضة، ويكون نشاط العائلة الوحيد فقط هو الأكل الجماعي وهو النشاط الذي يمدهن بالسعادة، وعدم القيام بالتمارين الكافية هي عادة تكتسبها المراهقة في مراحل حياتها الأولى، فتبدو كسولة وهذا سببه النزعة الصحية والظروف البيئية المحيطة بها[1].

طـرق الوقايـة:

١ ــ يجب أن ينتبه الوالدان لعدم استخدام المراهقة للأكل كوسيلة لإرضاء نفسها.

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٢٢٣.

٢ ــ **إعطاء التوازن بين الأكل والتمارين الرياضية**: لأن السمنة تحتاج إلى ريجيم طوال الحياة، فالوزن المثالي يجب أن يأتي خلال الست سنوات الأولى من حياة المراهقة ولذلك فأفضل طريق للابتعاد عن السمنة هو الابتعاد عن الأسباب التي تؤدي إليها منذ الولادة. لذلك وجب أن تكون وجبات الطعام متوازنة وغير كبيرة، ويجب أن يعرف الوالدان بأن الخضروات والفواكه والتمور واللحوم أنواع مفضلة عن الأنواع الأخرى من الأكل، كما يتجنب أكل السكريات عادة مما يؤدي إلى مرض الأسنان والسمنة الزائدة، كما يجب التحكم في نوع الأكل فيما بين الوجبات الثلاث الأساسية حيث يفضل أكل الفواكه والخضار والجبنة وغير ذلك، وكما يفضل تخفيف تناول الطعام بين وجبات الطعام الرئيسية أو الامتناع عنه كلياً[١].

٣ ــ **تطوير الشعور بالرضى والكفاية**: إذ يؤخذ الحذر من أن يكون الإفراط في الأكل هو مصدر متكرر للسعادة والرضى النفسي، فالرضا يجب أن يأتي من خلال الإنجازات والصداقات والعلاقات العائلية الوطيدة، فعن طريق نمو وتطور هذه العلاقات يمكننا التغلب على مشكلة البدانة، كما يجب أن تكون أوقات الطعام مصدراً للتفاعل الأسري السعيد وليس مصدراً للنقد والتوتر. ويجب أن يرافق عملية تطور المراهقة في إدراكاتها ومشاعرها الشعور بالكفاية من الأكل، إنه من الخطر أن نجبر المراهقة غير الجوعى على الأكل، ويجب أن تتعرف المراهقة على علامات الجوع الخاصة بها بدلاً من الأكل بسبب سماح أو موافقة الوالدين على ذلك[٢].

٤ ــ **إشراك المراهقة في عملية اختيار وتحضير الطعام**: إذ يجب أن يبدأ تعريفها بالأكل المناسب منذ السنوات الأولى، وأن تشترك في عملية

---

(١) المصدر السابق ص ٣٢٤.

(٢) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ٢٢٤.

تحضير الطعام بالطريقة المناسبة لها، كما يجب استعمال الوسائل التوضيحية من كتب ومقالات وأفلام عن الطعام، وأن تعقد الندوات والمناقشات حول كيفية الحصول على الطعام الجيد في حدود النقود المخصصة لها.

* * *

المطلب الثالث

مشكلات النوم

إن أهمية النوم المناسب للمراهقة هو أمر أساسي ليس فقط لإراحة أجهزة الجسم، ولكن لراحة المراهقة النفسية ولصالحها، وعلاوة على تأثيراتها العكسية على المراهقة، فإن اضطرابات النوم مزعجة للآباء ومثيرة لهم أيضاً، إن هذه الاضطرابات تعيق حاجات الوالدين للنوم الهادىء المريح، إن اضطرابات النوم شائعة في سن الطفولة وتهدأ عندما تكبر المراهقة، لكن إذا استمرت هذه الاضطرابات فإنها تدل على وجود قلق عاطفي خطير، وهذه الحالة تستدعي الطبيب الإرشادي المتخصص.

إن الفرق بين النوم الطبيعي والنوم المرضي هو مسألة فرق في الدرجة أكثر منه فرق في النوع، وإذا كانت المشكلة حادة فإنها تحدث على ليالي متعاقبة، وتكون المراهقة ذات استيقاظ طويل ومتكرر، وبالرغم من أن اضطرابات النوم خفيفة ومؤقتة إلاَّ أنها شائعة، أما اضطرابات النوم الحادة والدائمة فإنها دلالات مبكرة على قلق عاطفي عند المراهقة منذ البداية.

الأسـبـاب:

إن أسباب القلق في النوم عديدة منها:

القلق ــ الصراعات الداخلية في الأسرة ــ الاضطرابات الجسدية ــ

التنبه الزائد ـ الضغط والإنهاك ـ الخوف من الظلام ـ الخوف من فقدان التوازن عند الذهاب للنوم.

طـرق الوقايـة:

١ ـ **إيجاد وقت ثابت للنوم**: إن الوقت الثابت للنوم هام جدّاً من أجل الاستيقاظ المبكر، فالموعد المنتظم يسمح للمراهقة أن تكون جاهزة نسبياً للنوم في نفس الساعة كل ليلة، وهذه المواعيد يمكن تغييرها في مناسبات خاصة[1].

إن ساعة ما قبل النوم يجب أن تكون هادئة، وهي وقت للاسترخاء، وليست وقتاً لمشاهدة الأفلام المرعبة وجرائم القتل على التلفاز، أو ساعة لترتيب البيت، أو الطبخ وسماع أدوات المطبخ وهي تطرق الأسماع في وقت النوم، كما أن الاستحمام الساخن يُعد المراهقة للنوم، أو شرب كأس من اللبن.

٢ ـ **الحزم في أوقات النوم**: وهذه علة المجتمعات عندنا، فليس هناك حزم في امتثال المراهقة لأوقات النوم، مع أمرها بمغادرة الغرفة إلى غرفة النوم دون تردد وتراجع، وعلى الوالدين تجاهل الاحتجاجات لأنها سوف تزول بعد دقائق، مع التأكيد على الموعد الثابت كل ليلة للنوم، لكن مع ذلك لا بد من إعطاء المراهقة الحب اللازم حتى لا تشعر بأنها غير متأكدة من حب الوالدين.

* * *

---

(١) سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص ١٩٦.

المطلب الرابع

القواعد الصحيحة لاستغلال الوقت

إن كثيراً من المراهقات لا يستفدن من وقتهن بشكل جيد، وأكثر شكاوى الأبوين تكراراً هي أن أولادهم يضيّعون الوقت سدى، ويؤجلون أعمالهم، أو يتميزون بالكسل، وهذه المشكلات متداخلة مع بعضها البعض تحت مجموعة واحدة هي سوء استغلال الوقت.

فالتسويف والتأجيل، والكسل، وإهدار الوقت سدى يؤدي بالمراهقة إلى التأخر فيجعلها غير دقيقة في أعمالها، وتفعل الواجب عليها بدون وعي، وتجد المراهقة صعوبة في تنظيم وقتها بشكل مناسب خصوصاً في الفترة الصباحية حين الخروج للمدرسة، والملاحظ أن كلمة (بسرعة) هي الأكثر شيوعاً لدى الآباء لأولادهم وبناتهم، لذا يجب تعليم المراهقة الاستفادة من الوقت بكفاءة أعلى، وبإمكان الأبوين مساعدتها في ذلك عن طريق استخدام بعض الأساليب المقترحة.

ومع النمو تتعلم المراهقة تدريجياً مفهوم الزمن بشكل عام، ومع تسلسل الأحداث يفهمون معنى التغيير والنمو، **وغالباً ما يكون الآباء غير واعين لحقيقة أن المراهقة لا تدرك مفهوم الزمن بشكل حقيقي، وكيف تخطط له مسبقاً**، ويمكن تفادي كثير من الغضب والاستياء، إذا أدرك الأبوان الطريقة التي تدرك فيها المراهقة الزمن، لأن هذا الأمر يحتاج إلى وقت لتكون المراهقة فيها مستعدة لإدراك الزمن ولكي تسلّم واجباتها في الوقت المحدد، وتنهي أعمالها في أوقاتها الزمنية.

١ ــ صراع القوى:

ويبدو أن هناك صراعاً في هذا الأمر بين المراهقين والآباء، فكلما زاد

صراع الأبوين للإسراع كلما أظهر المراهقون تباطؤاً أكثر، لأن هذا تعبير عن رغبتهم في الاستقلالية والتحرر، فإنهم بهذه الطريقة يؤكدون أنفسهم عن طريق استخدامهم للوقت بطريقة تضعهم في موقع المسيطر على الآباء بينما تضع الآباء في موضع المحبَط العاجز. إن ردة الفعل هذه غالباً ما تظهر إذا حاول الأبوان إزعاج المراهقة، وجعل الوقت قضية خطرة عن طريق محاولاتهم التي لا تجدي لدفعها إلى العمل بينما هي تبدي كثير من المقاومة.

إن المراهقة التي تشعر بأنها مأمورة، وأنها لا تملك أية سلطة غالباً ما تسيء استغلال الوقت في الصباح كوسيلة لتأكيد قوتهم الخاصة، والغضب الناجم من الأبوين يعزز المشكلة بشكل غير مقصود، والنتيجة هي صراع قوى مستمر على الوقت تكسبه المراهقة عن طريق تباطؤها وتأخرها[1].

ويؤدي شعور المراهقة بالنجاح إلى تقوية هذا النمط السلوكي، أما إذا لم تتأخر فينتابها شعور بالفشل، وبالتالي تكون قد علقت في نمط قاسٍ من عدم الكفاءة في استخدام الوقت. إن نمط الأب المسيطر أو الشديد الاهتياج يمكن أن يؤدي إلى تفاقم هذا الشكل من صراع القوى.

٢ ـ الوقت ليس له أهمية:

إن بعض الثقافات الفرعية وبعض الأسر لا تعطي للوقت أهمية، ونتيجة لذلك تتعلم المراهقة أن للوقت قيمة قليلة، وبالتالي لا تستخدمه بشكل واقعي حذر أو منتج، فالوقت إما أن يكون مضيّعاً غير مستغل، أو مستغلاً بطريقة عشوائية، وفي مثل هذه الحالات لا يشعر الأبوان أن هناك

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها ص ٧٠، ٧١.

مشكلة حتى يبدأ الآخرون بالتذمر، والمدرسة عادة هي التي تبدأ الشكوى، من تأخر المراهقة أو تغيبها المتكرر، أو عدم تسليم واجباتها في أوقاتها، وعندئذ يدرك الأبوان الفجوة ما بين قيمة الوقت في نظرهم ومتطلبات المجتمع من المراهقة. هذا إذا أدرك الأبوان ذلك ولم يلقوا التهمة واللوم على المدرسة، أو أن يتعاملوا بشكل لا مبالٍ في مثل هذه الأمور[1].

إن المراهقة غير المعتادة على المواعيد لا تطور عادة إنشاء أنماط سلوكية منظمة من الأعمال، ولا تعتاد على أداء المهمات خلال فترة زمنية محددة، وهذه المراهقة لم تتعلم ما يترتب على عدم اتباع القواعد وعلى سوء استغلال الوقت، وحيث أن الراشدين في حياتهم لا يعطون قيمة للوقت، فإنه لن تكون هناك نتائج إيجابية أو سلبية تترتب على طريقة استخدامه، ولم يسبق لهذه المراهقة أن سمعت عبارات تنظيمية لوقتها، (ادرس ثم العب)، ولم يسبق لها أن تعلمت الطريقة التي يستخدم فيها الوقت وهي لا تستطيع عادة تأجيل الإشباع، وإنما تريد أن تحقق رغباتها فوراً ولا يمكنها العمل الآن والاستمتاع فيما بعد، وكثيراً ما تقول: (إن كل شيء على ما يرام)، وهذا ينطبق خاصة على المراهقة المسوفة[2].

٣ ــ الفروق المزاجية:

قد يكون لدى المراهقة تثاقل وتباطؤ، وعند أختها حركة وإنجاز، فإذا ما انتقدت المراهقة باستمرار لبطئها أصبح الوقت بالنسبة لها مصدر كرب وهَمٍّ، والأسوأ من ذلك وجود أبوين نشيطين حيويين بينما ابنتهما بليدة، إذ كثيراً ما يصعب على الأبوين تقبل فكرة وجود فروق نفسية تكوينية بين الناس، وقد يكون المناسب تذكير الأبوين أن البطء قد يكون هو الإيقاع

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق ص ٧٤.

المناسب الطبيعي لبعض الناس، وبالتالي عدم استخدام الضغط الشديد لتغييرها.

وقد يرفض بعض الآباء وجود ضعف عقلي له علاقة بمفهوم الزمن عند المراهقة، فبعض المراهقات لا يستطعن تقدير الوقت الذي مضى، وبعضهن ليس لديهن الوعي الكافي وينسين كم مضى من الوقت، وبعضهن ليس لديهن القدرة على تذكر تسلسل الأحداث أو الخطوات في مهمة ما. وهذا لا يُعَد ضعفاً عقلياً أو تخلفاً إنما جوانب ضعف محددة في مفهوم الزمن، لذا يجب أن تتعلم المراهقة بمساعدة الوالدين تخطي هذه المشكلة وتعليمها مفهوم الزمن بطريقة مناسبة، وإدراك أن الوقت ضروري لتعلم القدرة على تأجيل الإشباع الفوري للأهواء واللعب، والمفهوم الأساسي لفهم الزمن هو الأساس للاستخدام الدقيق والمتزن للوقت[1].

٤ ــ تجنب المواقف غير السارة:

إن التأخير أو التسويف هي طريقة لبعض الأشخاص لتجنب المواقف غير المرغوب فيها، لذا قد تقوم المراهقة بالتعبير عن غضبها بإضاعة الوقت لتجنب المواقف غير المرغوبة أو التي تثير الخوف لديها، وقد يصبح الكسل وسيلة لتجنب أية مواقف تثير القلق والانزعاج، لأن القلق الناتج عن سوء النشاط اليومي يمكن أن يؤدي إلى سوء استخدام الوقت بشكل غير فعّال، فالمراهقة التي لديها قلق يتعلق بمدرستها أو مشكلة ما تتلكأ في الذهاب صباحاً، وكثيراً ما تشعر أن الوقت يمر ببطء شديد، وتدرك أن الوقت عدو لها بدل أن تتكيف معه وتدرك أنه وسيلة يجب استخدامها بكفاءة، كما أن الشائع استخدام الوقت بشكل سيِّء كوسيلة لتجنب الفشل حيث لا تلزم

(١) مشكلات الأطفال والمراهقين ص ٧٥.

المراهقة نفسها باستخدام الوقت بشكل كفء خوفاً من المخاطرة باحتمال الفشل أو مشاعر النبذ النفسي، والمراهقة التي تعاني من قهر شديد والتي تكافح للوصول إلى الكمال تضيع مقداراً كبيراً من الوقت، ويصبح كل عمل تؤديه كارتداء الملابس أمراً معقداً يحتاج إلى الكثير من الوقت، مما قد يعيق أي استعداد مناسب لها ويساعدها في تجنب المواجهة أو القلق حتى ينتهي بأن يصبح عادة تهزم بها ذاتها[1].

٥ ــ الأنانية كتعبير سلبي عن الغضب:

قد تكون المراهقة عصبية المزاج يتفاقم غضبها فتستخدم الوقت كوسيلة للانتقام، فالعقاب المتكرر والانزعاج المستمر للمراهقة هما من الأسباب الرئيسية لتباطؤها وإهدارها الوقت كنوع من التمرد، وهذه بوادر الأنانية عند المراهقة وعدم الاهتمام بالآخرين، وعدم تقديرها للجهد المبذول من الأبوين، وتعود باللائمة على مشاكلها مع أهلها أو مشاكل أهلها مع بعضهم البعض، كما تبدو متمركزة حول الذات ولا يهمها إلاَّ مصالحها الخاصة، وتؤدي أي مواجهة لها مع الأبوين إلى شعورها بالغضب من الكبار، وتزيد من عنادها، وتصبح عادة غير مبالية فيما يتعلق بالجداول والأعمال والمواعيد، وتؤدي أعمالها بشكل آلي متجاهلة العناصر الهامة فيما تقوم به[2].

طرق الوقاية

١ ــ الآباء نموذج للمراهقة:

يجب أن يكون الآباء قدوة في الدقة، وأن يتوقعوا الدقة من المراهقة

---

(١) المصدر السابق ص ٧٢.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وطرق المساعدة فيها ص ٧٢.

وأن تثاب عليها، ويجب تذكيرها بمرور الوقت، وأن تتوقع منها التحسن في كيفية استخدامها له، وأن تعلم أن (لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد)، فالمهمات الصعبة أو المعقدة يجب أن لا تؤجل، وتتجنب الأعذار ولا تقبلها، إن الوقاية من الصعوبات تتحقق على أفضل وجه ممكن بالشعور والتعبير عما ستفعله وما تحدثه، وإن فكرة إنجاز الإعمال الآن والاهتمام بالنشاطات التي تقوم بها المراهقة ومتابعة تقدمها وامتداح جهودها ومساعدتها إذ استدعى الأمر.

إن تعلم مهارات تنظيم الوقت وخاصة فيما هو كبير ومعقد يجب أن يتم عملها بكفاءة وتنظيم وسرعة معقولة، وعدم الشكوى والتذمر، كما عليها تعلم ضبط الذات وتعزيز قدراتها، والهدف هو أن تحدد المراهقة استقلاليتها في أخذ وقتها للعمل، وأن تعمل بشكل ثابت في ذلك الوقت.

كما أن تركها تتحمل النتيجة الطبيعية المترتبة على إضاعة الوقت، ومن ثم فتتعلم كيف تستخدم وقتها بحكمة، والمشاركة في الإعداد لحدث ما هو عمل ضروري في تعلم التخطيط، ثم الاستمتاع بثمرة الجهد المبكر(١).

٢ ــ تجنب ربط الخلاف بالوقت:

إن الإنجاز الشخصي نهاية لها قيمة بحد ذاتها، ولكن عندما يستخدم الإنجاز كسلاح للمنافسة، فإن المشكلات سوف تظهر، فإذا كان الإتقان له قيمة بذاته فسوف يقل احتمال استخدامه كوسيلة للتفوق والانتقام، لأن استخدام الوقت يجب أن لا يتم بمشاعر سلبية، ويجب تجنب استخدامه كعقاب، كما أن الوقت ليس وسيلة للتعبير عن الغضب أو الخوف،

(١) المصدر السابق ص ٧٧.

أو السيطرة، وبذا فإن إهدار الوقت لن يصبح وسيلة للتعبير عن هذه الانفعالات[1].

٣ ـ تشجيع المراهقة على الاهتمام بالآخرين ومراعاة شعورهم:

إن الاهتمام الحقيقي بمشاعر الآخرين هو مضاد قوي لإضاعة الوقت الذي يؤثر عليهم ويمكن منع التسويف وعدم الإحساس بالمسؤولية فيما يتعلق بالوقت عن طريق ممارسة اعتبار الآخرين وتعليمهم ذلك للمراهقة، فالتأخر لا يلائم الآخرين، وإن مراقبتها لمزاجها الشخصي يمكن أن يؤدي إلى خلق جوٍ من الاهتمام المتبادل بين أفراد الأسرة وبالطريقة نفسها يمكن أن تكون مصدر بهجة، أو تكون مصدر إزعاج ونافدة الصبر وناقدة لكل شيء[2]، فإذا كان الآباء يثيرون النزق والجو السلبي لشعورهم بالتعب، فإن هذا الجو سوف يتفاقم نتيجة إضاعة الوقت من قبل المراهقة حتى يسود جو البيت الهدوء بعد ذلك، وتذهب لنومها وهي قلقة مضطربة.



(١) المصدر السابق ص ٧٨.

(٢) مشكلات الأطفال والمراهقين وطرق المساعدة فيها ص ٧٨.

الفصل الثاني
على طريق التربية

هناك فرق بين إنسانين يتشابهان في السلوك والأقوال، الأول يقدمُ على سلوك ما عن وعي ومعرفة، والثاني يؤديه بدون وعي أو معرفة، فالذي يعطي العمل قيمة عملية هو الوعي والاطلاع، فالوعي ضرورة من ضرورة التكامل الفردي والجماعي، وعامل من عوامل النمو والتقدم، وتنشأ قيمة أداء الواجبات الدينية إذا جاءت من خلال الوعي وإدراك الأبعاد المرتبطة بها، كما أن العقوبة المترتبة على الجنايات كالحبس تصبح واجبة إذا أقدم الجاني عليها، وهو واعٍ لأبعادها.

وبناءً على نتائج بعض الدراسات التي أجراها علماء النفس، فإن الجهل عامل مهم في ارتكاب الجرائم والوقوع في المنزلقات، وأن كثيراً من الأعمال التي تقود إليها يُقدم عليها أصحابها لعدم تفكيرهم بالعواقب.

وعي العلاقة مع المراهقة

لا بد للوالدين من الاطلاع على مصادر الوعي لدى المراهقة، لأن هذه المصادر هي نفسها مصدر للإنسان والمجتمع:

ـ **المصدر الأول**: هي العائلة، إذ أن المراهقة تقضي فترة طويلة من عمرها ضمن عائلتها وتكبر فيها.

ـ المصدر الثاني: هو المدرسة، والتي تضع بين يدي المراهقة معلومات متماثلة عن طريق المنهج الدراسي.

ـ المصدر الثالث: المجتمع والصديقات الذين يزودهم بمعلومات في أطر عديدة.

ـ المصدر الرابع: الكتب ووسائل الإعلام التي تعطيهم معلومات عن العالم والحياة والواجبات وأشياء أخرى.

ـ المصدر الخامس: هو الأبحاث الشخصية والتفكير والتدبر والتأملات والتجارب الخاصة.

ـ المصدر السادس: هو الإلهامات، وهو دائماً متاح للإنسان، ويجب الحذر أن هذه الإلهامات قد تختلط بأوهام الشيطان، وحظوظ النفس، وغلبة الهوى، لذا يجب الانتباه للتمييز بين الصحيح والسقيم منها.

ولكن لنا أن نتساءل كيف يمكن الاعتماد على هذه المعلومات؟ فنحن نعلم أن كثيراً من الناس لا يصلون إلى حالة الإلهام، كما أنهم لا يمتلكون نبوغاً يتعلمون به ما يحتاجون إليه في حياتهم من الآخرين، وهذه الحاجة من جهة تتعلق بالحاجة إلى معلمين ودعاة ومرشدين ومصلحين، وإلى وقت للتعلم من جهة أخرى.

دائرة المعلومات المحمدية

لذا فإن دائرة المعلومات المحمدية لازمة جداً، وواسعة جداً، وتشمل كل شيء يحتاج إليه الإنسان في حياته اليومية، لأن المراهقة سرعان ما تصبح امرأة ولا بد من تعليمها ما تحتاج إليه المرأة في حياتها الحالية والمستقبلة من أصول الطهارة والغسل والوضوء والصلاة، وأنواع النجاسات، وكيفية إزالة النجاسة من الثوب والبدن والمكان، وآداب المعاشرة الزوجية وأصولها وأحكامها والمحرم منها.

النفاس وأحكامه ـ هدي زوجات النبي ﷺ والصحابيات وبنات الرسول ﷺ وتعلم المواقف الإنسانية والاجتماعية من سيرتهن.

وعليه فلا بد أن نعرف ما الذي تحتاج إليه المراهقة التي ستصبح امرأة في مجتمع الغد؟ وما الذي ننتظره منها من أعمال وبرامج؟ وماذا يريد الوالدان من أبنائهم وبناتهم؟ وما الذي يجب أن يحققه الوالدان لهم؟

وعلى هذا الأساس يتم تنظيم عملية التعلم.

كيف تتم عملية تنظيم التعلم؟

حدود هذه العملية واسع جدًّا، منها:

١ ـ ما يتعلق بمعرفتها بنفسها:

فعلينا أن نُعَرِّفها أنها إنسانة محترمة لا يستهان بها، وعليها أن لا تستهين هي بنفسها ولا بأوقات فراغها، لأن الفراغ مفسدة وأي مفسدة، وعليها أن تتعلم ما هو نافع لها، وأن تعرف أن العمر محدود، وأن اليوم الذي يذهب لا يعود، فلتسرع في متابعة مصالحها دون تعدٍّ، أو تقصير يعود عليها بالانهيار والسقوط.

إن بعض المنزلقات والانحرافات تأتي من التساهل والجهل، وعدم معرفتها لنفسها وقيمتها، فظاهر المراهقة أنها أصبحت امرأة لكنها لا تزال تحتاج إلى النصح والتذكير والتوجيه، وعلينا أن نوفر الظروف التي تمكنها من معرفة نفسها، وأن لوجودها هدف ولحياتها معنى.

٢ ـ واجباتها تجاه نفسها:

المهم أن تطلع المراهقة على وظائف أعضائها الجسدية وما يحصل

لها من تغيرات جذرية، لأن المراهقة التي بدأت تلجأ إلى عالم الكبار ذات رغبات آخذة بالظهور، الأمر الذي يخلق أرضية للانحراف إذ أن الاستفادة غير الصحيحة من بعض الأعضاء يمكن أن تخلّف عادات انحرافية تستمر معهم سنين طويلة من قبل العادة السرية التي سبق ذكرها في الانحرافات الغريزية، ولذلك لا بد من الحرص في هذه السنين على تدريب الأعضاء على النظافة بها وحسب حتى لا تتعرض إلى صعوبات فيما بعد، فعلى الأمهات أن يطلعن الفتيات على كل ما يختص ببلوغهن، وكذلك على الآباء أن يفعلوا مع الشباب نفس الشيء.

٣ ــ في الواجبات العبادية:

من واجبات الوالدين تعليم المراهقة ما يخص علاقتهم بخالقهم، وأن يذكرونها بواجباتها الدينية وتعليمها العبادات. فجهل الأبناء بما يخصّ الصلاة والصوم والغسل والنجاسات، يدل على إهمال الوالدين، فعلى الأقل لا بد من تعريفهم بالحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الرحم ولو بصورة مختصرة، كما يجب أن نحيطهم علماً بالأوهام ونبعدهم عن الغفلة ونوقظ فيهم الفطرة، كما أن علينا أن نزودهم بمعلومات نظرية واسعة ليتجهوا إلى عبادة الله من خلال ترغيبهم بالجنة.

٤ ــ في الجانب الاجتماعي:

المراهقات في هذه السن تنمو استعداداتهن تدريجياً لكي يصلن إلى عالم الكبار وأن يتحملن مسؤولياتهن، وعلاقاتهن مع الآخرين التي تقوم على التفكير وكذلك على تبادل الخدمات والتعاون والتعاضد.

على المراهقة أن تعرف واجباتها إزاء الآباء والأمهات والأقارب والمعلمين والمديرين ومسؤولي المجتمع، ثم واجباتها إزاء المسلم والكافر

والقريب والغريب وما سواه، وكذلك ما يلزم لتأسيس أسرة وإدارة بيت وتربية الأبناء.

٥ ــ الأحداث والوقائع:

فإزاء مختلف الظروف والوقائع لا يبقى الناس بمنأى عن تأثيراتها حتى ولو وقع بعضها في مناطق بعيدة، كما أن الحوادث التي وقعت في الماضي تلقي بظلال من آثارها علينا وما نفعله اليوم سيشكل أرضية لعالم الغد.

هناك مسائل وقضايا في العالم وفي منطقتنا لا تبعد عن تأثيراتها، لذا فمن الضروري أن تعرف المراهقة هذا التداخل في التأثير وبالتالي المواقع والأحداث والمشكلات، وأن تتعلم اتخاذ مواقف جيدة إزاءها.

وإذا لم يتح لنا تزويد المراهقة بكل ما تحتاج إليه من معلومات فلا بد من بذل الوسع، والاقتصار على الضروري منها من قبيل البيئة والأحداث، وهناك الكثير في هذا الإطار.

٦ ــ بالنسبة للثقافة:

فنحن نعيش في دنيا عجيبة، دنيا لا يوجد فيها شيء اسمه ثقافة خالصة، فكل الثقافات مختلطة، حتى بالنسبة للدول الإسلامية، فإن الثقافة ليست إسلامية خالصة بل هناك كثير من الثقافة المستوردة، لأننا لسنا بمعزل عن المجتمع والإعلام المسموع والمرئي، فنمو الثقافة الدينية والمدنية الغربية عالمياً يؤدي إلى الاستيراد والتصدير ثقافياً من قبيل الآداب والأخلاق، وكذلك الأفكار والمسؤوليات والسلوكيات والعقائد، وكل ذلك مختلط ومتضاد أحياناً، وعلى الآباء دور مهم في توجيه الشباب في هذا الإطار.

٧ ـ في إطار العمل والشغل:

في التعليم المهني يوجه الإسلام كلا الجنسين إلى العمل المهني، إذ أنه يدعو لإعداد البنات لأداء مهن تتناسب مع وضعهن النفسي والشرعي وقدراتهن البدنية، وهو أيضاً يخلق لهن المتعة فضلاً عن الآثار الاقتصادية بالنسبة للأسرة والأهم من كل ذلك تعليمهن سبل الحياة، وتربية الأطفال، وإدارة المنزل.

ومن حسن الحظ أن البنات يحلمن برغبة في امتلاك منزل خاص بهن في ظل زوج وأسرة، وأن يؤدين أعمالهن باستقلالية كاملة، وهذه أمور تخلق السعادة لديهن.

إن هذه التوجيهات لا تتناقض مع سعيهن لأداء أعمال تنحصر بالنساء مثل الأعمال المتعلقة بالتعليم والتربية والتمريض والتطبيب وأعمال أخرى تملأ فيها المراهقة فراغها قبل الزواج وبناء الأسرة، ولهذا فإن العمل لعدة ساعات أو نصف الوقت أكثر ملائمة للبنات قبل الزواج وبعد الانتهاء من الدراسة.

وعلى المجتمع أن يدعم الشباب والفتيات للعمل والإنتاج الذي لا يخلو من مشاكل ومخاوف.

ومن الضروري أن يقدّم الآباء الدعم الكافي والتشجيع والترغيب والاطمئنان إلى إمكانية النجاح، وأن نأخذ بأيديهم إليه.

كما لا بد من خلق التفاؤل بواسطة الآباء فضلاً عن توفير أجواء الحرية للقبول بالمسؤولية وعدم الحياء من ممارسة أي عمل شريف مهما كان بسيطاً، وفي نفس الوقت اشتراط ممارسة أعمال تحافظ على احترامهن وحيائهن.

٨ ـــ توفير فرص العمل والانتباه إلى نوعه:

لممارسة عمل علينا أن نبدأ بالبحث عنه، وحين نعجز عن العثور على عمل علينا أن نسعى إلى إحداث وظائف جديدة، فهناك الكثير من المسؤوليات التي يمكن أن نعهد إلى المراهقين بها في المدرسة أو المنزل شرط أن لا تتصف بالاستغلال وتنتهي إلى الإحباط.

العمل بالنسبة للشباب ضروري لأنه ينقذهم من الأوهام والخيالات ويعطي لسلوكهم صورته الطبيعية، ويساعد على ترتيب أوضاعهم ويعطيهم دفعة من الإحساس باحترام النفس لأنه يحقق طموحاتهم ويهيئهم للحياة المستقبلية.

ويمكن للمراهقين أن يمارسوا بعض الأعمال إلى جانب الدراسة دون الإضرار بها وخاصة في العطل المدرسية والإجازة الصيفية، كالأعمال الاجتماعية وإعانة الناس والفعاليات الاجتماعية كزراعة الأشجار الحرجية وتنظيف الشواطىء والشارع الذي يقطنون فيه، والمشاركة في الأعياد والأفراح والوفيات.

وأن يراعي المراهقون أن الحصول على المال الحلال عملية ليست سهلة جداً والأصعب فيها طريقة إنفاقها في موارد الحلال أيضاً، وهذه القضية تُعد من المسائل الضرورية لهم والتي يجب أن يتعلموها، فهم حين يحصلون على المال يشعرون بالحيرة في إنفاقها، ومكان هذا الإنفاق، وخصوصاً حين يحصلون على الأجر لأول مرة، حينها يختلط السرور بالحيرة، والإحساس بالفخر، وأحياناً ينفقون المال بصورة عشوائية.

إن الوالدين يضطلعان بعملية التوجيه في هذا المجال وإقناعهم بضرورة دفع قسم من الدخل لصالح الأسرة لكي ينتبه الشاب والفتاة إلى قيمة

النقود وقيمة الجهود التي يبذلها الوالد، كما أن حب المال يشده إلى مسألة خطيرة أيضاً تحول دون النمو الروحي للشاب والفتاة، وكل ذلك مما يجب معرفته.

والمهم ليس أداء هذه الأعمال بأي وجه، بل الإتقان في أدائها ومحاسبة النفس واحترام مواقيتها، وأن لا يكون الحصول على المال هو الغاية، إنما يضع في الحسبان خدمة الناس وإعمال الفكر والسعي للإبداع والابتكار، وأهم من ذلك مراعاة التقوى لأن هناك الكثير من الأعمال قابلة لإحراز التوفيق من خلالها إذا تم استخدام العقل والذكاء فيها، ولكن بصورة اعتيادية يتم التخلي عن ذلك طمعاً في الربح الوفير.

٩ ـ في جانب السلوك والتوعية:

علينا أن نخلق الاستعداد لديها عن الإعجاب بالنفس والغرور والأنانية، كما عليها أن تعرف نفسها كما هي عليه في الواقع، وهذا الأمر أهم أساس من أسس السلامة النفسية، فقد نرى بعض الفتيات يصبن بالغرور بمجرد رؤية قدراتهن الجمالية أو العقلية، وقد نرى بعض الفتيات لا يراعين الأدب في الحديث والسلوك، فهن عاجزات عن السيطرة على أهوائهن الكثيرة والمتنوعة، ويفتقرن إلى التوازن العقلاني والتوجه إلى هدف، وبالتالي فهن لا يراعين الآداب الإسلامية ولا بد من تعليمهن ذلك ولا يجب القناعة والاكتفاء بالتذكير والإيحاء بل لا بد من أن ننقل التوجيهات عبر الآذان والأبصار، وأن تلمس المراهقة كل ذلك بالتجربة والتمثيل والمشاهدة والتجربة، وأن تعقل كل ذلك وتتفكر فيه، وتعتاد على مواجهة التقبل والربح والخسارة والبسيط من الأمور.

وللإعلام دور كبير وخدمة جليلة على صعيد هذا الأمر، لأن المراهقة تصرف أوقاتاً كبيرة في مشاهدة الأفلام التلفزيونية والمسلسلات فضلاً عن

قراءتها للصحف والمجلات والكتب، وكل ذلك له دور مهم في التربية.

وقد تظهر لديها ميل للكتابة أو كتابة القصة أو الشعر أو غيرها من الأمور، وهنا يلعب الآباء دوراً مهماً في التوجيه والتنمية والوعي.

١٠ ــ من توجيهات الوعي:

هناك بعض النقاط التي يجب التذكير بها:

١ ــ إن المراهقة لا تسعى إلى الاحتكام إلى المنطق أو القبول به، فمن الضروري أن يصار إلى إعمال منطقهم في كل شيء وعلينا أن لا ننسى ذلك.

٢ ــ المدرسة لها لونها الخاص واتجاهاتها المتنوعة ومحيطها الواسع، فهي تتعلم الكثير فيها، لذا فإن واجبات المدرسة كبيرة جداً في هذا السن.

٣ ــ إذا رأى الوالدان في السلوك والحديث ما يوجب التوجيه فيجب المبادرة إلى ذلك سراً دون إلفات نظر الآخرين لكي لا يتكرر منها هذا الأمر.

٤ ــ من الأفضل أن يتم إشراكها في الجلسات المتنوعة والأحاديث الأسرية لكي تتسع معلوماتها.

٥ ــ لا يجب التغافل عن التعليم غير المباشر، فقضية (إياك أعني واسمعي يا جارة) بناءة جداً في التوجيه.

٦ ــ نصائحكم أيها الآباء إذا لم تؤثر اليوم، فإنها ستؤثر غداً، فلا بد من إقناعها بأن الماضي لا يعود، كما أن البكاء على الأطلال لا قيمة له، عليها التفكير في يومها ماذا تفعل به، وفي غدها ماذا أعدت له.



ثبت المصادر والمراجع

* كتب الحديث وعلومه:

١ ـ سنن الترمذي: محمد بن سورة. دار الحديث ـ القاهرة ١٩٩٩م.

صحيح البخاري: دار العلوم ـ دمشق.

٢ ـ صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري. دار إحياء التراث العربي. د. ت.

٣ ـ رياض الصالحين: الإمام النووي. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٩٧م.

كتب التفسير وعلومه:

١ ـ تفسير الألوسي أو روح المعاني: محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب. دار العلم ـ جدة ١٩٨٦م.

٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. د. ت.

اللغة العربية:

١ ـ لسان العرب: ابن منظور الأفريقي. د. ت.

٢ ـ المعجم الوسيط: مجموعة علماء في اللغة العربية، إشراف عبد السلام هارون ـ القاهرة ١٩٧٢م.

الكتب القديمة والحديثة:

١ ـ إحياء علوم الدين: محمد أبـي حامد الغزالي. عالم الكتب. د. ت.

٢ ـ المراهق: نوري الحافظ. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ١٩٩٠م.

٣ ـ تربية الشباب: علي القائمي. دار النبلاء ـ البحرين ١٩٩٦م.

٤ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة: مصطفى فهمي. مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٦٧م.

٥ ـ أضواء على التربية في الإسلام: علي القاضي. دار الأنصار ـ القاهرة ١٩٧٩م.

٦ ـ تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس: محمد السيد الزعبلاوي. مكتبة التوبة ـ الرياض ١٩٩٤م.

٧ ـ الخلق الكامل: محمد أحمد جاد المولى. مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ودار قتيبة ـ دمشق.

٨ ـ شخصية المسلم: محمد علي الهاشمي. دار البشائر الإسلامية ـ بيروت.

٩ ـ منهج التربية الإسلامية: محمد قطب. دار الشروق ـ بيروت.

١٠ ـ علم النفس النمو التكويني: عبد الحميد الهاشمي. دار المجتمع العلمي ـ جدة ١٩٨٠م.

١١ ـ علم نفس النمو: سعدية بهادر. دار البحوث العليا ـ الكويت ١٩٧٧م.

١٢ ـ علم نفس النمو في مرحلة المراهقة: حامد عبد السلام زهران. عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٧م.

١٣ ـ علم النمو التربوي: أحمد زكي صالح ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩م.

١٤ ـ دليل الوالدين في معاملة المراهقين: كاميليا عبد الفتاح ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧م.

١٥ ـ الأسس النفسية للنمو: فؤاد البهي السيد. دار الفكر العربي ـ القاهرة. د. ت.

١٦ ـ النمو النفسي للطفل والمراهق: محمد زيدان. دار الشروق ـ جدة. د. ت.
١٧ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة: عبد الرحمن العيسوي. دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٩٧م.
١٨ ـ الموجز في علم التغذية وتغذية المرضى: محمد رشاد عامر. دار القلم ـ الكويت.
١٩ ـ الغذاء قبل الدواء: محمد رفعت. دار المعرفة ـ بيروت ١٩٩٢م.
٢٠ ـ الموسوعة العلمية المصورة: عز الدين فراج، محمد رضا خورشيد.
٢١ ـ المراهقون من وجهة النظر الإسلامية: سمير جميل الراضي. رابطة العالم الإسلامي ١٩٨٣م.
٢٢ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقهما الأساسية: عبد العلي بسماني.
٢٣ ـ السلوك الاجتماعي للفرد وأصول الإرشاد النفسي: يوسف مصطفى القاضي.
٢٤ ـ بناء الأسرة القرآنية: محمد محمود الجوهري. دار المعرفة الجامعية.
٢٥ ـ تنظيم الإسلام للمجتمع: محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٦٥م.
٢٦ ـ المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع: نبيل محمد توفيق السمالوطي. دار الشروق ـ جدة ١٩٨٠م.
٢٧ ـ بناتنا ومشاكلهن الصحية: محمد رفعت. مكتبة الهلال ـ بيروت ٢٠٠٠م.
٢٨ ـ علم نفس الطفل والمراهق ومشاكل الانحراف: صبحي عبد اللطيف المعروف. د. م، د. ت.
٢٩ ـ الفقه الإسلامي وأدلته: وهبة الزحيلي. دار الفكر ـ دمشق.

٣٠ ـ مبادىء علم النفس العام: مختار حمزة. دار البيان العربي ـ جدة. د. ت.

٣١ ـ الدراسات النفسية عند المسلمين: عبد الكريم عثمان. مكتبة وهبة ـ القاهرة. د. ت.

٣٢ ـ تهذيب الأخلاق: ابن مسكويه. مكتبة الحياة ـ بيروت.

٣٣ ـ علم النفس في حياتنا اليومية: سمير شيخاني. دار الآفاق الجديدة. د. م. د. ت.

٣٤ ـ علم النفس في الحياة: ماندر ـ ترجمة نظمي خليل. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٨م.

٣٥ ـ مجلة التربية الحديثة: أكتوبر ـ محرم ١٣٠٦هـ ـ ١٩٣٩م.

٣٦ ـ كتاب التربية: كانت ـ ترجمة طنطاوي جوهري.

٣٧ ـ مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها: شارلز د. شيفر ـ عمان ١٩٨٩.

٣٨ ـ قراءات في علم النفس، محمد عبد الحليم منسي. دار الشروق ـ جدة ١٩٨٢م.

٣٩ ـ علم النفس وأصوله وتطبيقاته التربوية: مصطفى فهمي. مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٦٧م.

٤٠ ـ لمحات في التربية الإسلامية: محمد أمين المعدي. دار الفكر ـ بيروت.

٤١ ـ المدخل إلى علم النفس: عبد الله عبد الحي. مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

٤٢ ـ مبادىء علم النفس العام: محمد عثمان نجاتي دار القلم ـ الكويت.

٤٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة: إشراف محمد شفيق غربال. دار الشعب ـ القاهرة ١٩٦٥م.

٤٤ ـ محاضرات في التحليل النفسي: سيجمند فرويد. ترجمة أحمد عزت. مطبعة الأنجلو ـ مصرية ١٩٧٨م.

٤٥ ـ رعاية المراهقين: يوسف ميخائيل. مكتبة غريب ـ القاهرة. د. ت.

٤٦ ـ دعنا نفهم مشكلات الشباب: ريمز هاكيت. ترجمة عطية محمود مهنا. د. ت.

٤٧ ـ التوجيه والإرشاد النفسي: حامد زهران. عالم الكتاب ـ القاهرة. د. ت.

٤٨ ـ مجموع الفتاوى: أحمد ابن تيمية. دار الفكر ـ بيروت ١٩٤٩م.

٤٩ ـ الخطر اليهودي: محمد خليفة التونسي. دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٥٠ ـ دراسات نفسية وتأملات قرآنية: عزت عبد العظيم. مكتبة نشر الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٧م.

٥١ ـ المجلة الطبية السعودية: بهاء الدين حلمي. عدد ٣٥ شعبان ١٤٠٣هـ.

٥٢ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة: عبد الرحمن العيسوي. دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٩٧م.

٥٣ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة: شيفر وهلمان. مكتبة الثقافة ـ عمان ١٩٩٩م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث
السلوك العاطفي والاجتماعي للمراهقة

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع
المراهِقة والانحرافات

الموضوع	الصفحة

الباب الخامس

مشكلات المراهقة الجسدية على طريق التربية

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



هَذَا الكِتَابُ

* يكشف الستار عن مرحلة دقيقة من حياة الفتاة المسلمة، ألا وهي مرحلة المراهقة، فيعرّف بها، ويدرسها، ويعالج مشاكلها، ويبيِّن حلولها.

* فيه دراسة لشخصية المراهقة وكل المتغيرات التي تحصل لها ـ جسدية كانت أم نفسية أم فكرية ـ، فيحلِّل سلوكها وحالات شخصيتها، والمشكلات النفسية والاجتماعية والصحية التي تتكون في هذه المرحلة، وكذلك العواطف التي تتحكم بها، وأزمتها مع الدين والعقائد.

* فيه دراسة للانحرافات التي تتعرَّض لها المراهقة ـ فطرية غريزية كانت، أم فكرية، أم اقتصادية، أم اجتماعية ـ مع دراسة مشكلاتها الجسدية والصحية والتربوية.

* ثم فيه عرض للحلول الإسلامية الصحيحة وطرق الوقاية، والعلاج لكل تلك المشكلات والمتغيرات والانحرافات، بما يتناسب مع تطوُّر العصر.

المؤلِّفة